نـاديــج ديـفــو

ترجمة: أ. د. شكري المبخوت

دلـيــل

المؤلف وكاتب السيناريو

دليل عملي للكتابة







دليـــل

المؤلف وكاتب السيناريو

دليل عملي للكتابة

نـاديـــج ديـفـو

ترجمة:

أ. د. شكري المبخوت





الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. SAL

ادارة البحوث والدراسات الثقافية

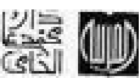
دار محمد علي للنشر
تونس



الطبعة الأولى: 1434 هـ - 2013 م
ردمك دار محمد علي: 978-9973-33-385-8
رقم الإيداع: دار الكتب القطرية، 2012/443
الترقيم الدولي (ردمك): 978/9927/90/87/6
العنوان: دليل المؤلف وكاتب السيناريو. دليل عملي للكتابة
تأليف: ناديج ديفو
ترجمة: شكري المبخوت



وزارة الثقافة والفنون والتراث، قطر
إدارة البحوث والدراسات الثقافية: الدوحة ص.ب. 23700 قطر
هاتف: 974.44022789+ - فاكس: 974.44653925+



دار محمد علي للنشر © عمارة زرقاء اليمامة 3027 صفاقس - الجمهورية التونسية
الموقع: www.edition-medali.com   Email: edition.medali@tunet.tn

ISBN: 978-614-02-0575-8



عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم
هاتف: (+961-1) 785107 - 785108 - 786233
ص.ب: 13-5574 شوران - بيروت 2050-1102 - لبنان
فاكس: (+961-1) 786230 - البريد الإلكتروني: bachar@asp.com.lb
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

التنضيد وفرز الألوان: أبجد غرافيكس، بيروت - هاتف (+9611) 785107
الطباعة: مطابع الدار العربية للعلوم، بيروت - هاتف (+9611) 786233

إلى اِبنيّ

"إنّ تقدير النّفس ليس هو تقدير الأنا"

التقديم

يُسعدنا أن نضع هذا الدليل العملي بين أيادي الناشئة والشباب بهدف نشر تقنيات تأليف الرواية والسيناريو في كلّ أرجاء الوطن العربي، عملاً بالحكمة القديمة القائلة بأنّ تعليم صيد السمك أفضل من إهدائه...

ويُعدّ الكتاب الأصلي *Le Guide de l'Ecrivain et du Scénariste* للكندية ناديج ديفو من أجود وأحدث الكُتُب المتخصصة في تفكيك العملية الإبداعية والتمرّس عليها... وتقول ديفو: " أتتني فكرة كتابة دليل المؤلّف وكاتب السّيناريو من تَفَكُّرٍ عميقٍ في شأنِ بعض المؤلّفين الذين يحسبون أنفسهم أرباب القلم. إذ يزعم هؤلاءً في اِزدراءٍ وتعالُمٍ أنّه من اللاّزم متابعة دراسات عليا كيْ يكون المرء مؤلِّفًا. بيد أنّ ذلك محض افتراءٍ وادّعاء. فكلّ شيْء يُتعلَّمُ. لذلك رغبتُ في أنْ أهتكَ، مرّة واحدة، أسرارَ الكتابة حتى أشارككم تجربتي ومهاراتي. "

وكم نحتاج في عالمنا العربي إلى هذا الفكر العملي الذرائعي الذي يأخذ بالأسباب لبلوغ الغايات بعيدًا عن التنظير الأكاديمي المفرط، فالعلم والتواضع صنوان يزّين كلّ منهما الآخر.

ولا بدّ لنا في الختام أن نثني على جهود أ.د. شكري المبخوت الذي أنتج هذه الترجمة البديعة بعربية بليغة، بسيطة وممتنعة...

د. حمد بن عبدالعزيز الكواري

وزير الثقافة والفنون والتراث

تمهيد

تتألّف العملية الإبداعية في شتى مجالات المعرفة من مزيج من الاستلهام والموهبة الشخصية للمبدع ومن الطُّرق والأدوات التقنية التي تقوم على التعلّم والممارسة، فهي بذلك نتاج الموهبة والصنعة في آن واحد.

يلتفت "دليل المؤلف وكاتب السيناريو" للكاتبة الكندية ناديج ديفو إلى الشقّ الثاني، إذ تُقدّم المؤلفة للقرّاء وللكتّاب المستقبليّين والمتمرّسين على السواء ما أطلقت عليه بنفسها "أسرار المهنة".

تُفكّك ديفو في البداية العملية الإبداعية، ثم تقترح جملة من التمارين التطبيقية في كتابة الرواية والقصة القصيرة والمقال الصحفي والسيناريو، وفق بيداغوجيا تدريبية تسمح بتطوير الأداء واكتساب "الصنعة"...

وقد برع أ.د. شكري المبخوت في تعريب الكتاب، إذ لم يقتصر على أمانة النقل وجمال اللغة والأسلوب، بل تخطّى ذلك إلى عملية التوطين الثقافي: سيكتشف القارئ أنّ المبخوت عثر على المقابل العربي الأصيل للتعابير المجازية والاستعارات الفرنسية في الأصل، فأنتج نصًّا عربيًّا بليغًا قلبًا وقالبًا...

أملنا أن ينتشر هذا الكتاب في كامل أرجاء الوطن العربي وخارجه وأن تتداوله الأيادي كي تصبح عملية التأليف وكتابة السيناريو منتشرة بدورها بين مختلف الأجيال، لعلّ ذلك ينتج الزخم الأدبي المطلوب ويَبرز أدباء ومؤلفو الأجيال القادمة.

والله من وراء القصد!

د. مرزوق بشير مرزوق

مدير إدارة البحوث والدراسات الثقافية

نبذة عن المترجم الأستاذ الدكتور شكري المبخوت

شكري المبخوت (1962-) أكاديمي عربي بارز وباحث متخصص وأستاذ جامعي. كان عميد كلية الآداب والفنون والإنسانيات بتونس، ورئيس لجنة دكتوراه الدولة، ثم جرى انتخابه بعد الثورة التونسية من قبل أقرانه الأساتذة الجامعيين رئيسًا لجامعة منوبة.

شارك في هياكل بحثية مهمة منها "أعمال وحدة البحث في البلاغة والحجاج" و"أعمال وحدة البحث في تحليل الخطاب" وغيرها. عضو في هيئة تحرير مجلة "إبلا" الصادرة عن معهد الآباء البيض بتونس وعضو اللجنة العلمية لمجلة "رومانو أرابيكا" الصادرة عن مركز الدراسات العربية بجامعة بوخارست (رومانيا).

ألّف العديد من المنشورات العلمية المرجعية والبيداغوجية على غرار "جمالية الألفة: النص ومتقبّله في التراث النقدي" (1993)، "الاستدلال البلاغي" (2006)، "المعنى المُحال" (2007)، "نظريّة الأعمال اللغوية" (2008). كما ترجم العديد من الكتب منها "الشعرية لتزيفتان تودوروف" (1987)، و"تخييل الأصول: الإسلام وكتابة الحداثة" (1995)، و"المعجم الموسوعيّ للتداولية" (2010) الصادر عن المجمع التونسي للعلوم والفنون والآداب "بيت الحكمة" بقرطاج.

الفصل 1: التّدرّب على الكتابة

"الكتاب نافذة نهرب من خلالها إلى الخارج"

قديمة هي الكتابة قدم العالم وهي ترمز إلى ذاكرتنا الجماعيّة بفضل بصمات كتّاب الماضي والحاضر المجموعين في مكتبات المعمورة وتُبيّن أيضًا ما يشعر به الكائن البشريّ دوما من حاجة إلى الخلود تتحقّق بما يترك بأفكاره وأعماله، عن حياته الدنيا، من أثر لا يمّحي.. إنّها المشعل الكونيّ للتّواصل بين الناس.

إنّ الكتابةَ نارٌ متّقدةٌ مستكنّةٌ فيك، وأنت لا تراها لأنّها ماثلة في حياتك إلى حدّ لا تفطن معه إليها. بيد أنّها هي التي تمكّنك من التّعبير عن انفعالاتك بما أنّ مفرداتك تستحيل بها كلامًا. وبفضل الكتابة وُجدَتِ الكُتُبُ والسّينما والتّلفزيون والرّاديو والمسرح. ولا ينبغي أن ننسى أبدًا أنّ المؤلّفين هم من يوفّر، في الخفاء، الأفكار والمادّة الأولى. أتعلم أنّ الكتابة تسيطر، بفضل الخطابات، على الدّوائر العليا للسّياسة؟ وهذا ما يبرهن على أنّها قد تكون إيجابيّة أو سلبيّة بمقتضى استعمالنا لها.

إنّ الكتابة نشاط محرّرٌ، جسورٌ، متعطّشٌ للمغامرة والتّقلّب والتّلاعب، مشوّقٌ، يرفع من الشّأن، مشهودٌ له منذ عهود بعيدة بمزاياه العلاجيّة فهو ينعش كيان من يمارسه. إنّها ضرب من رعدة خلاّقة، لمعة تمتصّ بشدّة ما في رُسل الأفكار من طاقة. إنّها تبعث في المؤلّفين الحافز لاستبطان كاشف يرغّبهم في تجاوز ما بأنفسهم بتنمية ذاكراتهم وتثقيف أخيلتهم. وتُمكّنهم أيضًا من تكريم اللّغة العربيّة، هذه السّيدة العظيمة، هذه المرأة ذات الحسب التي تطفح بمعجم ثريّ، معبّر بقدر ما هو متنوّع، وكثيرًا ما يكون متروكًا منسيًّا.

وبوِسعِ كلّ اِمرئٍ أنْ يكتب. فليستِ الكتابة موهبة ولا ترتبط بسنٍّ أو جنسٍ. وهي، إلى ذلك، ليست وقفًا على نخبة مدجّجة بالشّهائد فقلّما تحفلُ بالمنـزلة الاجتماعيّة والمستوى الدّراسي لأيّ كاتب. ولا عبرة إلاّ بعشق الكلمات والشّغف والرّغبة في التّعبير والأناة.

أنت ترغب في تأليف كتاب ولكنّك لا تعرف كيف يكون ذلك أو لعلّك كتبتَ بعدُ بعض صفحاتٍ أهملتها إذ غاب عنك الإلهام؟ يوفّر لك

جميع الأدوات الضّروريّة لتأليف كتابك الأوّل أو السيناريو الأوّل ويضع بين يديك إرشادات ونصائح تيسّر لك تجسيم أحلامك في التّأليف.

إنّ للكتابة وجهًا ستتدرّب على ترويضه للتّحكّم فيه تحكّمًا أفضل. فهي كالحجارة الكريمة المكنونة فيك. وعليك أنْ تنحتَها وتصقُلَها حتى يسْطَعَ منها رونق يكون انعكاسًا لمخطوطك.

ستخطو مع خطواتك الأولى في أوساع الكلمات وستنمّي طاقة الإبداع فيك بالتّدرّب يوميًّا. وبقدر ما تكتب يقوى تركيزك وإلهامك

يوما بعد يوم ثمّ تكون اللّحظة التي طالما انتظرتها: تحرير كتابك الأوّل.

كيف تنمّي موهبتك في القصّ وتصنع حكاية لقرّائك المتوقَّعين خافقة حيّة؟ كيف تجد موضوع كتابك؟ كيف تنفخ في شخصياتك الرّوح؟ كيف تُبدِع الأجواءَ والمشاهدَ؟ كيف تنشئ حوارات تُصَدَّقُ؟ كيف تنشُرُ ما تكتب؟ كيف تعرض السّيناريو الأوّل؟ يقدّم لك الإجابة عن هذه الأسئلة جميعًا، وإلى ذلك، يُسْدِي لكَ جمهرة من النّصائحِ لِتهْتَدِيَ بها.

إنّك تسير على خطى الكتّاب المحترفين وإنّك لقادر على ذلك إذا كنتَ من المثابرين. وأفضل ما يؤخذ به في هذا الباب إنّما هو الثّقة في النّفس وصدق العزيمة والاعتقاد في أنّ كلّ شيء ممكن والتلقائيّة كما لو كنت تكتب نجواك إلى صديق متخيّل أو غير متخيّل ما دام مخطوطك سيكون صدى لنفسك. ولا يهمّ ما تكتبه ولا ما سترتكبه من الأخطاء. فالرّهان الحقّ معقود على أنْ تجعلَ كتابك قابلا للتصديق حيًّا.

إنّ البحثَ في خيالكَ وتثقيفِه ييسّران لكَ بلوغَ هدفِك. وسيعلّمك كيفيّة ضبط العناصر المهمّة التي ستبني بها كون كتابك.

أنت تترك دائمًا بصمة فريدة من شخصيّتك باختيار كلماتك وطريقة تعبيرك. وهذا ما نسمّيه وهو ما يميّز كلّ كاتب شأنه شأن الطّبع الخاص بكلّ كائن بشريٍّ. ولْتضعْ، حتى تتجنّب التّشتّت، جدول أوقات جادّ. اِبحث عن الفترة من النّهار التي تكون فيها أصفى قريحة. وستكتشف، وأنت تنجز تمارين الكتابة التي نعرضها عليك في الفصل الثّالث في ساعات مختلفة، هل أنت أغزر إنتاجًا في الصّباح أو الزّوال أو النّهار أو المساء أو اللّيل. فمفتاح النّجاح رهين مثابرتك و .

وإذا حملت نفسك كلّ يوم على هذه الرّياضة الذّهنيّة، وهي أشبه بما يقوم به الرّياضيّون من الطّراز الرّفيع، اعتاد فكرُك شيئا فشيئا على الكتابة و . ولبلوغ هذا، عليك بداهةً أن تختليَ في مكانٍ هادئٍ مريح لا يزعجك فيه أحدٌ كأن يكون غرفة من غرف دارك فيها تشعر بالرّاحة. فإذا كنت تكتب في النّهار فإنّ موسيقى هادئة تختارها تخلق لك جوًّا مناسبًا لقريحتك. وإذا كنت تكتب في اللّيل فإنّ الإضاءة الخافتة وأنوار المدفأة والشّموع، علاوة على الموسيقى، تكونان رفقة لك تحثّ على التّأمّل شأنها شأن أحواض الأسماك.

ولكلّ فصل سحره. فالحدائق والغابات والمنتزهات والبادية والجبل والبحيرات والأنهار والبحر أماكن أثيرة لتأليف نصوصك. إلاّ أنّه إذا كنت تقطن شقّة أو غرفة يمكنك أن تستمدّ إلهامك بأن تثبّت على الحائط معلّقة أو صورة أو لوحة تهزّ منك النّفس هزًّا.

إنّ لي، حين أكتب، طبعَ النّاسِكِ ومن حسن الحظّ أنّ لي مكتبًا، هو غاري وملجئي وحديقتي السّرّية، أنـزوي فيه لساعات طوال فأنا محتاجة إلى الانعزال كي أفكّر. ولم يكن لي دائمًا مكتب. فقد حرّرت أوّل كتبـي في المطبخ على كرّاس وكان ابني نائما في حضني.

وعلى كلّ كاتب ناشئ أن يهيّئ حيِّزًا يكون له واحة انعتاق وخلق. وليس من اللاّزم أنْ نعيشَ في قصر أو منـزل فخم حتى نُصبح كُتّابًا

مشهورين. فقد أتى حينٌ من الدّهر، ألّف فيه كتّاب كبار روائعَ في حجرات ضيّقة سقفُها منخفض لا يصحبهم إلاّ الجوع والبرد والتمرّد والصّمت وضوء شمعة. إنّهم حجّة على أنّه بوسعنا أنْ نعبّر عمّا يختلج في صدورنا دون أنْ ننعمَ بالرّخاءِ.

وإنّ حالهم تؤكّد أيضا أنّه يمكننا أنْ نكتبَ على نحوٍ اختباري أيْ بطريقة عصاميّة تستند إلى تجاربنا الخاصّة دون شهائد وهو ما يشبه بعض الشّبه مدرسة الشّارع حيث نتعلّم الحياة على نحوٍ مغاير. ولقد تعلّمتُ أنْ أكتبَ بهذه الطّريقة دون أن أحصل على شهادة الثانويّة ودون أن أتابع درسًا في الكتابة ودون أن أدرس أيّ شيء، كانت بـي حقّا رغبة لتأليف الكتب منذ نعومة أظفاري.

لقد تعلّمت تأليفَ الكُتُب وأنا ألاحظ وأحلّل كلّ ما يحيط بـي بنظرةٍ جديدةٍ. اعتمدتُ الغريزة مصغية إلى قلبـي وأنا فخورة بذلك. وبفضل هذا الانضباط أردّد في ما بيني وبين نفسي كلّ صباح منذ سنوات: "اليوم وفي كلّ يوم يمرّ لا بدّ لي أن أتعلّم شيئا جديدًا مهمًّا، شيئا يجعلني أفكّر وأتطوّر في نصوصي" ولم أخالف هذه القاعدة منذ عشرين سنة.

وفي موضع يتلو، خصّصت الفصل 16، لما أخذ فيه بعض الكتّاب المعروفين من مسالك ورويتُ لكم أيضا مساري الشّخصيّ. وهكذا تدركون أنّ كتّابًا آخرين قبلكم جرّبوا الرّهبة والشّكّ ووضع النفس موضع تساؤل والنّقد الذّاتي والخوف من حكم الآخرين وعاشوا أيضا رعب جفاف القريحة.

معدّات الكاتب

- كرّاس أو حافظة وثائق مع أوراق منفصلة.
- قلم وقلم لبدي أصفر وقلم رصاص.
- كنّش للتّقييدات
- قاموس حديث
- قاموس للمترادفات
- حاسوب
- حافظة أدوات الكتابة

توجد حافظات أدوات كتابة جميلة جدًّا أو وسادات قراءة سعرها في المتناول، صَنَعَهَا فنّانون من الكيبِاك (راجع الفصل 17).

لقد أحدث عصر الحاسوب، باطّراح الآلات الرّاقنة، ثورةً في الكتابة غنمت منها غُنْمًا كبيرًا. ويبيّن النّجاح الباهر للأنترنيت إلى أيّ حدّ يحبّ الناس الكتابة والتّواصل بالكلمات. ويخيّل إليّ أحيانا أنّني كائن وافد

من كوكب آخر حين أذكر للنّاس أنّني كتبت كتابيّ الأوّلين باليد ورقنتُ ثلاثة كتب أخرى بآلة راقنة كانت، وقتئذٍ، من أجود ما يكون.

كنت أستخدم ماحيًا سائلا وكثيرًا ما كنت اضطرّ إلى إعادة رقن صفحات برمّتها. وكنت أعتبر الحواسيب آلات جهنّميّة مستغلقة على فهمي. وفي المرّة الأولى التي امتلكت فيها حاسوبًا يعالج النّصوص معالجة حقيقيّة أدركت إلى أيّ حدّ كان هذا الابتكار عبقريًّا.

يفضّل بعض الكتّاب أن يحرّروا مخطوطاتهم باليد ثمّ يرقنون بعد ذلك نصوصهم بالحاسوب في حين يرقنها بعضهم الآخر رأسا على لوحة المفاتيح. وكلتا الطّريقتين مقبولة ولكم أن تختاروا طريقتكم. بيد أنّه إذا كنتم لا تملكون حاسوبًا وترغبون في أن ينشر ما تكتبون فإنّ أغلب النّاشرين يرفضون نصًّا مخطوطًا أو مرقونًا ويطلبون منكم مدّهم بقرص مرن وبنسخة من مخطوطكم مطبوعة طباعة جيّدة.

وينبغي أن يكون تعلّمكم اليوميّ للكتابة لعبة مثيرة ممتعة لا عملاً شاقًّا أو مصدر إزعاج. ولا تُقلِع البتّة عن مواصلة الكتابة أمام الصّفحة البيضاء. بل، على العكس من ذلك، اِجعلْ لك تحدّيًا: أن تبلغ نهاية حتى تثبت لنفسك أنّك قادر على ذلك بما لك من كفاءة شخصيّة.

والهدف من هذا الدّرس أن تجعل عقلك في وضع راحة وتحفّز وقبول للتّأثّر والانفعال حتى يقوِّيَ فيك إرادة النّجاح. وسواء عليك أكَتبتَ فقرةً يسيرة أم صفحة أم أكثر فالأصل أن تمسك بقلمك كلّ يوم كيْ تُجَوِّدَ كتابتك وتتعلّم التّلعّب بأفكارك وكلماتك وجملك فتنظّمها.

وسيعلّمك كيف تطلق العنان لفكرك فيسعى في عالم الكلمات. وستكون من الفائزين بفرض هذا النّظام اليومي على نفسك دون أنْ تَخْلِفَ وعدك. وهكذا تبرهن على أنّه بوسعك أن تجسّم أحلامك بواسطة قوّة الذّهن. وستكون حينئذ واحدًا من العائلة الموسّعة للكتّاب الذين حالفهم النّجاح بتجسيد رؤاهم على صحائف من ورق.

وعلى قدر ما تكتب تفهم دواليب عالم الكتابة الشّيّقة وتحيط بها. وبمرور الوقت تتوصّل إلى ترجمة أفكارك إلى كلمات ثمّ تخرج الكلمات في أحسن معرض حتى يكون لها شأن في الجمل. ويمكنك بعد ذلك أن تنطلق في المغامرة الكبرى، وهي هدف كلّ كاتب: أن تضع كتابك بأن تغمس كلّ يوم ريشتَك في مِداد عواطفك.

فلا شيء أرفع للشأن في عين الكاتب من أن يرى يومًا مخطوطه وقد استحال كتابًا استحسنه ناشرٌ فأخرجه للنّاس وطالعه القرّاء. وإذا أعجب أهلُ الاختصاص بثمرة رحلتك في قلب الكلمات تلذّذْتَ أنت أيضًا هذه المكافأة الرّائعة.

أتكتب وحدك أم مع شخص آخر؟

وحدك ستظلّ سيّد نفسك وتحافظ على حرّيتك في الاختيار. وإذا

أقدمت على تأليف كتاب مع شخص آخر فلتتأكّد من أنّ بينكما تواطؤًا ثابتا وتناغمًا تامًّا حتى تتجنّب اختلافات في الرّأي تكدّر التّفسَ.

هل ينبغي لك أن تسرّ إلى المحيطين بك بأنّك تكتب كتابك الأوّل؟

هو اختيارٌ شخصيّ. وأقترح عليك أن تنظر في الأمر بما له وما عليه فقد تواجه تعاليقَ خرقاء أحيانا أو طائشة قد تسيء إليك أو تثبّط عزيمتك.

فأكبر عيوب المرء أنّه يحكم أحيانًا بحسب ما يروق له دون أن يقيس الأمور بما يُعجب غيرَه. فاصطفِ لك منْ يكثر من التّشجيع وتحاشَ العيّابَ. وإنّ النّاشرين والكتّاب الذين أثبتوا جدارتهم لقادرون وحدهم على تقييم ما كتبت فتلك مهنتهم وأنا قلّما عرضت على أناس من المحيطين بـي قراءة نصوصي.

أنا أفضّل أن أُصغِيَ إلى رأي ناشر. ثمّ إنّني أعتقد أنّ مَنْ لم يكتب أبدًا في حياته ليس أهلاً لأن يُصدِرَ حُكمًا صائبًا في المحاولات الأولى الشّجاعة لكاتب ناشئ. فمثله مثل ناقد شريط سينمائيّ أو إسطوانة لم يخرج في حياته شريطًا أو لم ينتج أغنيةً.

إنّ مهنة الكاتب من أجمل المهن في العالم. فهي حافلة بالتّشويق وتُيسّر الالتقاء بملايين القرّاء على البسيطة. فقد عبَرَت هذه المشاركة التّراسليّة القرون ولم يمسسها البِلى، لتصل إلينا حتى تُربّينا وتُدهشنا وتُباغتنا وتحملنا على التّفكير أو التّأثّر أو الاهتزاز طرَبًا أو الابتسام أو الارتجاف خوفًا أو البكاء.

إنّ الكتاب علبةُ عواطف يمكن لكلّ منّا أن يتعرّف فيه على نفسه من خلال أفراح الشّخصيّات ومِحنها وأخطائها ونجاحها وصراعها ومعاناتها وانحرافاتها الإنسانيّة: فالقرّاء يحبّون أن يروْا أنفسهم في الفاعلين الذين يتحرّكون في الكتب مثلما يتابع المشاهدون مسار أبطالهم في السّينما أو التّلفزيون.

ولتتذكّر أنّه كان للكتاب، بشكله الحالي، في الأصل، أسلاف من موادّ نبيلة كرمال الصّحراء والتّلال الطّبشوريّة والأحجار المنقوشة في الكهوف والمغارات وألواح الطّين المحمّى ولفائف البرديّات والمنسوجات ولحاء الأشجار وجلود الحيوانات. وعلى أيّامنا ينحدر الكتاب من غابة تَضُوع من صفحاته ممّا يجعل لكلّ أثرٍ عطرًا فريدًا.

ولتتذكّروا أيضا أنّ مهنة الكاتب هي فنّ الترفيه عن القرّاء برواية حدثٍ مألوفٍ، في الغالب، بطريقة غير مألوفة حتى يصبح المألوف مُشوّقًا وذلك بفضل الخيال ومعرفة النفس وسحر الكلمات. ولتتأمّلوا هذا الأمر فمن المهمّ أنْ تعتصموا بروح الطّفل فيكم وبملكتكم في الاندهاش إذا كنتم تريدون حقًّا أن تصبحوا كُتّابًا.

إنّ المؤلّف يتنفّس بالكلمات التي تنفذ من مسامّ جلده وهو يشعر بها ويدركها ويتخيّلها ويكتبها ويعيشها طوْرًا فطوْرًا. ولهذا كانت مهنة الكاتب مهنة المفاجآت جميعها.

الفصل 2: مختلف النّماذج اللّغوية

"لا بدّ للمرء، كي يصبح مؤلّفًا، أن يتدرَّب على ألعابٍ سِحريّةٍ بفكره"

ما السّبيل إلى التّخاطب النّاجع مع النّاس أوِ القُرّاء؟ مَا العمل لتبليغهم أفكارك باكتشاف طرائقهم في التّعبير؟ فلكلّ شخص إدراكه الخاصّ لمحيطه.

إنّ تاريخ حياة أيّ فرد تاريخٌ فريد. فقد صاغ الوسطُ الذي عاش فيه وترعرع رؤيتَه إلى الواقع وانتظمت في دماغه جلّ المعلومات التي جمّعها منذ ولادته. وبحسب المخزون الجينيّ يرى بعضُ الأشخاص محيطهم ويسمعه بعضهم الآخر أو يشمّه.

وغالبًا ما يُولّد هذا الاختلاف في التّأويل ردود فعلٍ متناقضة إزاء الحدث نفسه. وهذا ما يفسّر، على سبيل التّمثيل، الرّوايات المتضاربة من شهود عيانٍ عند وقوع حادث من حوادث الطريق أو في مسرح جريمة. فكلّ شخص يقدّم روايته للوقائع نفسها بعيون مختلفة. والأمر شبيه بعض الشّبه بما يحدث في الطّلاق!

وترتبط ضروب عدم التّوافق في الطّبع ارتباطًا مباشرًا بنماذج اللّغة الثّلاثة بما أنّها تنتج حوار عميان أو حوار طرشان أو حوار صمّ بكم. أمّا ضروب التّآلف فهي على العكس من ذلك إذ تقوم شاهِدًا على أنّ التّخاطب يمكن أن يكون متناغمًا حين يتوفّق الأشخاص إلى اكتشاف صِيَغ الاستعمال عند بعضهم بعضا. ولهذا تُلاقي في حياتك أُناسًا تستلطفهم وآخرين يكون استلطافك لهم أضعف.

وإنّك وحدك من يُقرّر إن كنت تفكّر بالصُّوَرِ أو بالأصوات أو بالأحاسيس. ومن المفيد لك أن تتعلّم هذه النّماذج الثّلاثة من اللّغة حتى يفهم عنك قُرّاؤُكَ في المستقبل فهمًا أفضل. والحقّ، أنّ كلّ كائن بشريّ يمكن أن يكون مزيجا من هذه المفاتيح الثلاثة بيد أنّ أحد النّماذج الثلاثة يكون أعمق أثرًا في شخصيّة كلّ فرد، وهذا ما يحدّد أسلوبه في الوجود والتّواصل مع الآخرين.

أتعلم أنّ هذه التّقنيات المقصود بها تجويد نوعيّة التّحادث يدرسها بعضُ رجال الشّرطة وعلماء النّفس والسّياسيّين والعاملين في المؤسّسات الكبرى؟ فييسّر لهم هذا التّعليم أن يصبحوا أكثر صبْرًا على مخاطبيهم وأعطف قلْبًا بتجنّب الأحكام المتسرّعة أو المواجهات العقيمة.

إنّ هذه الأدوات ثمينة لأنّها تُمكّن أيضًا الواحد منّا من أن يكون أفضل وأن ينفتح على الآخرين في بُعْدٍ آخر من الأبعاد. فخطاب شخص مَّا ثريّ بالمعلومات عن الطّريقة التي يبني بها تجربته عن العالم. وبوسعك، إذا عرفت الكلمات المفاتيح والتّعابير التي يستعملها الآخرون، أن تتواصل معهم على نحوٍ أيسر باستخدام لغتهم الخاصة.

ولا سرّ في الأمر فمن المنطقي أن تتعلّم كيف تكون ملاحظَا لكلّ ما تراه وتسمعه وتشعر به.

وعادةً ما نجد أنواعًا ثلاثة من الكتب توافق نماذج التّعبير الثّلاثة التي تتّجه إلى أصحاب البصر وأصحاب السّمع وأصحاب الشّعور. وعلى هذا الأساس تروق بعضُ الرّوايات فئةً من القرّاء دون غيرهم. ويكمن التّوازن الضّروري للكتابة في فهم تلك المفاتيح الثّلاثة وإدراجها في نصوصك حتى تستميل جمهورا واسعا من القرّاء. فشيْء من معرفة النّفسيات لا يسعه إلاّ أن يساعد المؤلّف في تطوّره المهني والشّخصي. ويتمثّل الرهان المثاليّ في أن يبذل الجميع جهودًا حتّى يستحسن بعضنا بعضا غير أنّ هذا الأمر، للأسف، ليس جزءًا من النّظام الجينيّ لجنس البشر.

ف**صاحب البصر** لا يمكنه أن يسمع ما يَرَى. و**صاحب السّمع** لا يُمكنه أن يَرى ما يسمع و**صاحب المشاعر** لا يمكنه أن يرى أو يسمع ما يشعر به.

أمثلة

إذا سأل **صاحب البصر صاحب السّمع**: "أترى ما أريد قوله؟" فإنّه لن يفهمه.

وإذا سأل **صاحب السّمع صاحب البصر**: "أتسمع ما أقول؟" فإنّه لن يفهمه.

وإذا سأل **صاحبُ المشاعر صاحبَ البصر وصاحبَ السّمع**: "أتدركان ما أريد قوله؟" فإنّهما لن يفهما عنه.

وإذا تواصَلْت مع شخص في إطار أنموذجه اللّغوي، رأيت أنّ التّواصل يجري على نحو طبيعيّ.

فصاحب البصر سيقول: "واضح" حين يرى بالصّورة ما قلته له.

وصاحب السّمع سيقول: "أقول في ما بيني وبين نفسي إنّه يكلّمني" حين يسمع ما قلته له.

وصاحب المشاعر سيقول "أحسّ أنّ" حين يفهم ما قلته له.

الكلمات المفاتيح للغة البصر

رأى وشاهد وأظهر ونظر بإعجاب ووصف وصوّر (التّفاصيل والأشكال والألوان والحركات).

الكلمات المفاتيح للغة السّمع

سمع وتكلّم وقال وأنصت وسأل وحاور (الأصوات والضّوضاء).

الكلمات المفاتيح للغة المشاعر

لمس وفكّر وأحسّ وفهم وشعر وعانى (الأحاسيس بعامّة)

مثال على أنموذج صاحب البصر

"كان ماكس مأخوذًا بجمال الذّئب الخلاّب. فمظهرُه العامُّ يذكّر بمظهر الهوسكي، تلك الكلاب صلبة العود التي تجرّ المراكب الثّلجيّة كما يذكّر بكلاب البرجي الألمانيّة التي تعلّق بها لفترة طويلة. ولكن الحيوان كان أضخم جثّة وأقوى عضلات من بني جنسه. ففروه كثّ

أبيض انتثرت فيه شعيرات فضّية وذيله خليط بديع. وهِهما بقعتان رماديتان غامقتان موزّعتان توزيعًا حسنًا تحيطان بعينيه الذّهبيّتين في تباين مع شعر جبهته الثلجيّ. كان ذئبًا من القطب الشّمالي، ذئبًا حقيقيًّا لا شبه ذئب معروق مغلوبٍ على أمره ممّا نراه في حدائق الحيوانات وممّا يكون أقرب إلى مسوخ مخيّبة للتّوقّعات."

أماروك، روح الذّئاب

(1) **ملاحظة من النّاشر:** إثر كلّ شاهد يُذكَر الكتاب الذي اقتطف منه. وللإحالة الكاملة عد إلى قائمة المراجع في نهاية الكتاب.

مثال على أنموذج صاحب البصر

"بجهد كبير كالحلزون العاري الظهر زحفت إلى أن بلغتُ مدخل خيمتنا. أيقظني ما لمحته فورًا. ما هذا؟ أعجاز في كلّ مكان من الجدول. ليست أعجاز حيوانات بل أعجاز بشر. من كلّ الأحجام ومن الجنسين ومن كلّ الأعمار. أألقت بنا اللّيلة المقمرة في كوكب آخر؟ خُيّل إليّ أنّهم من كوكب آخر. غريب والله لقد ظننت دائمًا أنّ القادمين من الكواكب الأخرى خُضْر لهم قرون اِستشعارٍ ولم أتصوّر البتّة أنّهم يشبهون البشرَ وأنّ لنسائهم أردافًا على هذا القدر من الجمال. هذا دون الحديث عن نهودهنّ. وحينئذ تفطّنتُ إلى أنّهم قوم على مذهب العُرْيِ."

اِستغاثة الأجيال

مثال على أنموذج صاحب البصر وصاحب السّمع

"اِستقرّت الحامية كلّها على أسوار الحصن حتى تعاين عن بعد مجلس الحرب الموسّع الذي دعا إليه بيي ديي كربو. لم يخلُ المشهد من بعض الغرابة. ففي اللّيل سمعنا قرع الطّبول وأناشيد رقصات الحرب. آلاف من نقاط الضّوء التي تعكسها المشاعل كانت تتحرّك في العتمة. بعد مدّة، سمعنا صرخات مبحوحة وصيحات حادّة مزّقت سكينة اللّيل."

غروب الشّجعان

مثال على أنموذج صاحب السّمع وصاحب البصر

"تواصلت العاصفة الرّمليّة على نحو أقوى وأشدّ ودوّى هزير الرّيح العنيف بين الكثبان كصدى مُصفِّر. إنّ ريح الصّحراء رهيبة لأنّها تبدّل بجبروتها المشاهد تبديلاً. أصغوا إلى حسّهم السّليم وباتوا في العراء حتى لا يجابهوا عبثًا هيجان عناصر الطّبيعة. وغطّوا آذانهم بالمناديل حتى لا يسمعوا الصّخب المصمّ الذي ملأ الصّحراء وتبدّد مع الفجر. وفي اليوم الموالي طلعت الشّمس فاجتازوا الحدود الفاصلة بين الجزائر والنّيجر. لقد كانت الصّحراء مهيبة. أفلم تكن أوّلا وقبل كلّ شيء قفرًا من معادن تكوّن الصّخورُ والرّمالُ، صُلبةً أو مسحوقةً، مشهدَه الشّامل؟"

على طريق الطوارق

مثال على أنموذج صاحب المشاعر

"إنّني أبحث عن الحبّ العظيم، الحبّ الفريد الذي لا نصادفه إلاّ مرّة واحدة في حياتنا. فكيف لم يعثر أحد على تعريف للحبّ في عصر مشى فيه الإنسان على سطح القمر؟ إنّ الحبّ هو أن تحبّ شخصًا آخر بقدر ما تحبّ نفسك وأنْ تهتمَّ به وتكونَ قادرًا على العيش معه رغم الاختلافات. إنّ الحبّ جملة من تفاصيل صغيرة خطيرة ينبغي أن تحرص على ملاحظتها يوميًّا حتى تتقاسمها مع من تحب على نحوٍ أفضلَ."

كابوس الحبّ

مثال على أنموذج صاحب المشاعر

"محوت جميع الذّكريات التي قد تذكّرني بالفتاة إلاّ واحدةً، رسم أهدتني إيّاه وهي تضع على خدّي قبلة كبيرة. أرجو أن تكون لها حياة طيّبة وألاّ تصير بغيًّا اِفتراضيّة مثل أمّها. وأعتقد أنّ خن-زيري الهندي يحنّ هو أيضا لجلاّده الصّغير حامل التّنّورة فقد تقدّمت في المدّة الأخيرة باعتذاراتها عارضة عليه أوراق السّلطة التي تعادل عنده الكَفْيَار. وفي آخر الأمر انهرتُ وبكيتُ فقد تفطّنتُ إلى أنّني متعلّق بالفتاة أكثر ممّا أنا متعلّق بأمّها".

البحث الافتراضي عن الغواني

فَلْتَتَسلَّ، في ضوء هذه الاِكتشافات الجديدة المجعولة للتّواصل مع الآخرين، برصد الطريقة التي يعبّر بها المحيطون بك: العائلة والأصدقاء والزّملاء في العمل والجيران وحتى من لا تعرفهم (كالنّادل في المطعم أو البائع في المتجر... إلخ). فلا شيْء أمْتَع للقلب ولا أثْرَى للفكر من إمعان النّظر في سلوك الإنسان!

ولقد أثبت العلماء أنّ دماغنا منقسم إلى جزءين متمايزيْن هما النّصف الأيسر والنّصف الأيمن. فأمّا الجزء الأيسر فيمثّل المنطق والعقل والعقلانيّة وأمّا الجانب الأيمن فيمثّل العواطف والأفكار اللاّواعية والتّخيّل. وأدعوكم إلى قراءة الفصل 17.

الفصل 3: تمارينك اليوميّة في الكتابة

"يجب أن تولد الفكرةُ من الرّؤيةكما تنقدح الشّرارة من الحجارة"

لنا أن نشبّه تمارين الكتابة بما يلزم الرّياضيّين من حركات إحمائيّة. ونصيحتي إليكم أن تعملوا على إنجاز التّمارين المذكورة مناوَبةً على امتداد أسابيع بحسب نسقكم، مرتّبة أو غير مرتّبة، حتى تُرهفوا حسّ المبادرة والتّساؤل والملاحظة فيكم. إنّها تمارين ستفتح شيئا فشيئا أبواب خيالكم وتُسْهِمُ في نجاحكم.

ولا تنـزعجوا إذا ما تملّكتكم الحيرة وابتُلِيتُمْ بمتلازمة الخوف من الصّفحة البيضاء، فهي مصدر قلق جميع المؤلّفين. حافظوا عل تفاؤلكم الفيّاض ولذّة الكتابة عندكم محافظة، مبتعدين عن الأفكار السّلبيّة من قبيل "لن أبلغ مبتغايَ" و"لست قادرا" و"هذا صعب صعوبة بالغة".

وعلى العكس من ذلك، روّضوا أنفسكم على أن تكون لكم روح معنويّة قويّة مردّدين في ما بينكم وبين أنفسكم مرارًا في اليوم: "لقد آليتُ على نفسي أن أضع كتابـي الأوّل وسأبلغ مرادي لأنّ لي ثقة في النّفس". أقدموا دون خشية وحبّروا صفحتكم البيضاء بالكلمات حتى إنْ بدت لكم جُمَلُكُمْ غير متماسكة. أرخُوا العنان لِريشَتِكُمْ خاطّين كلّ ما يخطر ببالكم. وشيئا فشيئا ستنبثق أفكاركم وحَسْبُكُمْ أن تُنَظِّمُوهَا بعد ذلك.

صوغوا جُمَلاً قصيرة بسيطة مباشرة. وستعلمون في طور لاحق كيف تجعلونها مصوّرة وكيف تثرونها بالتّفاصيل وتجتنبون التّكرار. لا تتردّدوا في تبديل كلماتكم وتنويعها وفي إعادة صياغة جُمَلكم. فمن أسرار التوفيق أن تعيدوا تمارينكم إلى أن تصبحوا راضين عمّا تتوصّلون إليه. وإذا لم يكن الأمر كذلك فلا تتخلّصوا بالخصوص من أوراقكم ولا تتركوا الغضب والضّيق يتمَلَّكَانِكُمْ على نحوٍ سلبيٍّ. خذوا ذلك باستخفاف وتهوين من المسألة. انصرفوا إلى نشاط آخر تهدئةً لتوتّركم ثمّ عودوا إلى نصوصكم في ما بعد أو في اليوم الموالي.

ينبغي أن يكون في اِتّباع متعة لا شعور بتحمّل مشقّة. اِشرعوا في تمارينكم مبتهجين كما لو كانت منشّطات أو جرعات منعشة من الفيتامين أو لعبة ألغاز مطلوبا حلّها بطريقة مسلّية.

ومن اللاّزم أن يكون الرّابط الموجّه لنصوصكم رابطا منطقيًّا. ركّزوا على الموضوع الذي تريدون التّأليف فيه دون أن تُدْخِلُوا الاضطراب على أفكاركم آخذين من كلّ واد عصا. عبّروا، بعفو الخاطر، على نحوٍ بسيط، وبوجدانكم واجتنبوا التّفخيم ووحشيّ الألفاظ. فالقرّاءُ يرغبون عن مراجعة القواميس بحثًا في دلالة كلمات متعالمة. اجعلوا نصوصكم مريحة بتوزيع فقراتها حتى تكون مطالعتها محبّبة إلى

النّفس.

ويمكنك أيضًا أن تحلّيَ نصّك بعنوان، إذا كان ذلك ممّا يُسهّل لك مهمّتك، ولكنّه أمر على وجه الاختيار ما دام متعلّقًا إلى حدٍّ الآن بتمارين. وإذا طال مجيء العنوان فاطْرَحْ ذلك جانِبًا واشرعْ في تحرير التّمرين الذي اخترته. ولْتَكُنْ دقيقًا في ما تَكتُبُ متسائِلاً عن الأمور الأساسيّة: أين؟ ومتى؟ وكيف؟ ولِمَ؟ وهذا الحرص على البيان يرمي إلى إيضاح أطوار ما تكتبه.

وستوجّهك هذه التّمارين إلى الاختصاص الأدبـي الذي يناسبك أكثر من غيره ويجعلك، في الآن نفسه، تأنس لتحرير كتابك القادم. فأنْ تروي في صفحة أو صفحتيْن حكاية لممّا يفيدك حين يكون عليك أن تحرّر كتابًا بمائة صفحة أو أكثر. ولا تنس أنّ جلّ المؤلّفين يتدرّبون، هم كذلك، في غير أوقات تحرير كتُبِهم، ليحافظوا على حيويّة الإبداع عندهم والسّرعة في تحليل الأوضاع. فَلْتَتَعامَلْ مع هذه التّمارين على أنّها وصفات طبخ تختبرها لأوّل مرّة.

إذا كانت المكوّنات مخلوطة على نحو رديءٍ عليك أن تُعيد الكرّة ببساطة إلى أن تصبح وصفتك في الطّبخ قابلة للذكر في قائمة الأطعمة بمطعم جيّد. وليس الخطأ مصيبة ما دُمْنَا نتعلّم من ذلك في تواضُع. فلا يكون المرء مؤلّفًا وهو في عجلة من أمره بل يصبح مؤلّفًا بأن يكّدّ كي يكون جديرًا بالمكافأة التي يكتسبها فخورًا بها. ثِقُوا في أنفسكم وستفاجؤون، أبْهَج مفاجأة، بنتيجة جهودكم.

وأيْسَرُ طريقٍ للاستئناس بالكتابة هو أن تكونوا على سَجِيَّتِكُمْ ما أمكن وأن تعبّروا عمّا في صدوركم لا تخشَوْن في ذلك حكم نظرات قد تخالونها متطفّلة وهي في الواقع غير ذلك.

ليست الكتابة مَحْكمةً، إنّها نصيرٌ متحمّس لحرّية التّعبير إذ لا مولى لها ولا سيّد. إنّها حرّة في أفكارها لذلك كانت في متناول الجميع. لا شيء تافه بالنسبة إلى الكتابة فلتعبّروا بأريحيّة ولْتتجرّؤوا ولْتندفعوا منطلقين دون كمّامات ولا حواجز ولا حدود. ويجدر بك أن تأخذ الوقت الكافي للتّمرّن. تخيّلْ نفسك في رياضة ذهنيّة تُبارِز فيها خلاياك العصبيّةُ الأفكارَ والكلماتِ. وإنّ هذه التّمارين أساسيّة فلا تمرَّ عليها مرور الكرام وابذُلْ جُهدك للتّفكير فيها وإنجازها بكلّ إخلاص.

اِجعلْ فكرك يشتغل وأنت تتسلّى، أَحْيِ فيك النّفس وأنت تتطلّعُ وتتساءلُ دائمًا وتتناول حتى الأسئلة الأقلّ احتمالاً والأشدّ جنونًا. اِستخدم خطط العمل الواردة في الفصل 4. فهذه الخطط ستكون، بوجه من الوجوه، خلاصةَ أفكارك كي تحميَها من الضّياع. وإذا ما عبّرت عن كلّ موضوع بكلمات مفاتيح أمكن لك أن تصوغ نصوصك بجُمَلٍ.

وليس يكفي أن تستظهر نصًّا من النّصوص بل ينبغي كذلك أن تُكسِبه صبغة شخصيّة وأن تخرجه في معرض حسن لِيَلْوِيَ الأعناق إليه.

ولك أن تكتفيَ بعرض موضوع كلّ تمرين ولكن اِسْعَ أيضًا إلى أن تضيف إلى ذلك أحداثا وأوصافًا وتفاصيلَ وبعض الطّرافة.

تجنّب الإطناب وهو وجوه من تكرار الألفاظ ذات المعاني المتماثلة

- رأيته بأمّ عيني
- أصفّق بيديَّ
- غادر إلى الخارج
- صعِدَ إلى أعلى
- نـزل إلى أسفل
- وابل من المطر المدرار
- صَفق الباب في جلبة
- بنى منـزلاً جديدًا
- قهقه ضاحكًا
- اِنتصب واقفًا
- سارَ على رِجْليْهِ
- السّماء تمطر في الخارج
- تعاونا معًا
- لأنّه هو فعلاً
- صدفة غير منتظرة
- جمع معًا
- واصل مرّة أخرى
- أضاف مع ذلك.

نماذج من التّمارين التي يُطْلَبُ إنجازها كلّ يوم

- صِف شخصيّة والديك أو أبنائك
- تحدّث عن شخصيّة تاريخيّة تثير إعجابك
- تحاور مع شخصيّة خياليّة تختارها
- صِف شخصيّة كنت تودّ أن تكون مثلها
- أُكتب رسالة تُنوّه فيها بخصال فقيد
- تحدّث عن شريط يعجبك إعجابًا خاصًّا
- صف وضعًا مضحكًا وجدت نفسك فيه
- اِرْوِ حدثًا مهمًّا ممّا عشته
- صِف مكانًا تودّ أن تعيش فيه
- علّق على برنامج يعجبك
- صِفْ حيوانًا إذا كنت تملك حيوانًا
- قُصَّ بعضًا من طفولتك
- تحدّث عن أوّل مهنة زاولتها
- تحدّث عن إحدى سفراتك
- صِفْ أحد أحلامك

تدرّب أيضًا على في كنّشك أو تسجيلها بآلة التّسجيل الصّغيرة في أيّ حينٍ من اليوم. فالأفكار عابرة شأنها شأن الأحلام: إنّها، ويا لَلْغرابة، إذا لم نسجّلها، عادةً، وإذا لم نحفظها و البتّة فهي تطير في خفّة الفراشات. إنّها من النّعم التي لا تدوم إلاّ برهة. فلا مناص إذن من أن نتعوّد على تدوينها، إذا أمكن، مهما تكن الألفاظ والصّوَر والكلمات التي تخطر على البال. فَلِي شخصيًّا دائمًا كنّش وقلم على طاولة السّرير وآخر في حقيبتي اليدويّة أيضا، فليس

للأفكار آنات محدّدة تتجسّد فيها. ولتتصوَّرْ دفترك الصّغير كسلّة من الخيزران تضع فيها بلطف قِطافَ أفكارك كلّما زارتك هذه الأفكار.

وإليك ثلاثة تمارين لترى إذا كنت تحبّذ أن تكتب بضمير المتكلّم المفرد (أنا) أو بضمير الغائب المفرد مؤنّثًا أو مذكّرا (هو، هي). وستجد حلول هذه التّمارين في الفصل 17.

حوِّرْ هذا النّصّ المنتخب بإسناده إلى ضمير المتكلّم المفرد "أنا"

"انفصل الذّئب عن الرّجل واتّجه بتؤدة نحو جثث هامدة لأبناء جلدته. استقرّ أمام جثّة أنثاه وشرع يعوي مصوّبًا مخطمه نحو السّماء. كانت صرخته نشيجًا لا ينقطع يمزّق القلب. كان ماكس، بعد عشرين عامًا من حرب الفيتنام يعيش كابوسًا ثانيًا. فقد وارى في أعماق النّفس ذكرى رفيقيْه اللّذيْن اخترقهما الخازوق في فخٍّ نصبه الفيتكونغ. كان النّاجي الوحيد ولم يستطع البتّة التّنفيس عمّا كابده. التحق ماكس بأومياك وجَثَا حِذْوَهُ. وطفِقَ الرّجلُ والذّئبُ يعويان، جنبًا إلى جنبٍ، ساعاتٍ طوالا وقد جمع بينهما ألمٌ واحدٌ إلى الأبدِ وبلغت صرخاتٌ تمرّدهما عنان السّماء."

أماروك، روح الذّئاب

حوّر هذا النّصّ المنتخب بإسناده إلى ضمير الغائب المفرد المؤنّث "هي"

"لهؤلاء الشّبّان المهذّبين لطف لا نظير له. إنّهم مثال في المجتمع. فهمتُ من حركات قسماتهم الظّاهرة أنّهم يريدون مصافحتي كعربون صداقة. أن ـزلتُ بلّور السّيّارة وقد تأثّرتُ بذاك القدر من الطّيبة تأثّرًا بليغًا كيْ أشكرهم بحرارة ثمّ وضعت بعفويّة قطع حلوى بالنّعناع في أيديهم الممدودة. ورأيتُ الدّهشة في أعيُنِهم. تفطّنْتُ إلى ذلك وسألتهم وقد خاب ظنّي: أتريدون حلوى بالكراميل؟ لم يكنْ لهُمُ الوقتُ للإجابة. فقد اِشتعل الضّوءُ الأخضَرُ ويجبُ الاِنطلاقُ. وفي المرآة الخلفيّة لمحتُ بتأثّرٍ، ويااللّمفاجأة، أنّهم يحيّوننا تحية وداع بحركات تهزّ المشاعر رافعين بإلحاح الأصبع الوسطى من اليَدِ اليمنى إلى السّماء."

اِستغاثة الأجيال

حوّر هذا النّصّ المنتخب بإسناده إلى ضمير الغائب المفرد "هو"

"أحبّ اِبني حبًّا جمًّا ولكنّني مع أميتيست أنعتق من إسار الواقع وأجرّب باندهاشٍ كبيرٍ مسؤوليّة العناية بنوع من الفتيات الافتراضيات. فهذه الفتاة المجهولة تجدّد، بمعنى من المعاني، صلتي بالحياة، وليست مشاعري نحوها إلاّ مشاعر أبويّة خالصة. ولقد اِستطاع هذا المزيج العجيب من الملاك والشّيطان إثارة مشاعري، أنا عديم الإحساس، لأنّني فهمت عذابها. وفي الخفاء أحيط أميتيست بعنايتي رغم علمي بأنّني أثير اِن ـزعاجها بنصائحي الصّادرة عن عجوزٍ غبيٍّ

يهذي."

البحث الافتراضي عن الغواني

في هذا المقتطف، اِبحث عن 11 كلمة أو تعبيرًا مدارها على البحر وعلى وجهة غريبة

"اِخترتُ لِباسًا ربيعيًّا وقبّعةً كبيرةً من القشِّ حتى أفتنَ ذئبَ البحارِ الجميلِ. وأنا أتخيّلُ نفسي بعد، مرسلة الشّعر للرّيح، بين ذراعيْ حبيبـي يحملني في مركبه الشّراعي الرّائع. يصطحبني إلى جزيرة نائية أين يَهِيمَ في حبّي. هناك، ينفخ طرزاني الجميل صدره ذا الشّعر الكثّ ويبني من الخيزران الكوخ الذي سيأوي حبّنا. وفي الأثناء أذهب رفقة فهدي الأليف لأقطفَ الأناناس، لابسة مئزرة عارية النّهدين. ويصطاد روبنسون الجميل سمكًا في البحيرة."

كابوس الحبّ

حوّر الجمل التّالية مستعمِلاً كلمات أكثر أناقة

- خافت ليلى خوفًا شديدًا
- اِتّجه اللّصّ مسرعا نحو العجوز
- قال لها أحبّك
- كانت ليلى تستفزّ خالدا
- جلس الحريف إلى الطّاولة
- دخلت الشاحنة بقوّة عنيفة في الحائط
- أخذها زوجها بين يديه في حُنوّ
- في تلك الصّبيحة أشعّت الشّمس
- قطفت باقات ورودٍ من كلّ لون
- أعرف لمِ ينبغي أن أنجز هذه التّمارين

اِستخدم خيالك واستعمل الكلمات السّتّ الموالية، مرتّبة، لتحرير نصّ قصير

طائرة وجزيرة وعطلة وراحة وشاطىء وكتاب.

أمْعِنِ التّفكيرَ ولا تُسرعْ في البحث عن الإجابة في الفصل 17!

إضافة إلى هذه التّمارين تَسَلَّ بإعادة صياغة مقالاتٍ من المجلاّت والصّحف بكلماتٍ أخرى حتى تدرك الفروق والوجوه وتفهمهما. وتُمَثِّلُ التّساؤلات عن أنواع المواضيع جميعًا، وخصوصًا الجوابات، مفتاحًا آخر من مفاتيح الكتابة. لماذا؟ لأنّ ذلك ييسّر لك أن تحافظ يوميًّا على ذهنٍ نشطٍ خلاّقٍ يقظٍ. وسجّل أيضا في كنّشك، وأنت تنجز تمارينك، أفكارًا قد توظّفها في كتابك (كبناء الوضعيات والذّكريات والملاحظات الشّخصيّة... إلخ).

وإذا ما كان لهذه التّمارين فضلٌ في مساعدتك على الشروعِ في الكتابة فنِعْمَ الأمْرُ. وإلاّ فأعد الكرّة من جديد. أفتعلم أنّك من فرط إعادة قراءَتك

ستكتشف مفاتيحك وحقائقك وحاجياتك الخاصّة. وأنت من سيجدها ويُحدّدها. وإذا كان بك شغف للبحث عنها أضحت لديك بيّنة جليّة.

الفصل 4: خطط عمل متنوّعة

"ما ينفذ إلى القلب ينتقش في الذّاكرة"

تساعدكم خطط العمل، أيّما مساعدة، عند تحرير تمارينكم بل تساعدكم أيضًا في ما بعد حين تشرعون في تأليف كتابكم، إذ يتعلّق الأمر، بادئ ذي بدء، بوضع الخطوط التّوجيهيّة لنصوصكم. فقلّما تجد كاتبًا لا يضع خطّة عملٍ. وهذا ممّا لا مناص منه، اللّهمّ أن تكون موهوبا وتتوصّل إلى تتبّع أفكارك دون أنْ تتداخل عندك.

والأصل في هذه الصّناعة سهل: نسمّي بداية الحكاية (أ) ونهايتها (ج) وبينهما وسط هو (ب) تملؤه لتتدرّج بالحكاية التي ترويها وأنت تحرّك الشّخصيات. إنّها طريقة أيضًا تحفّزك إلى قطع خطواتك الأولى وهي الأهمّ. وتوجد خططُ عملٍ عديدة لتيسير مهمّة المؤلّف وتمكينه من اِستجلاء أفكاره. فخطّة العمل مجعولة لمدّ يد المساعدة وليس للتّعسير. وفي الخطط المذكورة عبِّرْ عن أفكارك بجملة واحدة قصيرة أو بكلمة مفتاح.

وحالما تَفْرَغُ من إعداد تصميمٍ لنصّك يمكنكَ، عندئذ، أن تشرع فيه. وحتى تتعوّدَ على خطط العمل اِستعملْ قلم رصاص وممحاة وعدِّدِ التّجارب على سبيل التّدرّب. ولك أن تجمع بين أكثر من خطّة عمل أو أن تختبرها قصد تعيين أيّها أنسب لك. فعلى كلّ مؤلّف أن يسبغ على تنظيمه للعمل صبغته الشّخصيّة.

خطّة القصّة المصوّرة

هي خطّة تمكّن صاحبها من أن يبني تسلسلاً لأفكار مسجّلة في خانات ضامنًا تتابعها وتوافقها. ففي الخانة الأولى تدوّن فكرتك الأولى أيْ الخيط الموجّه وفي الخانات الأخرى تُواصِل فكرتك بكلماتٍ أو جُمَلٍ.

خطّة الشّمس

يشبه هذا المخطّط الشّمس. سجّلْ في وسطه فكرتك الرّئيسيّة ثمّ نضّد أفكارك بأن تقيّد، في كلّ شُعاعٍ مثلّث الشّكل، كلمةً مرجعيّة مُتّبِعًا في ذلك سير عقارب السّاعة، من اليسار إلى اليمين. كلّ قرص شمس يوافق فكرة. وإذا لم يَكْفِ قرص واحد يمكنك أن تستخدم أقراصا أخرى.

خطّة الهرم

في وسط الهرم قيّد فكرتك. ثمّ سجّل في كلّ سطر من أسطر الهرم الثّلاثة عرْضًا لوضعيّة مستخدِمًا كلماتٍ مفاتيحَ. واستعملْ من الأهرام العدد الذي يوافق مُجْرَيَاتِ حكاياتك.

خطّة الكتابة الآليّة

سجِّلْ على ورقة، وأنت تركّز على موضوع اخترته كلّ ما يخطر ببالك كيفَمَا جاء واتّفق وحينما تملأُ الصّفحةَ كلماتٍ وجُمَلاً، خُذْ قَلَمَكَ اللَّبَدِيِّ الأصفر لِتُبرزَ أهمَّ الكلماتِ والجُمَلِ. قدِّرْ بعد ذلك في ذهنك تَعَاقُبَهَا الزّمني ثمّ رتِّبْها مُسنِدًا إليها أرقامًا. وستكون هذه اللاّئحة مرجعًا هاديا لكَ.

الخطّة الحرّة

هي خطّة لا تخضع لأيِّ قيْدٍ. فافْعَلْ ما يحْلُو لك. بيد أنّكَ تحتاج إلى ذاكِرةٍ لا يُصِيبُهَا النّسيان حتى ترخي العنان لقلمك ولا تخشى ضَيَاعَ الأفكارِ التي لَمْ تُدوِّنْهَا.

ما الفكرة؟

إنّها لمعةٌ، لمحةٌ، موضوعٌ يخطر عفوا ببالِك. وأنْ تكونَ لكَ فكرةٌ يعني أنْ تفكّر وتُعْمِلَ ذهنك وتقولَ في ما بينك وبين نفسك إنّها جديرةٌ بأنْ تُطَوِّرَهَا من زاويةٍ مفيدةٍ بصفة خاصّة. أنْ تكونَ لك فكرة يقتضي أنْ تصُوغَها وتُعبِّرَ عنها بطريقةٍ أخرى حتى تتميَّزَ من غيرِكَ. والفكرة إذْ تتأتّى من موضوع محدَّدٍ يمكن أن تصاغَ صِيَغًا متعدّدةً من حيث طريقة روايتها. فَلْتُنَمِّ فرادتكَ. ولكَ وحدك أنْ تضبِطَ مصدر إلْهَامِكَ. لكَ وحدكَ أنْ تُحدِّدَ تصوّركَ للعالمِ.

الفصل 5: تنظيم عملك في الكتابة

"إنّ غرفة بلا كتب جسم بلا روح"

إذا رتّبت عملك منذ البداية وأخرجته في مظهرٍ أنيقٍ كنتَ من الفائزين لأنّ ذلك هو أوّل انطباع ستتركه لدى ناشركٍ في قادم الأيّام. اِفتحْ، في حاسوبك، ملفًّا جديدًا سمِّه ما شِئْتَ ورَقِّمْ صفحاته في الأعلى على اليمين. فهذا لمِمَّا يُيَسِّر مطالعةَ مخْطوطِكَ. أدْرِجِ اِسْمَكَ وبياناتِكَ الشّخصيّة (عنوانك بدقّة ورقم هاتفك).

إنّ كلّ أثرٍ يحظى بحماية القانون منذ إنشائه. ولكيْ تحمِيَ مخطوطَكَ وتطمئنّ من أيّ انتحالٍ محتمل دوِّنِ العلامة © أوِ اُكتُبْ في أسفلِ الصّفحة الأولى مشفوعة بِاسمِكَ وبالسّنة. وهذا يدلّ على أنّك المالك الوحيد لمخطوطتِكَ.

مثال

© ناديج ديفو، 2005

فهل من اللاّزم أخذ هذا الاحتياط؟ الجواب في رأيِي بالسّلب. فأنا لَمْ أخْشَ البتّة أن يُنْقَلَ عنِّي. وإنّي لأعترف لكم أنّ ذلك لم يخطُرْ ببالي أبدًا. والحقّ أنّ المرء لا يأخذ دائمًا ما يلزم من احتياطات وهذا الجانب الشّكلي البسيط يمكن أن يُجَنِّبَنَا المشاكلَ.

وثمّةَ طريقة سهلة لحماية مخطوطِكَ، عند الفراغ منه، تتمثّل في إرساله عبر البريد إلى عنوانك والمحافظة على الظّرف دون فتحه. لماذا؟ إذا قلّدك شخص مَّا فهذه حجّة يُؤْخَذُ بها لدى المحاكم. وفي الفصل 17 تجدُ المعلومات الخاصّة بالهيئات التي تدافع عن الملكيّة الفكريّة للمؤلّفين. فلا تتردَّدْ في الاتِّصالِ بها هاتفِيًّا واستفسارها.

اِخْتَرْ أنموذج الخطّ الّذي تحبّذُهُ على أن يكون ذَا حجمٍ يتراوح بين 10 و13. وأنا أستعمِلُ Times New Roman ولكنّني أُحِبُّ أيضًا Traditional Arabic. جرِّرْ نصَّكَ تارِكًا بين الأسطر فراغًا ونِصْفًا. اُتْرُكْ حاشِيةً كافِيةً من الجهتيْنِ. فهذا يمكّنُ ناشِرَكَ في قادِمِ الأيّامِ من أنْ يثبت فيها التّعاليقَ والمقترحاتِ والإصلاحات التي ينبغي إدخالُها. ولِكيْ تَلْفت انتباه النّاشر ينبغي أن يعُدَّ مخطوطُكَ مائة صفحة على الأقلّ تُوَزِّعُهَا على فصولٍ، يضمّ كلُّ فصل عشرَ صفحاتٍ. فمخطوطٌ به مائة صفحة يشتَمِلُ على عَشْرِ فصولٍ. وينبغي أن يتكوّنَ مخطوطُكَ من عدد كلماتٍ يتراوح بين 000 35 وَ000 40 كلمةٍ وأنْ يكونَ مرقونًا مِنْ وجْهِ الورقةِ فحسب. وبطبيعةِ الحالِ يُمكِنُ لرِوايَتكَ أنْ تتكوَّنَ مِمَّا يزيد عن هذا العدَدَ من الكلماتِ والفصولِ أو ينقص إذا كَانَتْ جيّدة البِنَاءِ.

أَتُوَقِّعُ مخطوطَكَ بِاسمْكَ الحقيقيّ أمْ تُفَضِّلُ اِسْتِخْدامَ اِسْمٍ مُسْتَعارٍ؟

الأمْرُ مَتْرُوكٌ لَكَ. ولكنْ إذا مَا اتّخذْتَ لنفسِكَ اِسْمًا مستعارًا فينبغي للنّاشر أنْ يعرِفَ هوِيَّتَكَ بطبيعة الحال. وبِوِسْعِكَ أنْ تنحتَ اِسْمَكَ

المستعار بارْتِجالِهِ أوْ بِقَلْبِ الحروفِ المكوِّنة لاسمِكَ أوْ لَقَبِكَ. ونسمّي ذلك اسما مقلوبا.

مثال

ناديج ديفو = جيدان وفيد

كيف نُميّز المقدّمة من التّنبيه والتّقديم والإهداء والمدخل والشّكر والخاتمة والفهرس؟ إنّ تحرير هذه الأقسام من مشمولاتك كلّما تقدّمت في عملك حتى تجعلها أدلّ على حِرفيّتك.

المقدّمة

نسمّيها أيضًا مدخلاً أو فاتحة. إنّها استهلال لمباشرة كتابك. ففي المقدّمة تعرض حكايتك لترغّب القارئ في التهام كتابك التهامًا. وليست المقدّمة في ما يخصّ الرّوايات لازمة ويبقى الاختيار لك.

التّنبيه

تُبرز في التّنبيه بعض الجوانب المهمّة من كتابك إن وُجدت. وفي التّنبيه أيضًا نجد الجملة "كلّ شبه مع أشخاص موجودين أو وُجِدوا سابقًا إنّما هو من محض الصّدفة" كما نرى ذلك في بعض الأشرطة السينمائيّة.

التّقديم

يكتب التّقديم شخصٌ تعرفه يكون ضامنًا لكتابك ناصحًا القرّاء بمطالعته. وتجنّب أن يكون محشوًّا اِدّعاء لأنّ القرّاء يودّون بناء آرائهم بأنفسهم أضف إلى ذلك أنّ التّقديم اِختياريّ.

الإهداء

بجملة قصيرة تكون في البداية تهدي كتابك إلى شخص تحبّه (قريب أو صديق أو أحد أبنائك).

الشكر

يكون في صدر الكتاب. وهو لشكر الأشخاص الذين شجّعوك في مسعاك الأدبيّ. تجنَّبْ الإفاضة والتّطويل واكتب دون تكلّف.

الخاتمة أو قفلة الكتاب

عليكَ أنْ تعتنِيَ بالخاتمة عنايتك بالمقدّمة فهي مسك ختام القصّة.

الفهرس

يُوضَعُ في نهايةِ الكتابِ عمومًا ويَسْرُدُ الفصولَ ويُسمّى المحتوى إذا وُضِعَ في الصّدر. وينبغي العناية بعرضه فالقرّاءَ المُحْتَمَلون يعودون إليه غالبا في الأوّل.

قائمة المراجع

تُوضَعُ في نهايةِ الكتابِ وتَصْلُحُ لذِكْرِ الكُتُبِ التي عُدْتَ إليها لتصنيفِ كتابِكَ. فإذا كان مدارُ الأمرِ على كِتابٍ تاريخيٍّ ففي قائمة المراجعِ تَذْكُرُ مَصَادِرَكَ ولكنّ ذلك غير مُحَبَّذ في رواية. وتصلُحُ قائمة المراجع

أيضا لذكر كتب المؤلّف التي سبق نشرها.

ستثري شيئًا فشيئًا محتوى كتابكَ وما هذه اللاّئحة إلاّ مرجعٌ يهدي القصدُ منه أن تأنس للجانب التّقنيّ من الكتاب.

وقلّمَا نجد مؤلِّفًا يكتب كتابه دُفْعَةً واحدةً، فأغلب المؤلّفين يشتغل على مجموعة من النّصوص على مرّ الأيّام. وهذا يعني أنّهم يكتبون فصولَهم بحسب إلهامهم ولا على التّرتيب بالضرورة. فإذا بَدَا لهم مقطعٌ مَّا صعْبًا تركوه جانبًا ليعودوا إليه في وقتٍ لاحقٍ على نحوٍ أفضلَ ويستأنفون فصلاً آخرَ. وبمرّ الفقرات والفصول يغتني الكتاب ويتحوّل باستمرارٍ إلى أنْ يكتمِلَ.

ولِحثِّكَ على التّفكيرِ، إليكَ بعض العبارات ذات السّبك القديم

- بيضةُ الدّيكِ.
- اِغنَمْ من الحاضر لذّاته.
- الحقّ أحقّ بأن يتّبع.
- الإنسانُ خطّاءٌ بطبعِهِ.
- إذا زال السّببُ بطُلَ العَجَبُ.
- إذا اتّسعتِ الرُّؤْيَا ضاقتِ العبارة.
- ما كلّ ما يتمنّى المرء يدركه.
- على نفسها جنت براقش.
- خير جليس في الحياة كتاب.

الفصل 6: أبرز الفنون الأدبيّة

"الكتاب الجيّد هو ذاك الذي يبذر بوفرة نقاط الاستفهام"

لقد قضيتَ بعض أسابيعَ لإنجازِ تمارينِكَ وهاهو اليومُ العظيمُ قد حَلَّ: ستشرع أخيرًا في تأليفِ كتابِكَ الأوَّلِ. وما كانت لِتقْوى ثقتُك في نفسكِ لولا التّمارينُ. ستنطلق الآن في هذه المغامرة المثيرة المجزية وعليكَ أن تختارَ أيَّ جنسٍ من أجناسِ الكتُبِ تودُّ أن تُؤلّفَ بالنّظر في مختلف الفنونِ الأدبيّةِ.

خُذِ الوقتَ الكافي للتّفكيرِ فلمْ يَعُدِ الأمر متعلّقًا بتمرينٍ بل بلحظةٍ حاسمة بالنّسبة إلى المؤلّف. إنّكَ ستشتغل طيلةَ أشهُرٍ على النّوعِ الذي ستختاره لذلك يجب أن تكونَ مُتأكّدًا من اِختيارِكَ حتى لا تهدر جهدكَ ووقْتَكَ.

إنّ الرّوايات أكثرُ الكُتُبِ مطالعةً في العالمِ بحُكْمِ تنوُّعِها، والرِّوايةُ خياليّة دومًا لكن بوِسْعِنَا أنْ نُدْمِجَ فيها وقائعَ وأحداثًا وشخصياتٍ حقيقيّةً أوْ أنْ نُحيلَ عليها. ومن الخطإ الاعتقاد أنّ المؤلِّف لا ينبغي له أن يشتغلَ إلاّ بفنٍّ أدبيٍّ مخصوصٍ. فلا تتردّدْ في اختبار عدّة فنون أو في المزج بينها. من ذلك على سبيل التّمثيل أنّ رواية عاطفيّة يمكن أن تحتوِيَ على لُغزٍ بوليسيٍّ إذا كان البطلُ مُخْبِرًا مثلاً.

ويمكن أن تكون الرّواية مغامرة ذات حبكة تاريخيّة... إلخ. فَلَكَ وحدَكَ أنْ تُقَرِّرَ أيَّ الموادّ ترغب في خلطها حتى تُضْفِيَ على وصفتِكَ صِبغةً شخصيّةً. ولكلّ هذه الفنون القيمةُ نفسها دون تمييزٍ. فَدَعْ حَدسَكَ يقرّر أيَّ أجناس الكتُبِ تريد أنْ تؤلّفَ. اِنْتَقِ أسلوبَ الكتابة الذي يفتنك وتشعر فيه بالرّاحة دون أن تجهد نفسك.

وليس من شيء يمنعكَ من أن تتّخِذَ كِتابًا يعجبكَ مثالاً، لكن دون أن تنتحلَه، لأنّ الملكيّة الأدبيّة لكلّ كاتبٍ لا يجبُ أنْ تُخْتَلَسَ. ثمّ إنّك لن ترضى، يوم يُنْشَرُ كتابُكَ، أنْ يَنْقُلَ عنكَ مؤلّفٌ آخرُ أفكاركَ. ولاَ يغِبْ عن ذهنِكَ أنّ المؤلِّفين المتميّزين عن الآخرين هُمُ المُجَدِّدُونَ بفضلِ مواضيعِهِمْ المبتدَعَة. وأفضلُ مصدرٍ للإلْهامِ هُوَ تصفُّحُ المؤلّفاتِ في كتُبيّة أو مكتبةٍ بقصد المقارنة بين مختلفَ طرق الكتابة لدى المؤلِّفينَ.

الرّواية الشّعبيّة أو رواية الجمهور الواسع

هي فنّ معاصِرٌ يتناول في العادة مواضيعَ راهنة عديدة تتّصِلُ بالحياة العاديّة.

الرّواية العاطفيّة

هي حكايةٌ تدور بين شخصيّتيْنِ أساسيّتيْنِ. ومدارها على تتبّع قصّة حبّهما وحياتهما على مَرِّ الفصولِ. وقد تكون مرهفة الحسّ ولكنّها قد تكون أيضا أكثر رصانة وعمقًا. فالأمر رهين خلفيّة الرّواية.

رواية المغامرة

لها حِبْكة مثيرة مليئة بالتّقلّبات حتى تُشوِّقَ القارئ تشويقًا. وهي تُوَلِّدُ في النّفس رغبةً في التّحرّكِ والمخاطرةِ واستكشافِ الأوطانِ البعيدةِ.

الرّواية التاريخية

تتطلّب بحوثًا جادّةً بما أنّها تقوم على معطيات تاريخيّة وتؤدّي دورًا تربويًّا أو دور تبسيط المعرفة حتى إن كانت الشّخصيات متخيّلة.

الرّواية البوليسيّة

تنطوي على لغزٍ مطلوب حلّه لا يُكْشَفُ عنه إلاّ في النّهايةِ. وقد يكون اللّغزُ مُسْتَوْحًى من حادث عاديّ. ويسمح بِخَلْقِ شخصيّةٍ محوريّة هي المُخْبِرُ أو الشّرطيُّ.

رواية الخيال العلمي

تَلْقَى رَوَاجًا واسعا لدى الشّبّان كما تلقاه لدى الكهول. فالخيال المُسْقَطُ على المستقبلِ خيال لا حدود له في صنع كائناتٍ من خارج الأرض وأناسا آليّين، وأشباحًا ووحوشا تجوس بين المجرّاتِ.

الرّواية العجيبة

هي آهلة بالسّاحرات والملائكة والشّياطين ذَوي القُدُراتِ الخفيّة. ويمثِّلُ السِّحْرُ معدنَها الأوّل.

الرّواية الهزليّة

تقوم على التّقليدِ السّاخرِ أو تستثمر الإضحاك بدرجاتٍ مختلفةٍ على حسبِ إدراك كلّ واحد: سخرية سوداء أو تهكّمًا مؤذِيًا أو سخرية خفيفة.

الرّواية الشبقيّة

إنّها روايةٌ حسّيّة على قدرٍ من الإيحاءِ ولكنّها لا تكون البتّة سوقيّة مبتذلة. فهي تعبّر عن الحواسِّ الخمس بأسلوبٍ يجمع بين الإثارةِ والاحتشامِ.

رواية الشّباب

إنّها الرّواية التي تجعل الأطفالَ والمراهقينَ يحلُمُونَ. فأمّا الأدبُ الموجَّهُ للطّفلِ فينبغي أن تكون الكتابةُ فيه بسيطةً، وأمّا الأدب الموجَّهُ لِلْمُراهقينَ فالكتابة فيه تشبه الكتابة للرّاشدينَ.

ولا فرق إلاَّ في أنّ الشّخصيات الرّئيسيّة من المراهقين الذين يرى المراهقون فيهم صورتهم.

الأقاصيص

هي مجموعة من الحكايات (4 أو 6 أو 8) يضمّها كتابٌ. وقد يكون بينها رابطٌ وقد لا يكون. وهذه الحكاياتُ القصيرةُ هِيَ الحَلُّ الأمْثَلُ بالنّسبةِ إلى المؤلِّفينَ الّذين لا يتمكّنون من وضع كتابٍ يدور كلّه على موضوعٍ واحِدٍ.

السّيرة الذّاتيّة أو السّيرة الغيريّة

تقومُ السِّيرةُ الذّاتيّة على كتابةِ الشّخصِ بنفسِه لذكرياته في حينِ تقومُ السِّيرة الغيريّة على حكايةِ شخْصٍ يرويها غيرُه.

الفصل 7: كيف تجد موضوعَ كتابِكَ؟

"ليسَ المؤلِّف الفذُّ من لا يُقلِّدُ غيْرَهُ بل هو من لا يستطيع أحدٌ تقليدَهُ"

لا شيْء أدْعَى إلى شَحْذِ الذّهنِ من اِختيار جنسِ الحكاية التي ستروِيها. وقد تكون تعرف الموضوعَ الأدبيّ الذي يأخذُ لُبَّكَ وإلاّ فيكفي أنْ تُطَالِعَ الأحداثَ العاديّة في الصُّحُفِ والمجلاّت أو أنْ تستمع إلى الأخبارِ في التّلفزيون والمذياع فهي مناجم أفكارٍ للمؤلِّفين. وإذا أعجبكَ موضوعٌ مخصوصٌ فألهمك شَعرْتَ بِحَدسِكَ أنّكَ على أهْبَةِ تحريرِ مخطوطِكَ.

وإذا كنت ممّن لهم حسُّ الملاحظةِ أمكنك أيْضًا أنْ تَجِدَ موضوعَ كتابِكَ باستلهامِ ما تراه حين تسير في الشّارع أو حين تقود سيّارتَكَ في الطّريقِ. وبوِسْعِكَ كذلك أنْ تستَوْحِيَ حدثًا من أحداثِ حياتِكَ أو حياةِ من تعرِفهم منَ النّاسِ. ومنْ مصادرِ الإلْهامِ الأخرى نجدُ القاموسَ الذي يعجّ أفكارًا. واللاّئحة التي تجدها أدناه إنّما هي مرجع يمدّك ببعضِ الأفكارِ. وقد كنتُ دائمًا أجِدُ جذورَ كتُبـي حينما أتساءل عنِ المواضيعِ التي تشدّني وأرغب في طَرْقِهَا. فَحينَ أَلَّفْتُ كنتُ عزباءَ وخطر لي أنَ أُصوِّرَ رجُلاً وإمرأةً ثمّ أنْ أَغُوصَ في أفكارِهِمَا تِبَاعًا.

وقد وجدْتُ، باعتباري اِمرأة، أنّه من الفاتن أن أتقمّص شخصيّة رجُلٍ حتى أفهمَ، أفضل فهمٍ، الجانب العاطفيّ والفكريّ للذّكر. ووضعتُ سلسلةَ كتُبٍ عن القططِ لأنّني ببساطةٍ ربّيْتُ قِطَطًا في سِنيّ طفولتي. وقبل أنْ أصْبِحَ مُؤَلِّفةً وددْتُ أنْ أكُونَ بيطريّةً لأنّني أعشق الحيوانات. ولمّا كنتُ أهتمُّ بالطّبِّ البديلِ كتبْتُ فيما بعد كتاب

.

أمّا السّيرة الغيريّة فهي حكاية صديقة أشفقت عليها لما مرّ بها من محن رهيبة وأثّر فيّ عزمها الذي لا يفلّ على مواصلة حياتها المزروعة غمًّا وكآبةً.

كتبتُ لأنّ أحد أصدقائي كان يمتلك ذئبًا وجده جريحًا فعلا في الشّمالِ وكان من حظّي أنّني عرَفْتُهُ.

وأتتني فكرة تأليف وأنا أعايِنُ ما بين الأحفاد والأجداد من علاقات خاصّة وتواطؤ. وقد ألهمتني صديقة من أصلٍ أمرنديّ في كتابة . وكنتُ أريد أيضا أنْ أعْرِبَ، بالتّوازي مع ذلك، عن إكباري لأجدادِنَا البواسِل من أفراد الحرس الملكيّ بكندا زمن الاستعمار.

وأتَتْني فكرةُ تأليف من صديق من الطّوارق ومن عشقي للسّفر. وخطرت لي فكرة كتابة بعد أن قمت، من باب الفضول وحبّ الاطّلاع، بتحقيقٍ مطوَّلٍ في شبكاتِ التّلاقي على الأنترنيت. وأتتني فكرة كتابة من تَفَكُّرٍ عميقٍ في شأنِ بعض المؤلّفين الذين يحسبون أنفسهم أرباب القلم. إذ يزعم هؤلاء في اِزدراءٍ وتعالُمٍ أنّه من اللاّزم متابعة دراسات عليا كيْ يكون المرء مؤلِّفًا. بيد أنّ ذلك محض افتراءٍ وادّعاء. **فكلّ**

شيْء يُتعلّمُ. لذلك رغبتُ في أنْ أهتكَ، مرّة واحدة، أسرارَ الكتابة حتى أشارككم تجربتي ومهاراتي.

وتحمل كتبـي جميعًا، في مواضع ما، آثار ما عشته. ففي جلّ الشّخصيّات التي رسمتها شيْء من نفسي. لا تتردّدوا في أن تنقلوا بعض الجوانب من حياتكم وملاءمتها مع الحكاية التي اخترتم كتابتها. فأن تجدوا أنفسكم ضمن الفاعلين في كتابكم لَمِمَّا يمدّ لكم يد المساعدة في تجربتكم الأدبيّة الأولى.

ألق على نفسك أسئلة كما لو كنت مكان شخصياتكم، وكما لو كنت تعيش حياتها. ولكن عليك خلافا للحياة الحقيقيّة، أن تدير شؤون عدّة متساكنين يقطنون في رأسك كما لو كنت تملك شخصيات عديدة. أضف إلى ذلك أنّك ستتعلّمِ التّعرّف على نفسك وأنت تكتب تعرّفًا أفضل. شبّه نفسك بوليدٍ بكْرٍ لا أفكار مسبقة لديه أو آراء سبق له تمثّلها.

لقد تصوّرتُ قبل كلّ شيء لأُرْشِدَكم في خطواتِكم الأولى في طريق الكتابة وأملي أنْ أنْقُلَ إليكم ما أشعر به من حبٍّ للكلماتِ. وسواء عليكم أألّفتم كتابكم في أشهرٍ معدودات أم في سنة أم في أكثر فالمهمّ أن تشرعوا فيه وأن تكملوه بالخصوص. فمنذ عشرين سنة خَلَتْ كنت أحتاج إلى سنة أو أكثر لِأضَعَ كتابًا. واليوم يأخذ منّي الكتابُ الواحدُ ثلاثة أشهر. فالمسألة من باب العادة.

خذ لك ما يكفي من الوقتِ. فالكيف خير من الكمِّ. وإنشاء نصّ ممتع بمائة صفحة خير من إلقاء نصّ مطوّل غثّ متسرّع يتكوّن من ثلاثمائة صفحة. وإذا وَهِنَ منكَ العزمُ استرِحْ بعض أيّامٍ. فليستِ الكتابةُ سِباقًا ضِدَّ السّاعة.

إنّ من أسرارِ النّجاحِ الإعادةَ حتى تُغيّرَ عاداتك وتكيّفها إلى أن تصبحَ عندك أمرًا آليًّا تلقائيًّا. هذه هي طريقة تنشئة الأطفال وعلى أيّة حال فهم يتّخذون من طريقتنا في إرشادهمِ مَثَلاً. وإنّ التّذكّر والتّأليف التّحليليّ جزء من السّبل التي تَحضّكَ لفتحِ مغالق خيالكَ. وستحفظ من بعض العِبَر. فالرّهانُ شاقٌّ شديدٌ على النّفسِ ولكنّكَ إذا ما أمعنتَ في هذا الكتابِ النّظرَ أمسَكْتَ بجميعِ المفاتيحِ اللاّزمةِ لِنجاحِكَ. ويمكنكَ أنْ تعثُرَ على موضوعِ كتابِكَ حين تتناولُ معنى يثيرُ حماسَكَ أوْ يتّصل بِكَ شخصيًّا. فكاتبةُ مسؤولٍ مَّا يمكنها أن تؤلِّفَ كتابًا تجري أحداثه في المكتبِ وتجري الأحداث في مطعم إذا ما ألّفتِ الكتابَ نادلةٌ وهكذا دَوَالَيْكَ.

مقترحاتُ أفكارٍ لمواضيعَ مرتّبة حسب أصناف:

رواية شعبيّة أو موجَّهةٍ لجمهورٍ واسعٍ

- الحياةُ المُتَخَيَّلَةُ لفنّانٍ أو فنّانةٍ (مغنٍّ، ممثّل، موسيقار)
- محن شخص معوق
- عودة أمل إلى شخص أصابه مرض خطير
- حكاية شخص تبنّته عائلة
- سرّ عائليّ

- نجاح شخص في مهنته

رواية عاطفيّة

- قصّة حبّ بين غريبين
- قصّة حبّ مستحيل
- محن قرينين
- حكاية عن خيانة في الحبّ
- تنافس اِمرأتين أو رجلين
- قصّة حبّ كبير

رواية مغامرة

- حكاية تجري أحداثها في بلد غريب فاتن
- حكاية تجسّس
- البحث عن كنـز
- حكاية قوم يعيشون في مكان ناءٍ
- رحلة صيد في الأدغال
- غرق سفينة قرب جزيرة

رواية تاريخيّة

- حياة شخصيّات رائدة
- حكاية قبيلة أمرنديّة
- حكاية أسلافك
- حكاية شركة كبيرة
- حكاية ملك أو ملكة
- حكاية بلد أو منطقة

رواية بوليسيّة

- مجرمٌ يرتكب جرائم قتل بطريقة واحدة.
- لغزُ سرقةِ ابتكارٍ
- متَّهَمٌ حُكِمَ عليه ظُلْمًا
- اغتيال غامض
- متاجرون بالمخدّراتِ
- الهجومُ على شاحنةٍ مصفَّحَةٍ

رواية خيال علميّ

- الفرار إلى كوكب مجهول
- حرب في كوكب
- هجوم كائنات من كواكبَ أخرى
- استنساخٌ في مَخْبَرٍ سرّيٍّ
- نهايةُ العالمِ
- كارثةٌ بيئيّةٌ.

رواية عجيبة (عجائبية)

- أذًى اِستجلبتْهُ ساحرة
- وحشٌ يُرْعِبُ البَشَرَ
- مبارزة بين قوّتيْن خفيّتيْن
- تنّينٌ آكل أطفال
- حربٌ في الأنفاق
- طائفةٌ سرّيّة

رواية هزليّة

- خيبةُ أمل أعزب
- منجّمة غريبة الأطوار

- مُساكَنة بين مثليّ مخنّث وامرأة
- حيوان يروي نظرته إلى البشر
- قرينانِ يعيشان أزمة
- مغامرة فقير يفوز في اليانصيب.

رواية شبقيّة

- حكاية بغيّ
- حكاية قرينيْنِ من القائلين بالتّبادل
- حكاية قرينين من ذوي النّزعة الجنسيّة المزدوجة
- حكاية قرينيْنِ سِحاقيّيْنِ
- حكاية مُغوٍ للنّساء
- حكاية مغيلَم.

رواية شباب

- مغامرة عصابة من المراهقين
- حكايات الحبّ الأوّل في المدرسة الإعداديّة
- مراهق يسوّي مشكلته مع المخدّرات
- مراهقون يتيهون في غابة
- مراهقة تنقذ صديقتها من الانتحار
- الحياة في مدرسة

أقصوصات

- حكايات عن موضوع الصّداقة
- حكايات عن موضوع الحبّ
- حكايات عن موضوع التّرسّل
- حكايات عن موضوع الاعتقادات الدّينية
- حكايات عن موضوع الرّهاب والمخاوف
- حكايات عن موضوع التّقاعد

سِيَرٌ غيريّة

- حكاية عائلة
- حكاية شخص يبهرك
- حكاية أحد جيرانك
- حكاية شقّ طريق إلى مهنة مَّا
- حكاية صديق أو صديقة
- حكاية أحد أساتذتك القدامى

السّيرة الذّاتية

لهذا الصّنف خصوصيّة بما أنّك تعرف حكاية حياتك بجميع تفاصيلها. ويحصل أحيانًا أن نكتشف بعض اللّحظات أو الجوانب المنسيّة والمفاجئة حين نرويها.

ضَعِ الخطوطَ العريضة للحكاية التي ترغب في روايتها. وإذا نسيت بعض التّفاصيل فلا تعبأ بذلك. فستتاح لك فرصة القيام بتغييرات فيما بعد. دوّنْ جميع الوضعيّات التي ستلتقي فيها شخصيّات سيرتك. أعِدَّ في ذلك قائمة مرتّبة بحسب الأهمّية (مثل قائمة المواضيع) حتى تكون لك مرجعيّات زمنيّة عند تحرير كتابك وذلك بنقلِ خطط العمل الواردة بالفصل 4 كيْ تستخدمها في كلّ فصلٍ.

ويكمن سرّ الحكاية المشوّقة المحبوكة جيّدًا في عمليّة تن-زيل

شخصيّاتك في سِياقاتِها أي في جميع المغامرات التي تبتدعها لها. زِدْ على ذلك أنّني أُوصِيكَ بكتابة حكاية تنتهي بنَفَسٍ إيجابيّ عوض أن تُخْتَمَ بفاجعةٍ. فالقرّاء يحبّون الكتب التي تنتهي نهاية سعيدة شأنهم شأن المشاهدين الذين يذهبون إلى السّينما أو يكترون شريطًا من محلّ فيديو. إنّك تخطو خطواتك الأولى فتريّثْ في وضع تصميم حكايتك حتى تكون متناسقة.

تخيَّرِ الأماكنَ التي ستجري فيها أحداث حكايتكَ بأن تستعيرَ من المكتبة الأدلّة العمليّة المتعلّقة بالبلدان والمدن التي ستذكرها.

مذكّرتُكَ عند الانطلاق

- صِفْ في بعض جملٍ موضوعَ كتابك.
- صف الأمكنة التي تدور فيها أحداث الحكاية.
- عيّن عدد الشّخصيات رجالا ونساء.
- اِستخدم خطط العمل المذكورة في الفصل 4.

ثمّ، وبالخصوص، تشبّعْ بالرّسالة الملغزة التي أوْدَعَهَا العبقريّ ليوناردو دي فنشي أحدَ أعماله وهي على قدر كبير من البساطة والصّدق. فقد كان متعدّدَ المواهب بما أنّه رسّام ونحّات ومهندس ومعماريّ ومبتكر وعالم. لقد ترك صاحب النّظر الثّاقب هذه الجملة على جداريّة التي رسمها منذ خمسمائة عام: «Cerca, trova» (اِبحثْ تَجِدْ).

لقد كنتُ منبهرة دائمًا بليوناردو دي فنشي لرهافة حسّه وجنونه الجليّ المُشرَب بصفاء الذّهن. وفي ظنّي، أراد بهذه الجملة أن يعبّر عن فكرة كونيّة لا يحدّها زمان مفادها أنّنا لا نتقدّم إلاّ بما لنا من مزيّة وجدارة حين نتعلّم ونبحث ونكتشف من جديد، بنظرة مغايرة، ما يوجد أمام أعيننا... فليس في الأمر سرّ أو قدرة خارقة وإنّما يتعلّق الأمر بقوّة الحسّ السّليم.

الفصل 8: كيف تنفخ الرّوحَ في شخصيّاتِك؟

"أن تطالع هو أن تذهب إلى لقاء شيء سيكون"

تستطيع أن تجعلَ شخصياتك خفيفة الرّوح أو غامضة أو محيّرة أو ساذجة أو جذّابة أو مؤثّرة أو رقيقة أو متعالية أو قليلة الأدب أو شرّيرة أو منافقة أو كذّابة أو ثقيلة الظّلّ كما هو الحال في الحياة الواقعيّة. ومن أفضلِ التّمارين معاينة الشّخصيّات التي تمثّل في المسلسلات التّلفزيّة والأشرطة السّينمائيّة. واتّخِذْ قرارَكَ في خصوصِ عدد الشّخصيّات التي ستوجد في كتابك. ونصيحتي إليك ألاّ تجعلَ نفسك ضائعًا بخلقِ كثير من الفاعلين. فشخصّيتان أو أربع في كتابك الأوّل تفي بالغرض تمامًا. اِجعلْ لكلّ واحدة منها ملامح وسِنًّا وشخصيّة وابتدع لها ماضِيًا وحاضرًا. فلا شيء أبدع من أنْ تنفخ الروح في ممثّلي مخطوطِك. ومن البديهيّ أن تكون شخصيّاتك على قدر من الصّدق. وبإمكانك، وهو مجرّد إمكان، أن تجد صفات شخصيّاتك بالنظر في ملامِحِ الاثني عشر برجا بكُتُبِ التّنجيم.

أحسِنْ تَخَيُّرَ أسماءِ الفاعلين بمجرَّد العودة إلى قاموس للأسماء أو دليل الهاتف. أنشىء شخصيّاتك إنشاءً أو اِستلهمْهم من المحيطين بك ولكن لا يغب عن ذهنك أنّك حين يُنْشَرُ كتابُك يستطيع الناس الذين تعرفهم أن يقيموا عليك دعوى إن ذكرت أسماءهم الحقيقيّة. وإذا أتممت تصميمَ مخطوطك أمكنكَ عندئذ أنْ تشرعَ في التّحرير! فما إن تصبح خطّةُ عملكَ محرَّرَة حتّى تكون قد أنجزتَ معظمَ العمل. فقد عثرتَ على الموضوعِ والشّخصياتِ وسطّرتَ بُنْيَةَ مخطوطك كما تكون اخترت الخيطَ النّاظِمَ في قصّتك. حرِّرْ جُذاذةَ هويّةٍ لكلّ واحدة من شخصياتِكَ كما هو الحال في لعبةِ الأدوارِ.

ملخّص

- اِجعلْ للشّخصيّات ماضيا وحاضرا معيشا ومهنةً.
- اِجعلْ لها مظهرًا خارجيًّا (قامة وهيئة ولونًا للشّعر وللعينين وأسلوبًا في اللّباس).
- اِجعلْ لها خِصَالاً (خفيفة الرّوح أو خجولة أو منافقة أو خوّافة أو متغطرسة أو كذّابة... إلخ).
- اِجعلْ لها طبعًا مميّزا (ميول وعادات ومخاوف وصيغا في تزجية أوقات الفراغ... إلخ).
- ماهي مشاكلها؟
- ماهي أسرارها؟
- أعندها أبناء؟
- حدِّدْ لها ضروبَ تعاملها.
- تخيّلْ حوارات.

اِجعلِ الشّخصيّات تتحرّكُ

تخيّلْ أنّك تستطيع، بضربة عَصًا سحريّة، أن تجعل شخصياتك تفعل وتقول كلّ ما تريد لها أن تفعل وتقول. ألم تدرك أنّ لك قدرة خارقة

على أن تسند إليها خصالاً ممدوحة وأخرى مذمومة وأن تجعلها سعيدة أو شقيّة وأن تنـزّلها في وضعيّات شتّى على مقتضى خيالك أو واقعك المعيش؟

حِيَلٌ لِتَخَيُّلِ مُجريات حكايتك والمكان الذي تتّخذه شخصياتك

دعْ خيالك وإلهامك يتدفّقان بأن تستعمل، في ما يكون بمثابة المسوّدة، بداية الجملة: هب ... أو بأن تفتح مسوّدتك بعبارة ...

ويمكنك أن تختبر ضروب المشاعر المختلفة في شخصياّتك بما أنّ مصيرها بيدك. فأنت قائد الأركسترا في قصّتك وأنت من يقرّر ما تكون عليه حالاتها النّفسيّة بمرّ الفصول: فرحًا أو حزنًا أو غضبًا أو حرمانًا أو شكًّا أو خوفًا... إلخ. فليس من العسير عليك أن تجعل شخصياتك تتحرّك بما أنّ صور تنـزيلها في الوضعيّات لا حدّ لها وباستطاعتك أن تستمدّها من الحياة اليوميّة.

إنّك خالقها وأنت من يبعث الحياة في الفاعلين بإسناد أدوار إليها كما يشاء ويهوى. وأنت من ينشّط الحفل الرّاقص ويحدّد لها أقوالها وأفعالها وحركاتها. إنّك إلى حدّ مّا أبوها أو أمّها. فلْتَتَحَلَّ بحبِّ الاِطّلاع وَلْتتشبّعْ بأدوارِ الممثِّلين في التّلفزيون والسّينما. ولا تكتَفِ بملاحظة طريقتِهِمْ في التّعبير بَلْ لاَحِظْ أيْضًا سلوكَهُمْ.

قبل أنْ أُصبِحَ أُمًّا لم أكن أنتبه البتّة إلى الرّضّع الذين يتجوّلون في عربات الأطفال. ولمّا أنجبت اِبني بدأتُ أُشاهد تلك الأمّهات اللاّتي كنّ يعشن ما أعيشه والحال أنّني كنتُ من قبل أعترضهنّ دون أنْ أراهنّ فعلاً.

أروي هذا لأقولَ لكم إنّنا نلاحظ أشياء أكثر حين نكون معنيّين بها فمن المنطقيّ والعادي أنْ نكون أقوى إحساسًا بما خبرناه. وإنّ وضعِ كتابك الأوّلِ يجعلكَ أكثر اِنتِباهًا وأشدَّ تأثُّرًا وأعمقَ حَدسًا في علاقتِكَ بما يحيط بكَ.

الفصل 9: كيف تكتب الحوارات؟

"تتساقط الكلمات كمطر لا ينقطع في فنجان من ورق تنحدر حين تمرّ وتسيل عبر الكون"

نصائح تجعل شخصيّاتك ذات مصداقيّة

سواء أجعلت في روايتك ممرّضة أم شرطيًّا أم مدرّسة أم مصلح سيّارات أم شخصًا معوقًا أم عالم نفس... إلخ اِبحث عن شخص من مدينتك له المهنة نفسها أو عاش المحنة التي تريد الحديث عنها ولاقه. فإذا فسّرت لهؤلاء الأشخاص أنّك بصدد تأليف كتاب قدّموا لك بكلّ سرور عمومًا المعلومات الثّمينة عن مهنهم حتّى تثريَ شخصياتك. واشكرهم بذِكر أسمائهم في كتابِك.

مثال

"أشكر السيّدة الحلواني على نصائحها الثّمينة".

وبإمكانك أيضا أن تستعير من المكتبة كتبًا عن مختلف المهن. تزوّد بالوثائق اللاّزمة عن كلّ المواضيع التي ستتناولها في مخطوطك. فذلك أمر مهمّ. وإنّ العناية بالتّفاصيل تميّز المحترفين من الهواة. أَضِفْ إلى ذلك أنّك تكتشف عدّة أشياء كنتَ بها جاهلاً. اِجعلْ شخصيّاتك تتكلّم كما في الواقع باستعمال عربيّة سليمة. فالممثّلون وحواراتهم يبعثان الحياة في مخطوطِكَ فاعْتَنِ إذن بما يدور بينهم من أحاديث. فليس بمقدور المؤلّف أنْ يكتفِيَ بسرد الأحداث التي تجري في مخطوطِه بل عليه أيْضًا أنْ يُبرزها حتى يذكيَ فضولَ القارئ ويقنعه بقلب الصّفحات.

الحوارات

تسمحُ الحوارات لشخصيّاتِك بالتّعبير عن نفسها. وينبغي أن تكونَ كالحوارات في الحياة الواقعيّة باستعمالِ الكلام اليوميّ. وهيَ تمكّن أيضا من الإحاطة بطباعِ شخصياتك إحاطةً أكبر. تكون الحوارات مسبوقة بمطّةٍ حتى يعلَمَ قُرَّاؤُكَ أنّ الأمر يتعلّق بتبادل أقوال. ولست مُجْبَرًا على صياغة حوارات في كلّ صفحة. إذ يجب، قبل كلّ شيء، أنْ تكون ذات توزيع متوازن في الحكاية فتجعلها أكثر حيويّة. ضع نصب عينيك هذه القاعدة الأساسيّة: إنّ شخصيّاتك تبعث الحياة في مخطوطِكَ وإنّ حواراتها تبعث الحياة في بعضِ فصولِ كتابِكَ.

اِبتعِدْ عن سخافات من نوع

- **ماذا أكلتَ في منتصف النهار؟**
- **لمجة وأنت؟**
- **بيتزا.**

فالحوارُ يُستخدَمُ أوّلاً وقبل كلِّ شيء لجعل قصّك يتقدّم لا لجعله يركد. تجنّب أن تعيدَ مراراً وتكرارًا، في الحوارِ الواحد، أفعالاً مثل قال

وسأل وصرخ وتعجّب وردّ وأجاب وقال متنهِّدًا.

أمثلة من أخطاء ينبغي ألاّ ترتكبها

- إذا رفضت الطّلاق فضحت ماضيك **قال** أحمد
- إنّه تخويف! **قالت** ليلى **متعجّبة**
- لم تتركي لي خِيارًا آخر، **ردّ** أحمد
- أنت فظيع! **صرخت** ليلى
- لا. إنّه مِجرد احتياط، **ردّ** أحمد
- لِمَ لا تسعى إلى الوصول إلى تَفَاهُم؟ **سألت** ليلى
- لأنّني أعرف أنّكِ لنْ تلتزمي بما تقولين، **أجاب** أحمد **متنهّدًا**.

أَشعرت هذا النّصّ؟ إذا حذفتَ من الحوارَ و و و كان النّصُّ . والقارئُ يستطيع أنْ يدرك تدَرُّجَ المشاعرِ عند الشّخصيّتين دون الحاجة إلى هذه التّفاصيل المتكرّرة في كلّ سطر. وبطبيعة الحال كلّ هذا رهين طول الحوار. وفي المثال السابق إفراط.

تأمّلْ هذه الحوارات فتكونَ لكَ مُرْشِدًا وهادِيًا.

مثال من حوار

"حين أصبحنا وحدنا **حدّق** فِيَّ الشّرطيّ تحديقًا و**همس**:

- **سيّدتي، لا أرى فائدة في تقديم شكوى.**
- **ماذا؟ أستسعى إلى ذلك أنت أيضا! لقد طلب منّي حفيدي الشّيء نفسه منذ دقائق!**
- **بالضّبط وأنت تتحدّثين عن حفيدك... إنّه هو المذنب...**
- **أجننت أم ماذا؟**
- **أعرف مهنتي، سيدتي. لو لم يفعل شيئا لما كان هناك سبب ليكون على تلك الحالة من الارتعاش والتّصبّب عرقًا.**
- **لكن.. كان مصدومًا حين عرف أن أحد أصدقائه سارق!**
- **لا سيّدتي. أؤكّد لك أنّه هو السّارق. والمال المسروق مخبّأ في البيت.**
- **أمر مذهل. صحيح لقد حرص كيفن على أن أصرف النّظر عن هذه الحكاية."**

اِستغاثة الأجيال

مثال من حوار

"يعاشر أخي فتاة ولكنّه لا يعيش معها. فهو يتمتّع بنوع من الحرّية. وحدّثتُ غِيوم عن الحسناء الأوروبّية التي سألتقيها هذا المساء. **فسألني** وكلّه أمل:

- **إذا لم تعجبك أيمكنك أن تعطِيَني رقمَ هاتفها؟ وبالمقابل أمنحك بطاقة دخول إلى مقابلة اِستعراضٍ.**
- **والفتاة، ماذا ستفعل لها؟**
- **يمكنك أن تذهب إلى الملعب معها.**

ذاك هو أخي! فحماقته تُربِك وهو قليل الأدب."

كابوس الحبّ

مثال من حوار

- **"أرأيت، قال سيتنغ بول، نحن لا نسرق طعام قبائلكم فلنا قطعان من الثّيران الوحشيّة.**

سأل جيري بجفاء وهو يتمالك نفسه بصعوبةٍ:

- **اعذر جهلي، أيّها القائد العظيم، لكن بأيّة معجزة تبعتكم الثّيران الوحشيّة إلى هنا؟**

حينها ضحك سيتنغ بول ملء شدقيه:

- **لنقل إنّه صادف، منذ أن وصلنا إلى ضفاف كندا، أن اجتاز محاربيّ الحدود خلسة في اللّيل وجلبوا ثيرانًا أمريكيّة إلى كندا. زد على ذلك، إنْ أحسنت الفهم، أنّ هذه الثّيران كانت لكم في أوّل الأمر.**

- هذا غير شرعي! إنّه سرقة! **ردّ** جيري **صارخًا**. إنّها ثيران وحشيّة وهي على ملك البلد الذي اِختارت الحلول به. أنتم تسرقون إذن هذه الثّيران لصالح الأمريكيّين! إنّه جنون حقيقيّ."

غروب الشّجعان

مثال من حوار

"اِنتزع سليم ماكس من أحلام يقظته:

- **أخبرني أحد الطوارق أنّ الماء يوزّع في تمانرست محاصصة. فهم لا يذهبون إلى هناك إلاّ لبيع مواشيهم وتمورهم. ولا يحبّون كثيرا الاختلاط بالسّكّان المحلّيّين. ويمكننا أن نمكث يومين هنا ثمّ نتّجه إلى أغاديز. يمكنهم أنْ يحملونا إليها بالشّاحنات. طبعا ليس ذلك مجّانًا ولكن يمكننا أن نثق فيهم.**
- **يحملوننا إليها بتلك العربة المتهالكة قرب حظيرة الجمال؟ أَجادٌّ أنتَ في ما تقول؟**
- **لقد تفقّدت المحرّك. إنّه وحش الطّريق ولا بأس به.**

قاطع كريستيان ماكس قبل أن يذكر ماكس لسليم أنّه زعم الشّيء نفسه في شأن الطّائرة قبل تحطّمها.

- **ليس لنا ما نخسر، ماكس.**
- **سنجازف فقط بعطب في الصّحراء وبأن تنهشنا الضّباع ونحن أحياء أو بما هو أسوأ من ذلك، هَمْهَمَ ماكس متذمّرًا."**

على درب الطوارق

مثال من حوار

"في المنتزه، وضعت أختي كلبتَها الصّغيرة على مزلق للأطفال:

- **دميتي وردة تريد أن تتزحلق؟ أو.. أو! أحسنت يا صغيرتي!**

بم.. بم.. بم! لقد سقطت صغيرة أمّها على الرّمل رأسها في المقدّمة وهي تعوي. هبّت أختي لنجدتها مُلاعِبةً.

- **صغيرتي المسكينة يؤلمها رأسها! كدمات في كلّ مكان! كدمة في الرّأس وأخرى في الرّجل! ستضع أمّها قبلات كثيرة على كدمات دميتها الجميلة وردة. أو.. أو..! هذا النتوء القبيح على رأس صغيرتي! لو كان بإمكاني لأطلقت النّار على هذا الخزي بقاذفة صواريخ.**

اتّجه نحونا رجل يتنـزّه بكلب صيد من نوع الكوكر مشدودا إلى رباط. اندفعت الدّمية وردة نحوه لتختصم معه. فهتفت أختي:

- **لقد شُفِيَتْ دميتي وردة! إنّها عاشقة تداعب كلبَ السيّد اللّطيف! أو.. أو..! تودّ دُميتي وردة أن تكوّن عائلة وتصيرَ أمًّا.**

خاطب السيّد أختي بجفاء:

- **ليس كلبًا، سيّدتي، إنّها كلبة والمرجو أنْ تستبعدي كلبتك!"**

اِستغاثة الأجيال

مثال عن حوار

"**سألني** طوما:

- **وأنتما، أيّتها الجدّتان، ماذا فعلتما؟**
- **إيه! لا شيء يذكر عدا الصّلاة في الكنيسة ومشاهدة الأشرطة السّينمائيّة.**
- **كان ممتعًا، أعني الشّريط؟**

أووي! سؤال فخّ. **أجبته** متهرّبةً:

- **لا أستطيع أن أجيبك، لقد غفونا في البداية.**

اِنتفضنا لشخيرٍ مقضٍّ أصدَرَتْهُ آنجيل. **أطلق** طوما تصفيرةَ إعجابٍ:

- **جيّد..! آخر مرّةٍ سمعتُ صوتًا مثل هذا كان في ضيعة أبي!**

فهمت في الحال أنّني أتعامل مع خبير.

- **تعرف، في سِنِّنا، نتعب بسرعة كبيرة...**
- **دَعْكِ من التّرّهات، يا جدّتي، مازلتِ شابّة.**

في المرآة العاكسة، رأيته فجأةً يتشمّم آنجيل. ياللإهانة ماذا سيقول عنّا؟ لِمَ لَمْ أفكّرْ في أنْ أُعطِيَ آنجيل علكةً؟ صادف طوما نظرتي الحائرة فغمزني غمزة تواطؤ."

اِستغاثة الأجيال

مثال من حوار

"أحضرتْ لنا النّادلةُ الأطباقَ الأولى: بلح البحر بصلصة فرّوج لي أنا وعجين مورّق بالهليون لكيفن. وبعد بضعة لقمات **أشَرْتُ** إلى النّادلةِ:

- **آنسة، بلح البحر ليس طازجًا. أعيديه إلى المطبخ. أعطِني عجينًا مُورَّقًا مثل حفيدي.**
تَمْتَمَتْ وقدِ احمرّ منها الوجه كشقائق النّعمان:
- **لكن سيّدتي...**
- **أسَمِعْتِ ما قُلْتُهُ لكِ؟**

أحبُّ الذّهابَ إلى المطاعم الفاخرة لأتظاهرَ برِفعة مكانتي. فبلح البحر كان جيِّدًا ولكنّني أحبّ أنْ ألفتَ النّظر إليّ. كان كيفن يأكل غاضًّا الطّرفَ. أحْضِر لي العجين المورّق بعد خمس دقائق.

- بهذه السّرعة؟ **قلتُ** للنّادلة. طعام مجمَّد سُخِّنَ في المايكروند على ما أظنّ؟
- **لا سيّدتي لقد أخرجناه للتّوّ من الفرن. إنّه هشّ.**

بعد حين، حين عادتِ النّادلةُ لرفع الصّحونِ، **كرّرت** الملاحظةَ:

- **آنسة، اِنتبهي حين تقدّمين الأطباق الموالية. ففي أسفل صحني كانت هناك دهونٌ. اِغسلي يديكِ رجاءً.**
- **نعم سيّدتي..**

شعرتُ أنّها تتمالك نفسها بصعوبة. حضرت الأطباق الرّئيسيّة: فَخِذ خروف لي أنا وشريحة لحم بقر بالقشدة لكيفن. اِنتظرتُ بعض دقائق قبل أن **أُنادِيَ** النّادلةَ ثانيةً:

- **آنسة، فخذ الخروف دامٍ فوق اللّزوم فلْيُطْبخْ أكثر.**
- **لكن سيّدتي، هذا ما طلبتِه أنتِ...**
- **لقد غيّرتُ رأيِي.**

اِلْتمعتْ عيناها. عادت بفخذ الخروف ناضجًا. وحين كنّا نتمتّع بلذائذ الحلوى المنقّعة التي أحضرتها لنا في التحلية قلتُ لها:

- **آنسة، هذا العجين الملفوف ليس طازجًا ولمرق الشوكولاطة طعم الاحتراق.**
- **لكن سيّدتي، لقد أتَيْتِ عليه كلّه!**
- **خِدْمتُكِ لنا كانت رديئةً، يا آنسة. لو كنتِ تشتغلينَ عندي لَأطْردتُكِ."**

اِستغاثة الأجيال

مثال من حوار

"أثناء إحدى الجولات حدّث جيمي ماكس عن خيبة أمله في الدّرّاجات النّاريّة الثّلجيّة:

- **السكيدو؟ أبدًا! تصوّر عطبًا في قلب عاصفة ثلجيّة هوجاء! ثمّ إنّ الوقود باهض الثّمن. ومنذ سنتين باغتتني المياه. فقد أذاب تغيّرُ الحرارة الجليدَ. لقد كان الوضع خطيرًا ولم أتمكّن من تشغيل السكيدو ثانية. ومن حسن الحظّ أنّ بعض الأصدقاء بحثوا عنّي وأنجدوني. تعرف، لا يحدث هذا البتّة مع الكلاب. فلا شيء أفضل من المركبات الزّحّافة. فإنْ مات أحد الكلاب عوّلتَ على الثّمانية المتبقّين. أمّا السكيدو المعطّب فلا يصلح لشيء بل يصبح نعشًا لكَ في البراري الجليديّة.**

كانت لجيمي نظرة ثاقبة واضحة شخصيّة إلى الرّحلات وباللّهجة نفسها طفق يقدّم توصياته:

- **إذا حدث لي مكروه، يا ماكس، لا تثقل نفسك بأمر جثّتي. اَتركها في مكانها فالمسألة تتعلّق ببقائك على قيد الحياة. هكذا تجري الأمور عندنا.**
- **جيمي، قال ماكس متعجّبًا وهو مصدوم، لا أستطيع أنْ أفعلَ ذلك أبدا! أنت صديقي!**
- **طبعا تستطيع وإلاّ كنتِ أنت كذلك في خطر! فإذا أصابك أنت مكروه يوما فلن أتردّد في فعل ما قلته لك. فالأحياء أولى من الأموات. ينبغي أن ننظر إلى الواقع كما هو."**

أماروك، روح الذّئاب

تشبّعْ جيّدًّا من هذه الحوارات ومن سلاستِها ومن جدّيتها أيضًا. ولا تنسَ أن تعودِ في تناغم واِنسجام إلى الجملة التي تكتبها والجملة التي تردّ بها متحكّمًا في تطوّر حوارك. إذ يجب أن تتمايزَ شخصيّاتك باختلاف قسماتها. فإذا جعلتَها تتكلّم جميعًا بنفسِ الأسلوب كان كتابك مُمِلاًّ. فاستثمِرْ خصائص طباعها تكُنْ لك عوْنًا على إحاطة أفضل بردودِ فِعلها وصياغة أدقّ.

مثال من حوار

"اِندفعت شمس شهر جوان عبر النّافذة وغمرت أشعّتها وجهي. تقبّلت الهديّة الرّبّانيّة دون اِندهاش وأنا جالس في مكتبـي، داخل الغرفة المليئة دبّابات وطائرات وكتائب جيوش من البلدان كلّها تقبّلت الهديّة الرّبّانيّة دون اِندهاش. إنّني أستحقّ هذه المجازاة الشّمسيّة وأنا طفل حباه العليّ القدير واعتاد عناية السماء. وفي آخر هذا اليوم أنا أسعد الخلق. فقد أنهيت دبّابتي الألمانيّة الممتازة بن-زرIV بالسلّم 1:72.

- بووم! بووم! بووم! أووه! بووم! بووم! بووم! .

وبكلّ تواضع جاء مثالي المصغّر تحفة. أقبّل دبّابتي بحبّ ثمّ ألتفت إلى الجنديّ الرّوسي الواقف على حرف النّافذة:

- **حضرة العقيد كرساكوف، أنا على أتمّ الاستعداد لقيادة أكبر جيش في التّاريخ. سأصبح قائدًا بلا منازع لجيوش البرّ والبحر والجوّ لجميع أمم المعمورة. أنا نوح الحروب وأكبر غازٍ منذ الإسكندر الأكبر وأرقّ الخلق. أليس كذلك؟ وكي نحتفلَ بهذا الحدث العظيم أسمّيك رسميّا عضدي الأيمن مكافأة لك على حسن إنصاتك.**

أحسست أنّ العقيد اِستحسن الشّرف الكبير الذي ناله بتسميته المؤتمن على أسرار الكائن الفذّ الذي هو أنا.

- **لا، لا. لا تشكرني، حضرة العقيد. أنت مثال في الإخلاص لأنّك تمتثل دون تفكير أو نقاش. بل لنشرب على نَخْبِ مجدي.**

صببتُ كأسًا من البورتو وصوّبت الكأس نحو حليفي.

- **الجيش، هذا الجاحد، سيندم ندمًا مُرًّا على تسريحي. لم أشأ أن أتقاعد، لقد أجبروني على ذلك. بل بلغ بهم الأمر إلى حدّ تهديدي، تصوّر. أتعرف السّبب حضرةَ العقيد؟ ببساطة لأنّه لا نظير لي ثمّ إنّ نجاعتي بدأت تجرح كبرياء بعض النّفوس الحقيرة. وهذا ما جعلهم مغمورين."**

اِستغاثة الأجيال

مثال من حوار

"زار جايمس الضابط مكليود وأعلمه بأنّه سيتزوّج الشابّة المنتسبة إلى قبيلة من الهنود الحمر، قبيلة سيو. حاول مكليود، وقد فاجأه، وهذا بيّن، مثل ذاك القرار وأخذ منه تعبُ احتفالات ليلة أمس كلّ مأخذ، أن يتحكّم في قسمات وجهه القاسية صارخًا:

- أنت مريض تمامًا أيّها التّعيس! ألا تعرف أنّ مشاكلنا مع الهنود الحمر شائكة جدّا هذه الأيّام؟ والمتوحّشون لا يحبّون أن يروْا بناتهم وأخواتهم يتزوّجن الرّجال البيض. وإذا رأوْك مع النّجمة الصّغيرة قتلوك.
- سيّدي الضابط، هؤلاء "المتوحّشون"، كما تقول، هم أصدقائي. ومع ذلك يبدو أنّك تحترم ستينغ بول لنبل روحه و...
- لا يهمّ، قاطعه الضابط، صدّقني إنّك تضع نفسك في ورطة. وأظنّ أنّها هي التي تودّدت إليك؟ لا تنخدع، يا بنيّ، فالهنديّات لا ينكرن أبدًا دمهنّ وهي ستخونك يوما مًّا.
- كيف تحكم بهذه الطّريقة على شخص تكاد تعرفه؟
- التّجربة! لقد خالطت طيلة حياتي في الجنديّة هؤلاء النّسوة وأؤكّد لك أنّ هؤلاء الفاجرات يردن أن يكنّ مساويات للرّجال. أتتصوّر هذا؟ أنداد؟ ياله من تهريج!
- لم يخطر ببالي أبدًا أنّ الرّابطة الزّوجيّة علاقة قوّة، سيّدي الضابط.. لعلّك كنت ذا نـزعة قويّة جدّا للهيمنة على النّساء! وهو ما قد يفسّر لِمَ تحتقر من كنّ منهنّ ذوات شخصيّات قويّة...
- أيّة صفاقة! مهما يكن عدد السّنوات التي قضيتها تحت إمرتي أظلّ دائمًا رئيسك. يمكنني إيقافك بتهمة الخيانة. وفي جميع الحالات تذكّر جيّدا ما يلي: إذا اِقترنت بهذه المرأة من الهنود الحمر تكون خزيًا على حاميتنا."

غروب الشّجعان

مثال من حوار

"**جذبه** كريستيان بغتةً من حلم يقظته:

- اُنظر إلى أعلى الكثبان على اليسار! لنا زوّار!

وبالفعل كانت تتقدّم من بعيد، عشرة أشكال داكنة محيّرة متتابعة في هيئة خطّ.

- إذا كانت نواياهم خبيثة أمكننا التّخلّص منهم بسهولة فخيولهم أو نُوقُهُمْ لا تستطيع اللّحاق بنا، قال ماكس وقد أخرج مسدّسه.
- لا أستطيع أن أكلّف محرّك الشّاحنة فوق وسعه مع هذه الحرارة، أجابه سليم. لقد كنّا محظوظين مع طكوبا ولكن هنا لم نعد في الجزائر. إنّنا في النّيجر حيث توجد شرذمة من الطّوارق المتعصّبين الذين يعيشون شبه متمرّدين ويشنّون حرب عصابات. ولا تنس أن الطّوارق هنا سود قبل كلّ شيء فهم يكرهون كرهًا أكبر البيض الذين أرادوا إخضاعهم للعبوديّة.

أمسك كريستيان المنظار المقرّب لتعرّف الزّائرين فأخذته نوبة ضحك لا رادّ لها أذهلت أصدقاءه.

- إنّه قطيع من النّعام!"

على درب الطوارق

مثال من حوار

"تمدّد شهر أفريل ثمّ ذاب الثّلج شيئا فشيئا وجاء شهر ماي مُخضوْضرًا مشمسًا. طالت الأيّام واستيقظت لويزبورغ من سباتها الشّتويّ. كلّف الحاكم دروكور أعوانه بتشخيص الوضع. أصرّت السيدة دروكور على تقديم القهوة إليهم حتى تحضر الاجتماع بينما كان زوجها يقدّم التّعليمات.

- سيّد بريفو، أعوّل عليك كي تكون جميع أسلحة المخازن تلمع وفي حالة جيّدة. وستتكفّل بتوزيع الذخيرة والمؤن على جميع الكتائب.
- اِعتبرْ ذلك حاصلاً، سيّدي.
- حضرة نقيب دي لالو عيّنتك قائدًا على مركز جزيرة أنتري. ستسهر، بكلّ عناية، على أن تطلق المدفعيّة النّار على العدوّ من مسافة مناسبة.

- **أمرك، سيّدي الحاكم.**
- **حضرة الرّائد سان جوليان، تذهب بفوجك أرطوا إلى مركز كورموراندير وتحصّنه بما يلزم من الفرق التي تجدها تحسّبًا للعدوّ إذا قرّر الإنـزال هناك لمهاجمتنا. واحرص على قطع أكبر عدد ممكن من الأشجار حتى تجعل المكان آمنًا.**
- **حاضر، سيّدي الحاكم.**
- **حضرة الرّائد البحريّ، تتكفّل مع فوجك بوغوني بالدّفاع عن الثّغر بلاط ما إن تبلغك إشارة طلقتين من المدفع تطلقان من باب دوفين إعلانا عن أنّ العدوّ على الأبواب.**
- **سيكون ذلك كما أردت، سيّدي الحاكم.**
- **حضرة الرّائد دوتوناي، عند صدور الإشارة نفسها، تحمي مع فوج المتطوّعين الأجانب، مركز الثّغر الأبيض.**
- **حاضر، سيّدي الحاكم.**
- **حين يصل الرّائد شاسو للتّعزيز مع فوج غامبيس تجعلونه يمرّ عبر خليج الإسبانيّة حتى يصل إلى هنا. وتوضع السّرايا فرانش دي لا مارين على ذمّة أمراء البحر الفرنسيّين إذا وصلوا وإلاّ فعليهم أن يبتكروا حلاًّ عاجلاً لصدّ حصار لويزبورغ. هذا كلّ شيء أيّها السّادة. اِنتشروا."**

لويزبورغ

مثال من حوار

"أُعْلِنَ في مضخّمات الصّوت عن رحلة اِسطنبول فقُطِعَ حبلُ النّقاش. عادت إلى ميركو اِبتسامته وقبَّلَ في حُنُوٍّ . بعد التَّحايَا توجّه المسافران نحو الطّائرة إثر إتمام الإجراءات. تستغرق الرّحلةُ إلى تركيا ساعتين وقد يصلانها عند الظهر. وكان ميركو يسافر لأوّل مرّة على متن طائرة فاستولى عليه شيءٌ من الخوف عند الإقلاع الذي إذ انسدّت لذلك أذناه. صرف ماكس اِنتباهه بالحديث إليه.

- **سنقضي يومين في زيارة اسطنبول. سنكتشف هذه المدينة معًا.**
- أيّ البلدان زرت، ؟
- **زرت أوروبا كلّها وجزءًا من إفريقيا وزرت أيضا بعض الجزر بمركب شراعي.**
- **أغبطك، فأنا لم أغادر البندقيّة أبدًا.**
- **إذن صدفة سعيدة أن تصطحبني. وأنت من سيثير حسد الحاسدين عند عودتك. فقلّة قليلة من الفتيان في سنّك تقدر على أنْ تباهي بالسّفر حتى الصّين.، يا عزيزي ميركو بولو!**

تورّد وجه ميركو اِلتذاذًا باللّعب بالكلمات

- لقد روت لي كاريِنلّي شيئًا من قصّة ماركو بولو.
- **إذن أنت تعرف أنّه مرّ من تركيا. وقطعًا هذا التّوقّف في اسطنبول يروقني أكثر فأكثر.**
- حدّثتني كاريِنلّي أيضا عن طريق الحرير الذي يبدأ من تركيا.
- **ظهرت طريقُ الحرير ثلاثمائة عام قبل الميلاد وفتحت آفاقًا عديدة للمسافرين من النّاحيتين التّجاريّة والثّقافيّة. فقد سمحتْ لآسيا والغرب بتبادل المنتجات طوال قرون إذ عبرت هذه الأصقاع الشّاسعة غير المرتادة قوافل من اللّوح طويلة مثقلة بالبضائع تجرّها الخيول والجِمال والأحمرة والثّيران. وفي الواحات يعرض التّجّار لفائف الحرير وكذلك البهارات والخزف الصّيني والبخور والأعواد العطرة والعطور والأصباغ والذّهب والفضّة واللّؤلؤ والحجارة الكريمة. وأذكت هذه الخيرات أيضا طمع اللّصوص فسادَ قَطْعُ الطُّرُقِ علاوة على الحروب بين القبائل المتصارعة التي كانت تهاجم القوافل الكبيرة. ورغم كلّ شيء فقد دامت طريق الحرير ثمانمائة سنة مسهمة في تقارب الشّعوب المختلفة التي كانت تلتقي فيها. إنّ هذا التّحالف غير الرّسمي بين الغرب والشّرق أحاط هذه الطّريق بشهرة رائعة جعلت أجيالاً من المستكشفين الجسورين يحلمون بها وتهتزّ لذكرها مشاعرهم.**
- إنّك تروي القَصَصَ بطريقة جيّدة مثل كاريِنلّي! قال الشّابّ منتشيًا.
- أظنّ أنّني أشارك خصوصًا في الشّغف باللّغات والسّفر. فمخالطة أناس من كلّ البلدان

يعلّمنا الكثير عن أنفسنا... في اسطنبول سن-زور خان القوافل.

- **فندق للجِمال؟**

قهقه ماكس.

- **نعم، ولأصحابها كذلك يا ميركو! أتعرف لم تصلح؟**
- **للنّوم.**
- **ليس للنّوم فحسب. فقد كان خان القوافل مستراحا في الطّريق لقوافل البضائع ولكنّه كان كذلك ملجأ في حال الهجوم عليها. فكان يمكن للمسافرين أنْ يتغدّوا فيها وينالوا نصيبًا من الرّاحة هم وجِمالهم أو خيولهم أو حمرهم. أَسَبَقَ لك أنْ رأيتَ صورةً عنها؟**
- **أبدًا! ولكنّك شوّقتني لرؤيتها، ردّ ميركو في إعجابٍ.**
- **إنّها قلاع قديمة من الحجارة لها مدخل وحيد وباحة داخليّة واسعة تحيط بها غرف وإصطبلات وحمّامات ومستودعات.**
- **ما الحمّامات؟**
- **في المدن، الحمّامات أماكن للإغتسال مفتوحة للعموم حيث يأتي النّاس لينظّفوا أجسامهم ويمسّدوها فلا وجود لغرف اِستحمام في بيوتهم. إنّها كذلك أماكن يلتقي فيها الأصدقاء يأكلون معًا ما يجلبونه من طعام ويشربون الشّاي.**
- **أتغتسل النّساء مع الرّجال؟ سأل ميركو مندهشًا.**
- **لا، توجد حمّامات للجنسين وإلاّ فلنتخيّل الفوضى!**
- قل لي، كيف يسمّى سكّان اسطنبول؟
- **حاول أن تجد ذلك بنفسك، ميركو.**

فكّر الشّابّ.

- **اسطنبالي؟ اسطنبلاني؟ أسطنبلون؟ اسطنابلة؟**
- **اسطنبوليّون.**
- **ثقيلة، هذه الكلمة.**
- **أوافقك. أظنّ أنّ للبندقيِّين اسما أجمل.**
- **وأنت أين تقطن؟**
- **في ماغوغ، على ضفاف بحيرة كبيرة.**
- **هل توجد فيها زوارق غندول؟**
- **لا، لا توجد إلاّ في البندقيّة. وبالمقابل لنا زوارق شراعيّة ومراكب بالمحرّكات وقوارب.**
- **هل لديكم مبانٍ ضخمة؟**
- **لا ولكنّها توجد في مونريال. وجلّها متاحف أو مسارح أو مقرّات للبنوك الكبرى.**
- أحبّ أن أزوركم يوما،
- **أهلاً وسهلا بك، ميركو. أنا متأكّد من أنّك ستحبّ اِمتطاء القوارب. وإذا شئت تعلّمني كيف نصنع غندولاً. سيكون ذلك طريفًا حتى وإن اعتبرني جيراني مجنونًا."**

اِقتفاء أثر ماركو بولو

أتعلمُ أنّ ذهنك يشتغل حتى أثناء نومك؟ إنّنا لا نستخدم بالقدر الكافي هذه الوسيلة الرّائعة التي هي دماغنا. وكلّما اِضطجعْتَ فكِّرْ كثيرًا في موضوعِ كتابِكَ قبل أن تخلد للنّوم وتساءلْ عن مشكلةٍ تتّصِلُ به تبدو لَكَ بِلاَ حلٍّ.

ومع شيْءٍ من التّدرّب سرعان ما ستكتشف في الصّباح تجلّي إجابات وأفكار جديدة كما لو كان في الأمر معجزة. ولكن ما هي بمعجزة وما هو بسحرٍ. إنّه ببساطة وَعْيُكَ الباطن، وكأنّه خلاّطة أفكار، قد حلّ المشكلة وأنت نائم. ويدلّ هذا أيضا على أنّ كلّ الإجابات والحلول تكمن فيكَ.

أُحْجِيَةٌ

في رأيك، لماذا لا أتكلّم إلاّ بصيغة المذكّر؟ حين أتحدّثُ عن ناشرٍ لا عن ناشرةٍ وعن قارئٍ لا عن قارئةٍ وعن مؤلّفٍ لا عن مؤلِّفةٍ... إلَخ؟ سنجد الإجابات عن هذه الأَحَاجِي في الفصل 17.

الفصل 10: تحرير فصولك الأولى

"لا يمكننا أن نتحدّث عن الأدب دون أن نكون قد ربطنا سيور حذائنا"

إنّ الجمل الأولى من الكتاب أساسيّة حاسمة، فهي الأصعب والأهمّ لأنّها هي التي ترغّب القارئ في مطالعة كتابك. فاترك لفكرك الوقت كي يتأمّلَ، دون توتّر، مجريات قصّتك. إنّ هذا السّلوك الأدبـي الأوّل، أي أن تجلسَ لتصوّر أفكارك بالكلمات والجمل، سَيُبَرْهِنُ على أنّك من طينةِ المؤلّفينَ وقادرٌ على أنْ تبلُغَ بحماسِكَ مَدَاهُ.

هل يجب اِستعمال "أنا" أو "هو، هي"

ترتبط المسألة بموضوعِ مخطوطِكَ والصّنف الّذي يندرج فيه. فالكتابة بضمير المتكلّم المفرد تستدعي ضربًا من التّواطؤ مع القرّاء إذ ّأنّ هؤلاء سيقرؤون حكايتك بعينيك. فحين تستخدم ضمير "أنا" تصبح أنت الشّخصيّة الرّئيسيّة في كتابك والرّاوي والملاحظ في حين أنّ استخدام ضمير الغائب "هو، هي" يجعل شخصيّاتك تتطوّر بنفسها. فأيّ الاِختياريْن أفضل؟ وازِنْ بين المحاسن والمساوئ بإنجاز بعض المحاولات. وشخصيًّا لي كتب استخدمتُ فيها الضمير "أنا" وكتبتُ أخرى بضميريْ "هو، هي".

وحين أروي حكايةً بضمير المتكلّم أتقمّص دور الشّخصيّة وأعيش حكايتها ولكنّني مقابل ذلك لا أطّلع على أفكار الآخرين. وحين أستخدم ضميريْ "هو، هي" تكون شخصيّاتي هي الّتي تؤدّي بنفسها أدوارها الخاصّة بها فأحرّكها كالدّمى.

مثال نصّ واحد مكتوب بضمير "أنا" وضمير "هي"

"من وراء نافذتي في البرج المطلّ على المدينة، أشاهد الأضواءَ الرّفّافة لمونريال الغارقة في اللّيل. فأيّها يوافق نور مسكن من أنتظره؟ قد أُرسِل قطعا في السّماء صاروخَ استغاثةٍ لو كنت أملك صاروخًا حتى يعرف حبّي القادم أنّني موجودة فيأتي ليخلّصني من هذه الوحدة الضّاغطة عليّ ضغطا شديدا."

من وراء نافذتها في البرج المطلّ على المدينة تشاهد الأضواء الرّفّافة لمونريال الغارقة في اللّيل فأيّها يوافق نور مسكن من تنتظره؟ قد تُرسِل قطعا في السّماء صاروخَ استغاثةٍ لو كانت تملك صاروخًا حتى يعرف حبّها القادم أنّها موجودة فيأتي ليخلّصها من هذه الوحدة الضّاغطة عليها ضغطا شديدا."

كابوس الحبّ

قُصَّ بداية حكايتك بأوضح طريقة ممكنة ولا تترك للتّشنّج أو الرّيبة أو العجز مَنْفَذًا إليكَ. وإذا ما استعصتْ عليك جملةٌ دعها جانبًا فستعود إليها في ما بعد وانتقلْ إلى فكرة أخرى لتحرّرها. ومثلما شرحنا من

قبل تصلح المقدّمة لعرض مخطوطك. فعليك أن تهذّبها إذ أنّها تعطي فكرة عن طبقة قصّتك. لخّص، في ثلاث صفحات أو أربع، حبكة كتابك دون أن تكشف التّقلّبات الجديدة والنّهاية. وبطبيعة الحال لستَ مجبرًا، إن شئت، على كتابة مقدّمة ولك أن تأخذ مباشرة في صلب الموضوع بتحرير الفصل الأوّل من مخطوطك.

وباستطاعتك أن تكتفِيَ بترقيمِ فصولك أو بأن تسند إليها، إضافة إلى ذلك، عناوين. لك الاِختيار. فأنت من يقرّر ما تراه مفيدًا لك أكثر من غيره.

مثال من مقدّمة

"الطوارق، وهم قوم أسطوريّون من سكّان الصّحراء، يُعرَفون أيضا باسم الرّجال الزُّرْقِ، فتنوا منذ عهودٍ النّاسَ الذين يعرفونهم معرفة رقيقة. ولرفع الحُجُبِ تحديدًا عن عادات هؤلاء النّاس الفاتنين وتقاليدهم سافر صديقا طفولة، ماكس وكريستيان، مصحوبَين بدليلهم وصديقهم سليم، للقاء هؤلاء النّسوة والرّجال الشُّمّ والمتميّزين. فلم تكشف لهم هذه الرّحلة فرادة لون محاربـي الصّحراء هؤلاء فحسب بل كشفت لهم أيضا فرادة القيم الأصيلة."

على درب الطوارق

مثال من مقدّمة

"لقد غيّر هذا الكون المضطرب الآلي الذي نطفو على سطحه كمحارات مصابة بالعُصاب تغييرًا جذريًّا أسلوبنا في الوجود خصوصًا في مجال الحبّ وهو مجال ملحميّ حزيز. فيجب أن نؤمن بأنّ عاهاتنا الوراثيّة المضحكة التي ألبسونا إيّاها لا تكفي لمجابهة ضيق عيشنا بما أنّها تهمس في آذاننا في لطفٍ منذ عهد بعيد أنّ من شابه والديه فمَا ظَلَم. وبالفعل كان أسلافنا، في زمن ولّى، يربطون بغيرهم، بلا قيد أو شرط، وجودَهم بخيره وشرّه والشَّرُّ أكثرُ من الخير بكثير عموما."

كابوس الحبّ

مثال من مقدّمة

"مالت الشّمس البرتقاليّة المنعكسة على البحر الأدرياتيكي إلى الغروب في البندقيّة، هذه المدينة الحرّة الأسطوريّة التي كانت رمزًا إلى جميع الصّنائع الفنيّة وإلى الملاحة والتجارة وكان سكّانها المَهَرة قد أصبحوا أوائل الصّيارفة في التّاريخ بكراء مراكبهم للصّليبيّين وجعلهم يدفعون المقابل مُسبَقًا لأسباب لا تخفى عن لبيب. وإنّ هذه التّجارة الرابحة التي امتزجت فيها الثّقافات جعلت البندقيّة، بوّابة الشّرق، تتلألأ كالألماسة. ولا ننس أنّ مملكة البندقيّة كانت، قبل انصهارها في إيطاليا الحاليّة، قوّة مستقلّة تشعّ على العالم كلّه. وبحكم موقعها الاستراتيجيّ بين روما وبيزنطة كانت البندقيّة بارعة

في المجال الدّيبلوماسيّ وربطت صلات تجاريّة مع عدّة بلدان. لقد شيّدت البندقيّة الجريئة بصعوبة على جزر كثيرة الأوحال من سبخة ساحليّة، وهي اسم أطلق على مياه ممتدّة واقعة بين السّاحل والجرف الرّملي الذي يفصلها عن المحيط. وحقّق هذا التّحدّي العظيم بقدر ما هو مدهش قومُ فينيتّي وهم السّكّان الأصليّون لهذه المنطقة الذين بحثوا عن ملجإ اتّقاء شرّ القوطيّين الّذين قادهم أتيلاّ وكانوا يحرقون وينهبون كلّ شيء على طريقهم وهم يتقدّمون نحو روما. إنّ البندقيّة التي شُيّدت سنة 421 بطريقة فريدة بديعة على أوتاد السّنديان والصّنوبر لَكَنْزٌ معماريّ يبهر كلّ من يزورها. إذ تربط مجموعة من القناطر الصّغيرة الجذّابة الأزقّة العديدة في هذه المدينة ذات الأحياء المميّزة جدّا المثيرة للاهتمام كما متحف غصّ بمعالم تاريخيّة. فذاكرة الماضي تمثّل جزءا من أحشاء البندقيّة وهي تحيطها بهالة خاصّة لا تخفى على المتنـزّهين والعشّاق الذين يزورونها أوّل مرّة. والمصابيح التي تضيء قصر كارينيلي الضّخم، وهو يعود إلى القرن الثّامن عشر، تتراءى في المياه الهادئة لقنال البندقيّة الكبير. والغناديل السّوداء المربوطة إلى جسور عائمة مصنوعة من الخشب تُفْرِغُ حُشودًا غريبةً من كلِّ حدْبٍ وصوْبٍ. وكان أثرياء البندقيّة، في قرونٍ خَلَتْ، ينظّمون مسابقات ويبدّدون ثروات لتزيين غناديلهم حتى تكونَ الأجمل. ففُرِضَ اللّوْنُ الأسودُ حتّى لا يتكرّر مثل هذا العبث الأنانيّ الذي خرّب منازلَ عديدةً."

اقتفاء أثر ماركو بولو

مثال من مقدّمة

"كانت قلعة لويزبورغ الواقعة في جزيرة كاب بريطون بأسكتلندا الجديدة أكبر مخفر بحريّ في العالم الجديد كما كانت أثمن جوهرة فرنكوفونيّة في فرنسا الجديدة. فهي تمثّل في فخر وطنها الأمّ وقد رصّعت طرف أرض مرتمية في المحيط الأطلسي. وبحكم موقعها الاستراتيجي كانت مهمّتها حماية الأراضي الفرنسيّة في أمريكا من الغزاة وكذلك المحافظة على التّجارة المربحة لسمك القدّ المجفّف أو المدخّن أو المملّح الذي كان يموّن فرنسا وبلدانًا أخرى فالصّيد كان يمثّل رهانًا عالميًّا كبيرًا. ولم تكن لويزبورغ تصدّر السّمك فحسب بل كانت تقايضه أيضا بموادّ غذائيّة أخرى تحتاج إليها المستوطنة وببهارات وبراميل شراب "الرّوم" ودبس القصب السّكّري المجتَلب من الأنتيّ. ولما كان مرفؤها قادرًا على استقبال سفن عديدة أضحت أكثر موانئ فرنسا الجديدة جمعا لأجناس من الناس من شتّى أنحاء العالم. ظهرت هذه المدينة في الضّباب، وقد شُيِّدت حوالي 1719 بحجارة جُلبت من فرنسا منقوشةً كالألماسة وسط أسوار مدهشة. لقد قام المعماريّون والمهندسون الذين كلّفهم ملك فرنسا بعملٍ ضخمٍ إذ

أعلوا قلعة منيعة على البحر. عاشت في سلام مدّة ثلاثين عامًا وغزتها أوّل مرّة أنكلترا الجديدة سنة 1745 ثمّ استعادها الفرنسيّون بعد أربع سنوات مقابل مدينة مادراس بالهند في إطار معاهدة السّلام الموقّعة في إيكس لاشابيل. كانت لويزبورغ مسرحًا لحياة اجتماعيّة مضطربة وأشعّت إشعاعًا كبيرًا في مثلّث الذّهب الذي ربط الأنتيّ وأمريكا وفرنسا في حين أنّ منافستها هاليفاكس المركز المتقدّم البريطاني والحصن المبني على شكل نجمة كانت تهيّئ بصبر وجلد زوالها وزوال فرنسا الجديدة. ولقد عانى سكّان لويزبورغ معاناة شديدة من انتقال الحروب التي انتشرت بين فرنسا وأنكلترا من القارّة القديمة إلى القارّة الجديدة. واليوم يجهل الكثيرون التّاريخ الآسر لهذه المدينة المحصّنة، بابِ الدّخول إلى كندا ومفتاحِه كما يجهلون المكانة الرّفيعة التي كانت تحتلّها في حرب السّنوات السّبع وقبلها. والسّبب بسيط فهي توجد في أسكتلندا الجديدة لا في الكيباك. وإليك رواية الأحداث التي دحرجت فرنسا الجديدة إلى الفوضى النهائيّة."

لويزبورغ

مثال من فصل أوّل يبدأ بصلب الموضوع دون مقدّمة

"التحق جايمس ولش، ولم يكد يبلغ العشرين، بشرطة الخيّالة للشّمال الغربـي دون تردّدٍ سنة 1874، وكان يميل ميلا واضحًا إلى المغامرة. بدأ كلّ شيء سنة 1873 حين وُضِعت معلّقات إشهاريّة جذّابة في عدد من الأماكن العموميّة بأقاليم الغرب لانتداب متطوّعين تتراوح أعمارهم بين 18 و40 سنة أشدّاء بواسل على خُلُق رفيع يحسنون ركوب الخيل."

غروب الشّجعان

مثال من فصل أوّل يبدأ بصلب الموضوع دون مقدّمة

"أنْ تكونَ رجلاً قصير القامة، وأن يكون لك رأس قليل الشّعر وأن تكون لك بعض الشّحوم الزّائدة وأن تضع بوضوح صورة على موقع "ريزوكور. كوم" ذلك كلّه بمثابة التّوقيع على الحكم بإعدامك. فجميع النّساء يبحثن عن رجل طويل القامة، غزيرالشّعر. غير أنّني كنتُ أجهل هذا الأمر فقد لعبت ورقة النّزاهة متوهِّمًا أنّ جميع النّاس مثلي يفتحون قلوبهم دون الحكم على مظاهر الآخرين."

البحث الافتراضي عن الغواني

مثال من بداية فصل

"بدأت المسيرة الكبرى للشّرطة الرّاكبة في اتّجاه الغرب في 8 جويلية 1874 باستعراض مشهود للكتيبة في لباس الاحتفال وذلك في فور دفران المركز الصّغير النّائي بين الوادي الأحمر وحدود الولايات المتّحدة. وكان الضابط فرنس يراقب في رضى بيِّنٍ رجاله، وعددهم

2، موزَّعين على ستِّ فِرقٍ محتشدة في ساحةِ السّلاح بالقلعة. لقد كان للرّجال مظهر مهيب وقد ارتدوا قمصانًا حمراء قانية وسراويل رماديّة وجزمات سوداء برّاقة وقفّازات من جلد وخوذات بيضاء من الفلّين مزخرفة بسلسلة صغيرة من النّحاس الأصفر. كانوا جميعا مسلّحين بمسدّسات من نوع دين-إي-أدامس ذات أستون طويل وبنادق قصيرة من نوع سنيدر أنفيلد وبسيوف ورماحٍ. انتشروا بتؤدة على أحصنتهم الحرون الفخمة أمام منصّة المفوّض فرنس وضبّاطه."

غروب الشّجعان

أثْرِ نصَّكَ بالرّوائح والألوان والأصوات وحركات الجسم والتّذوّق والسّحر

كيْ نصنعَ كتابًا نحتاج إلى حكاية وفاعلين وحوارات وأمكنة وأعمال ولكن علينا أن نثيرَ الحواسّ الخمسَ: الشّمّ والتّذوّق والبصر والسّمع واللّمس وأن نستعين بالسّحر لتشويق القارئ. فروائح القهوة والمطبخ والأزهار تضفي على القصّة نبرة أصالة. والأذواق تستدعي إلى الذهن الطّبق المفضّل وخصائص الشّراب والعبرات ذات الطّعم المالح... إلخ والأحاسيس الحاصلة والألوان تضيف مسحة مرئيّة سواء تعلّق الأمر بلون الشّعر أو الثّياب أو السّيّارة أو زينة البيت أو وصف الطّبيعة... إلخ. والأصوات تشمل الموسيقى ونبرة الأداء وقصف الرّعود ووقع الأمطار وحفيف أوراق الأشجار... إلخ.

وتُضْفِي حركاتُ الجسم بُعْدًا إنسانيًّا: الاحتضان والقبلة والملاطفة والجنس أو الفظاظة والعنف... إلخ. أمّا السّحر فهو ما يجمع كلّ ذلك بكلمات مناسبة ذات وقع أو شعريّة تكسب مخطوطك حسنا. بهذه التّفاصيل جميعًا تكسو جملك فتجعلها أمتع عند المطالعة. إلاّ أنّ الإكثار منها، شأنه شأن الإقلال، مخلّ فلا ينبغي لكَ أنْ تُمِلَّ قرّاءك دون طائل بصفحات من الوصف.

إنّ السّرّ في معرفة المقدار. استخدم قاموسًا للمترادفات حتى تتلافى ألوانا من التّكرار تعيّنها بقلمك اللّبديّ الأصفر في انتظار أن تجد الكلمة التي تعوّضها.

مثال من الرّوائح والتّذوّق والألوان

"تذوّقوا مرطّبات لذيذة مزيّنة بالعسل واللّوز وهم يشربون شايًا بالنّعناع ذكيّ الرّائحة وهو الشّراب المفضّل في شمال إفريقيا ثمّ زاروا الأسواق وهي مغارات علي بابا، تضمّ عدّة عطريّات ومقاه طريفة جذّابة وحوانيت للصّناعات التّقليديّة ذات الألوان الزّاهية المثيرة. ساروا بجانب دكاكين عديدة يتشمّمون روائح الطبخ اللّطيفة: روائح المرقاز والدواجن والخضر المعدّة بالزّنجبيل وزيت الزّيتون واللّيمون والزّعفران والكمّون والكرويّة."

على درب الطوارق
مثال من اللّمس

"وضعني بتؤدة على الفراش وجرّدني من ثيابـي بلطف وهو يداعبني. وتعرّى بدوره فلاحظت أنّ فرعوني الجميل في صورة باهرة. وبكثير من الشّبق كشف لي في اشتهاء أسرار الأهرام وبدا مستحسنًا أن أكون تلميذة ليّنة العريكة منفتحة. وألهبت يداه الخبيرتان حواسّي فتواصل الانصهار الكهربائيّ لجسدينا إلى ساعة متأخّرة من اللّيل ثمّ غرقنا في نومٍ عميقٍ متلاصقين وقد أنهكنا التّعب."

كابوس الحبّ
مثال عن الرّوائح والذّوق والألوان

"في المساء، نظّمت السيّدة دريكور، بقلعة الملك، حفل عشاء فاخرًا جعلته مفاجأة لزوجها. لبست فستانًا من السّاتان الأحمر وذهبت لتحضر زوجها من مكتبه. وقد قبل، بإلحاح من زوجته، أن تضع على عينيه عصابة وتقوده إلى قاعة الأكل. أجلسته ورفعت العصابة. كانت المائدة الكبرى مجهزّة لشخصين في طرفيْها تضيئها أنوار خافتة صادرة من الشّمعدانات الأربعة، وهي مغطّاة بسماط رائع من الدنتيل مفروشة بما لذّ وطاب من المأكولات في صحون فضّية. تفوح رائحة طبخ ذكيّة في أرجاء القاعة. كانت الصّحون المصنوعة من الخزف الأزرق والأبيض منقوشة بالذهب المرقّق وكانت مقابض السّكاكين مصنوعة من أسنان كركدن البحر. أمّا الكؤوس وقنّينتا الخمر المصنوعة من الكريستال فقد كانت مزخرفة بإتقان. اِنتفض الوالي:

- يا الله!يا صويحبتي! ماذا فعلتُ حتى أستحقّ كلّ هذه اللّطائف المشهيّة التي ستسرّ حواسّي؟
- لاشيء. هو لمتعة أن أكون في رفقتك ولنطلب من المولى أن يعضدَنا في المحنة التي سنمرّ بها.
- يا سلام! من أين أتيت بطاقم الأكل المدهش! وبهذا الفستان الذي ناسب هيئة جسمك تماما؟ لم أكن أدري أنّنا نمتلك هذه الكنوز التي تسرّ النّظر.

اصطنعت ماري-آن الكياسة.

- لاشيء يدعو إلى الاندهاش يا حبيبـي. هذه الكنوز، كما قلت، جديدة ومصدرها هو مصدر قطع صابوني المعطّر بالخزامى الأنكليزية والأشياء الصغيرة التي تجعل حياتنا العاديّة أحسن.
- إنّك تصنعين المفاجآت بقدر ما أنت مذهلة مبهرة! أتصوّرك امرأة قرصانا، تذهبين لمهاجمة السّفن المعادية فتُناوِر لتنقضّ على طواقمها، بسحرك وابتسامتك الفاتنة اللّذين يهلكان القدّيسين.
- لا تبالغ، أغسطين!
- لا لست أبالغ، أنتِ النّساء جميعا في امرأة وأنّني لمحظوظ أنْ تكوني لي أنا.
- وأنا من حظّي أن أقاسم الحياة رجلا نـزيها لا نظير له أعشقه بشغف. لنتعشّ يا حبيبتي. لنغتنم هذه السّهرة الأخيرة قبل أنْ تدمدم المدافع. ولنشربْ على نخبِ لويزبورغ.

حرّكت السّيدة دريكور جُلجُلا صغيرًا من النّحاس الأصفر فحضرت خادمتان لتُقدّمَا الشّراب والأكل. دقّ الزّوجان كأسا بكأس مبتسميْن:

- على نخب دوام لويزبورغ ودوام مملكة فرنسا في العالم الجديد وعلى نخب عشرتنا،

قالت ماري –آن.
- على نخبِ بلدي، على نخبِ مستوطنتي الّتي أعزّها كثيرًا على نخب زوجتي، مُلهمتي التي تيسّر لي تجاوز ذاتي وتبعث فيَّ بحُنُوٍّ قوّةً هرقليّةً وعلى نخب ما لنا من أسراب سمك القُدّ.

كانا يتلذّذان بفرخ دجاج مصليّ بالبصل مرفقًا بقطع من اللّفتِ وكعكة من البطاطا."

لويزبورغ

مثال من الرّوائح والذّوق والألوان

"كان الحفل التّنكّري الكبير في أَوْجِهِ. طاولتان طويلتان مليئتان بمؤن لا تعرف أيّها أشهى قدّمت في أطباقٍ كبيرةٍ من الفضّة الخالصة. ففنّ الطّعام في البندقيّة مشهور بأسماكه وغلال البحر والقشريّات التي تحضّر بمهارة وهو مشهور أيضا بأطباقه المحلّية الأخرى الأصيلة. وكان الضّيوف يخدمون أنفسهم ويبدو عليهم أنّهم يستجيدون هذه المائدة اللّذيذة المعدّة لذوّاقين مرهفي الذّوق. فطائر في شكل أزهار من الكوسى والسّمك، وبلح البحر المطبوخ بالخمر الأبيض وعجين سمك القُدّ المجفّف ورقائق من لحم العجول النّيء المنقّع في زيت الزّيتون وسمك السّردين بمرق مزّ تجاورها أطباق عجين وسلطات معدّة بفنّ وذوق. أمّا الأجبان والتّحليات فيبدو كلّ واحد منها أروع من الآخر. وكان الخدمُ يمرّون، دون أن يلفتوا إليهم الأنظار، حاملين قنّينات الخمر الأحمر والأبيض من النّوع الرّفيع حتى تظلّ أقداح المدعوّين الكبيرة ذات اللّونيْن ملأى دائمًا. وعلى مقاعد كبيرة من الجلد ملاصقة للحيطان، مزيّنة بوسائد مريحةٍ كان يمكن للحاضرين أنْ يأكلوا وهم يريحون أرجلهم. ويرفع الخدم، وَهُمْ يترصّدون حركاتهم وسكناتهم، صحونهم المصنوعة من الخزف ومواعينهم الفضّية. ويطلق هؤلاء الشباعى السّعداء أعنّتهم بعد ذلك في حلبة الرّقص فرحين بكونهم مركز الجذب على إيقاع الموسيقيّين الحاذقين المتوقّدين نشاطًا. وكانت الكونتيسا توجّه، في سرورٍ بيِّنٍ، ماكس الذي كان يمطرها بوابلٍ من الأسئلة. فيسألها لِمَ يُسقى طبقُ السّمك بمرق أسود؟
- إنّه مرق من حبر الحُبّار وهو من اختصاصات البندقيّة. لا تأبه باللّون إنّه لذيذ جدًّا، أتركك إلى حين حتى أسلّم على ضيوفي. سألتحق بك بعد قليل."

اِقتفاء أثر ماركو بولو

السّحر

يكسو السّحر كلماتك وجملك ويجعلها تأتلق بأنْ يضفيَ عليها بُعدًا محسوسًا إنسانيًّا. فلا غِنىً عن السّحر. إنّه يعطف قلوب قرّائك.

مثال عن السّحر الشّعري

"في الصّباح كانت غابة النخيل ملتحفة بالنّدى وكانت بعض الغزلان غير المبالية تلعق في هدوء الخيام وأوراق النّبات. فهذه الحيوانات

الرّشيقة لا تشرب إلاّ النّدى وهي معتادة، شأنها شأن الجِمال، على ترويض عطشها. انتشرت الشّمس الطّالعة ذات الأشعّة المنعكسة البرتقاليّة ببطء على الهضاب والجبال المحيطتين بالواحة. حيّى كوكبُ النّار بستانَ الصّحراء، هذه الجزيرة الصغيرة المخضوضرة الشبيهة بجوهرة يخبّئها المحيط الرّملي الأصفر في صميمه. صوّر الغزلان وحاول أن يلاطف إحداها ولكنّها ابتعدت وهي تنظر إليه مندهشة. فليس من عادتها أن تُلمس وهي تعيش في حرّية منسجمة الانسجام كلّه مع الطوارق. فمن هو هذا الرّجل غريب الأطوار الذي كان يسعى إلى ترويضها؟. لَمْ يُلِحَّ ماكس فقد فهم أنّ الغزلان نَفُورٌ كالطوارق تماما حين تتعامل مع من لا تعرف."

على درب الطوارق

مثال عن الأصوات والسّحر الشّعري

"في اللّيلة الخامسة حين لم يعد للهنود الحمر أيّ أثر انقضّت عاصفةٌ مدمّرة كاسحة البريّة الشّاسعة المقفرة، مرسلةً خطوطًا من البروق على أراضي أجداد الهنود الحمر المقدّسة كأنّها تكريم بعد الوفاة لأمّتهم العظيمة المهزومة. فتجرّدت آلهة الهنود الحمر جميعًا من أكفانها التي تُجلّلها، خلال الزّوبعة، هالة فضيّة من أشعّة قمر جليديّ. حوّمت في الفضاء ساكبة دموعا من دم إلى أن بلغت النّجوم كأنّها طيور كبيرة جريحة. في تلك اللّيلة انتشرت فحول الجياد البرّية كالأشباح في البراري الشّاسعة فحيّت آلهة الهنود الحمر بصهيلها المتقطّع. ثمّ دفن العقلُ الجبّارُ، واماكان تنكا، الإلهُ الأكبرُ، على قصف الرّعود، قلوبَ المحاربين التّقيّة بفخارهم وشرفهم وسيرهم البطوليّة."

غروب الشجعان

مثال عن السّحر الشّعري

"لزيارة هلّولاند المليئة أسرارًا ينبغي للمرء أن يكون مجنونًا حقًّا أخرق مقدامًا وأن يكون جسورا عند كلّ ابتلاء وألاّ يخشى بالخصوص اللّقاءات الغريبة المزعزعة الفاتنة التي قد تحدث في أماسي ليلة تمام. ففي هذه اللّيالي كلّ شيء يمكن أن يحدث. فالشّمال القصيّ التقاء الفضاء باللاّنهاية، إنّه بصمة مضيئة تفوق الخيالَ وتتحدّاه تَسِمُ المرءَ إلى الأبد. وهي إلى ذلك تجربةٌ باهرة بقدر ما هي مؤلمة تترك أثرَها في كلّ كائن حيّ على التّوّ فلا أحد ينجو من براثن هلّولاند السّاحرة، عروس المحيطات ذات الغناء المنوّم. ولكن أليست هذه هي الضّريبة المستوجَب دفعها لرفعِ الحُجُبِ عن الأسرارِ المحفوظة بعناية فائقة لبلاد الثّلوج الخالدة؟."

أماروك، روح الذّئاب

مثال عن السّحر الشّعري

"كان ماكس وآرج عائديْن ببطءٍ إلى المخيَّمِ إذ توقّف ماكس وقد سمّرته المفاجأة مكانه. ففي السّماءِ الصّافيةِ المقمرةِ المُرَصَّعةِ نجومًا تجمّعت غيمات صغيرةٌ بيضاءُ لتكوِّنَ ملامحَ تامّةً لامرأةٍ على قَدْرٍ كبيرٍ من الجمال تمدُّ له يدَهَا. لم يقدر ماكس على أن يُشِيحَ بِبَصَرِهِ عن الهيئةِ السّاحرةِ المنتصبة أمام عينيه. مرّت بخاطره خرافة تين هونان، ملكة الطوارق الخرافيّة، تلك المرأة الغامضة التي كانت أصلَ هذا الشعب الأشمّ الذي جاء للالتقاء به. كانت هذه المرأة جميلةً جمال عائشة فلمس ماكس على سبيل الاحترام صليب أغادي. فقد تذكّر أنّ عائشة أعلمته بأنّ هذا الصليب سيحميهم من عفاريت الصّحراء الشّرّيرة."

على درب الطوارق

مثال عن السّحر الشّعري

"للمرّة الثّانية ربط حبلٌ سحريٌّ الإنسان والحيوان. انـزوى ذئبٌ أصغر وأنحف بعض الانـزواء. تراجع أومياك ليحتكّ به. فهم ماكس الرّسالة. إنّها ذئبة! ذئبته! رفيقة دربه! كانا يكوّنان معًا الزّوج المسيطر على القطيعِ. أخيرًا كلّ شيء بيّن. ففي ذاك المساء المأثور، جاءت المجموعة تبحث عن قائِدِها. فالذّئبُ شديد التّعلّق بأنثاه التي يعيش معها حبًّا كبيرًا. لم يكن لأومياك من اِختيارٍ. فقد كان مجبَرًا على الرّحيل. كان عليه أنْ يستعيدَ دورَ القائدِ ويلتحِقَ بالذّئبةِ المعشوقةِ. كان ماكس متأثّرًا جدّا لذكاء الذّئاب الخارق للعادة. فكرامة أومياك ووفاؤه كانا درسًا رائعًا من دروسِ الحياةِ غمر قلبَه جمالاً."

أماروك، روح الذّئاب

مثال عن السّحر

"ببطءٍ، ظهر عشرةُ أنفار من قبيلة سيو كانوا مختبئِينَ في أدغالهم وتقدّمُوا واحدًا إثر آخر وسط قهقهات جنود الاستطلاع المتواصلة. وكان الهنود الحمر يبدون، حاملين أسلحتهم في أيديهم، في مظهرٍ شيطانيٍّ مردّه وجوههم المبرقشة بالمغرة الحمراء والفحم. كانوا يتفرّسون في الرّجُليْن اللّذيْن كانا ينتفضان في الماء مشيرين إليهم لمشاركتهم ألعابهم المائيّة. وعلى الرغم من امتزاج الضّحكات المصطنَعة بَلَغَ التّوتّرُ درجة تكاد لا تُحْتَمَلُ. ثمّ، كما لو كان في الأمر سحرٌ، تقهقر الهنود الحمر إلى الدّغل واختفَوْا كالأطيافِ. خرج الشُّرطيّان، وهما يسمعان خبب الخيول المبتعدة، من الماء وتهالكا على الرّمل."

غروب الشّجعان

مثال عن السّحر الشّعري

"منَ الغدِ، رفعت الشّيكوتيمي المرساةَ وانطلقتْ في أناقةٍ، ناشرةً

الشّراعَ، باتّجاهِ وِجْهتِها المقبلة، من شواطئ المغرب الرّائعة إلى ميناء طنجة. وقد حضر عدّة متسكّعين انطلاق السفينة الشراعيّة البيضاء البديعة تحت سماء لازورديّة. كانت شيكوتيمي، بطولها الذي يبلغ 36 مترًا، مريحةً فسيحةً. وجميع بحّارة الدّنيا يعرفون، حقّ المعرفة، هذا الشّعور من السّعادة الخالصة الذي يهزّ النّفس هزًّا عند كلِّ انطلاق. وهو ما يسمّى نداء البحر، هذا النّداء الذي لا يشعر به عميقا إلاّ الملاّحون المحنَّكون كما لو كانوا يشكّلون والمحيط شيئًا واحدًا. إنّ هذا الاتّحادَ بين البحر واللاّمتناهي لا يختلف عن حال النّعمة. فزوجاتُ البحّارةِ لا يعملن البتّة على معارضة البحر، غريمهنّ. فالبحر يخلب لبّ البحّارة كعشيقة صعب رضاها قُلَّب ذات نـزوات. ولكن كم هي مذكية للشهوة مربكة موقدة للحواسّ! إنّه يجذبهم، أصدقاء أو أعداء، في ارتخاء واحدًا إثر آخر، إلى ذراعيْه الطّويليْن كأصابع الأخطبوط حتى يختلس أرواحَهم."

على درب الطوارق

مثال عن السّحر الشّعري

"من الغدِ، اتّجه أسطولُ جيفري أمهرست الأنكليزيّ المهيب وهو يضمّ أربعين سفينة وكان يقوده نائب الأميرال إدوارد بوسكاون، في نظام بديع تحت الشمس صوبَ خليج غاباروس الكبير غربيّ القلعة. وهو ما لم يكن يُنْبِئُ بخير. صعدت السّيدة دروكور السّور وأطلقت قذيفةً مدفعيّةً لتبيّن للغُزاة أنّ لويزبورغ لن تخضع فهتف لها جميع أفراد الحامية وسكّان المدينة.

- على لويزبورغ، المقطوعة عن العالم، أن تقاتل بشجاعة دون أن تخشى كثرة أعداد الأعداء. كذا صرخت في الجمهور، وقد أرسلت شعرها في الريح وكان معطفها الطويل الأسود يسمح بتلمّح فستانها الأزرق الملكيّ اللّون.

هتفتِ الجماهيرُ لزوجةِ الوالي ثانية بحماسٍ. فقد كانت هذه المرأة السّاحرة يعشقها الجميع لجمالها وطيبتها وقوّة شخصيّتها. فتنت أوغسطين دو دروكور جرأة زوجته فالتحق بها وكان لابسًا أجمل أزيائه العسكريّة الزّرقاء والحمراء وعليها شرائطه. كان يضع درعَ عُنُقٍ مذهَّبًا يرمز إلى الدّرع الذي كان الفرسان يلبسونه قديمًا. قبّل زوجته طويلا في تصفيق المجتمعين.

همستْ عجوزٌ من عامّة النّاس:

- كأنّهما زوجٌ من الآلهة. إنّ حبّا بهذا القدر من الجمال والقوّة لا يمكنه إلاّ أن يحمِلَ لنا البختَ.

أطلقت السيدة دروكور قذيفة مدفعيّة ثانية قائلة:

- نفوّض أمْرَنَا للرّبّ!"

لويزبورغ

مثال عن السّحر الشّعري

"فتنتهما هانغزو. هضاب وعرةٌ مسالكُها تحيط ببحيرة "سياو هو"

الرّائعة التي تنساب فيها قوارب سمبان وسفن شراعيّة من الخيزران. وتستخدم هذه المراكب الشّراعيّة في الغالب لسكن العائلات المعوزة. وكانت ضفاف البحيرة مرصّعة بمعابد فاتنة ذات طوابق وبيوت عبادة من جميع الأحجام وجسور تعلو مناظرَ طبيعيّة تتنافس في سحر النّاظرين. وكانت هانغزو تجسّم الإحساس بالجمال وتمثّل نشيدًا للحسن والبهاء. كان السّيّاح يأتون من أرجاء المعمورة لزيارة هذه المدينة. يكترون درّاجات ويتجوّلون في الحدائق المتميّزة بأبوابها المستديرة في شكل بدر. ويجدون في نباتات هذه المنطقة عظمةً وجلالاً ويعجبون، أيّما إعجاب، بالخيزران والسّنديان وشجر الجنكة الأنيق، وهو شجر نادر فائق الجمال، وبالصّنوبر والتّنّوب الفضيّ ذي الأشكال الرّشيقة، والأزاليا والمغنوليا والأقاحي واللّوتس والكاميليا والرّند والفوانيا وزهور اليرقوق برائحتها اللّطيفة بقدر ما هي رقيقة. وفي المدينة، تعرض محلاّت الصّناعات التّقليديّة مراوحَ وعلبًا من خشب الصّندل أو البرنيق وقضبانًا مزركشةً وفوانيسَ من الورقِ وحُلِيًّا من اليَشْمِ ورسومًا على الحرير وأواني من الخزف محلاّة بالتّنانين والزّهور وملابس من الدّيباج والحرير والساتان. وكان السّيّاح يتملّون في فنون الخطّ، وتتمثّل في رسم كتابة تصويريّة من العلامات الصّينيّة على ورق مستخرج من الأرز. وكنوز الخطّاط أربعة: قلم من القصب وحجر للمداد وفرشاة وورق. يتأمّلون بفضول أغلفة للأظافر مستطيلة مصنوعة من الفضّة. ففي بلاط الأباطرة كان عِلْيَةُ القوْمِ، رجالاً ونساءً، يغالون في إطالة أظافرهم التي كانوا يحمونها بتلك الأغلفة."

اِقتفاء أثر ماركو بولو

العودة إلى الماضي

تعلّمْ إدماج العودة إلى الماضي في نصّكَ دون إفراطٍ حتى لا تضيع على القارئ حبل حكايتك. وتفيد العودة إلى الماضي في تمكين القارئ من تعيين الأحداث وإطلاعه على أحداث جديدة. وهي تمكّن كذلك من عدم الكشف عن كلّ شيء.

مثال من العودة إلى الماضي

"تبيّن أنّ حكاية جيري أشدّ تعقيدًا. فقد كشف أوّل الأمر عن أنّ أمّه كانت كريمةَ قائدِ حامية حصن فكتوريا الواقع في سواحل المحيط الهادي. ولمّا أظهرت قبائل الهيدا عصيانها قرّر الجنود القضاء عليها بتدبير غارة قاتلة ليليّة على قرية للسّكّان الأصليّين تقع في أرخبيل لاران شرلوت. فأضرموا النّار في ما أمكن لهم وقتّلوا عائلات عديدة. فهاجمت قبائل الهيدا، على سبيل الثّأر، حصن فيكتوريا واختطفت ابنة القائد. فاغتصب رأسٌ من رؤوس الهايدا القائدَ وعذّبه. وأطلق الهنديّ سراح الفتاة بعد أيّام ثلاثة معتبرًا أنّه أدرك ثأره بما فيه الكفاية

بفضل إهانة قائدٍ أبيضَ إهانةً كبرى."

غروب الشّجعان

مثال من العودة إلى الماضي

"بدت كيليوتاك تعيش مرّة أخرى هذه الذّكريات المضنية على نحوٍ مؤلم. وهذا ما أثّر في ماكس:

- ماذا وقع هناك؟

لقد كذِبَ الرّجلُ الأبيضُ. فبدل أن يعتمدني مرشدًا وجدت نفسي، رغمًا عنّي، في مخيّم حطّابين على ضفاف بحيرة العبيد الكبرى. في هذا المخيّم كان الرّجال يشربون كثيرًا، يُسرفون في الشّرب. وطيلة أشهر أساؤوا معاملتي وأهانوني. لقد انتزعوا منّي الرّغبةَ في الحياة وأوهامي جميعًا. وفي أحد المساءات، قرّرت أنْ أهربَ فسرقت مركبةَ جليدٍ مخصّصةً للتّغذية. فأنا لم أشَأْ أن أموتَ جوعًا. لقد كنت أكرههم كرهًا شديدًا! كنت أودّ قتلهم ولكنّني كنت عاجزةً عن ذلك. هنالك أدركت أنّ الرّجالَ البيض كانوا أشرارًا مثلهم مثل قوم الإينوي. والحاصل أنّ الرّجالَ أشرار يحبّون الإيذاء"

أماروك، روح الذّئاب

مثال من العودة إلى الماضي

"كان عليك أن تضع نفسك مكان هذا العرق الذي كاد يُبادُ. ففي 1880، جاء الجنود الفرنسيّون التّابعون لبعثة فلاتر لشقّ طريق تربط طرفَيْ الصّحراء ولمدّ سكّة حديدٍ. وكان السّكّان المحلّيون، في نظرهم، من عرق أدنى منـزلة غير جدير بالتّقدير مثلُهم في ذلك، تقريبًا، مثل الأمرنديّين. وقتل كلّ أولئك الفرنسيّين أو عُذِّبُوا أو سُمِّمُوا بعقاقير ومن تبقّى منهم نهش بعضهم بعضا أو أصابهم الجنون عند لقائهم الرّجالَ الزّرقَ الذين لم يقبلوا تعدّيهم الماكر المغرور بقدر ما هو مهين."

على درب الطوارق

مثال من العودة إلى الماضي

"هل تعرف قصّة ماركو بولو؟

- إجمالاً، أمّا التّفاصيل فلا.
- ماركو بولو رحّالة من البندقيّة، عاش في القرن 13 ارتبط اسمه، وثيق الارتباط، بآسيا. فما كاد ذاك الشّاب النّابغة الجَسُور يبلغ السّابعة عشرة حتى رافق أباه وعمّه إلى بلاط الصّين أين كان يحكم الإمبراطور كوبيلاي خان حُكْمًا لا ينازعه فيه أحد. وقد كان هذا الامبراطور المهيب الجانب من سلالة الغازي الشّهير جنجيز خان الذي وُفِّقَ، أيّما توفيق، في أن يُحلّ السّلم بين جميع القبائل المنغوليّة المتعادية ليكوّن، في آخر المطاف، شعبًا موحَّدًا متآلِفًا. ولمْ يلتَقِ هذا الشّريف من أشراف آسيا ذو الحكمة التي تخلب الألباب أناسًا غريبين من قبل البتّةَ وقد كان يتساءل عن اختلاف الأديان ويعجب له. كان يحبّ أن يعرف عادات اللاّتينيّين وتقاليدهم فأرشده ماركو بولو إذ أضحى سفيره الوفيّ في المهمّات جميعًا. وتعلّم ماركو بولو، وهو يجوب في رحلة على امتداد عشرة آلاف كيلومتر ليبلغ آسيا، الكثيرَ أثناء تلك المغامرة الثّقافيّة والإنسانيّة الخارقة للعادة. وعند عودته من الصّين، بعد غياب دام أربعة وعشرين عامًا، أخرج هذا البندقيّ الخرافيّ من حواشٍ سرّيّة في أسماله الآسيويّة، أحجارًا كريمةً أدهشت أقرباءَه الذين لم يتعرّفوا عليه بعد هذه المدّة الطويلة وهُمْ

أوّل من حدّثهم عن أسفاره.

- **أتصوّر اندهاشهم لرؤية رجل لا يمكن تعرّفه في زيّه المضحك الشرقيّ يصل إليهم.**
- بالضّبط. لُقِّبَ على سبيل التّهكّم شديد الأذى بصاحب الملايين حسدًا أو غيرة، واتّهمه أبناء وطنه أنفسهم بأنّه يصدّق ما يختلقه وبأنّه كاذب وكان أوْلى بهم أن يحتفوا به بدل أن يحطّوا لجهلهم من قدره حطًّا. وواصل حياتَه دون أن يكترث بتهكّم النّاس وأصبح قائدًا في بحريّة البندقيّة. وأَسَرَهُ أسطولُ الأعداء في معركة بحريّة بين البندقيّة وجنوة. وفي السّجن أوكل إلى أحد رفاق الضّرّاء، روستيشلّو دي بيز، كتابة حكايته. وقد ألهم هذا الكتابُ، كثيرين من كبار الرّحّالة المستكشفين لكريستوف كولمب، أو غيره. وفي آخر أيّامه، وهو على عتبة السّبعين، ردّ ماركو بولو على الذين مازالوا يرون حكايته لا تصدّق متّهمين إيّاه بالتّوهّم والتّخيّل، قائلاً: ... وكما هو الشّأن دائمًا، حيّرت الصّين الغامضة، بسبب فكرها المستغلق على الأفهام، الغربيّين دائمًا فأسالت القصّة الغريبة عن الثّروات الخرافيّة التي وصفها ماركو بولو لُعَابَ غزاة عديدين ضربوا عصا التّرحال في طريق الحرير لأهدافٍ نبيلةٍ إلى حدٍّ مّا. وقد قادتهم آثار أقدام ماركو بولو روحيًّا في رحلاتهم إلى الإمبراطوريّة السّماويّة كما لو كانت منارة أو علامة هادية. لقد أضحت هذه الطّريق، سواء كان الوصول إليها برًّا أو بحرًا، مزودًا يدرّ الرّخاء أو رسولاً لكافّة النّاس محايِدًا يمثّل مفترقَ طرق ثقافيًّا لنقلِ الأفكارِ والمعتقداتِ. فأثّرت في سلوك خلق كثير ممّن سلكها وأثّرت في صيغ كيانهم وفي أساليبهم في التّفكير إذ جعلتهم يغوصون في عالم ماركو بولو السّحري وهو عالم لا مستحيل فيه للنّاس العمليّين.
- **أعترف لك بأنّني منبهر بقصّتك، سيسينا.**
- **أفهمت لِمَ أرغَبُ في هذه الرّحلة رغبة شديدة؟ أتقبلُ بتنظيم كلّ شيء؟**
- **أنت، بهذا، تضربين على وتر المغامرة فيّ وتستثيرين أيضا شغفي بالتّاريخ وبكبار الرّحّالة المستكشفين."**

اِقتفاء أثر ماركو بولو

مثال من العودة إلى الماضي

"أغسطين، كيف بدأت هذه الحرب الغبيّة حينئذ؟

- **يعود ذلك إلى زمن بعيد. فقد عاشت لويزبورغ ما يناهز ثلاثين عامًا في سلم مع الأنكليز إلى حدود سنة 1744 حين اندلعت حرب الوراثة بالنّمسا. فلم تتّفق الممالك على اختيار الوريثة التي كانت صغيرة جدًّا ضعيفة ضعفًا فادحًا كي تحكم. فغزا البريطانيّون لويزبورغ سنة 1745 لأنّ الحاكم في ذلك العهد، السيد لوي دي بون دوشمبون قد استسلم. ولكن بعد ثلاث سنوات استعاد الفرنسيّون القلعة بموجب معاهدة إكس لاشابيل. ومن النّافل التّذكير بأنّ ذلك لم يرُقْ للأنكليز. ثمّ سمّم الوضعَ، منذ أربع سنوات خلت، في وادي أهيو، شابٌّ دعيٌّ يُدْعَى جورج واشنطون يعمل رائدًا في جيش فرجينا. فحين أطرد جيشنا بمساعدة المتوحّشين المستعمرين البريطانيّين حاول واشنطن أن يقاومنا في حصن صغير. فنصب كمينًا لعشرة من جنودنا المكلّفين بالاستطلاع يقودهم الضّابط جوزيف كولون دي جومنفيل الذي قدم للتّفاوض بلطفٍ في شأن استسلام واشنطون. فلم يحترم هذا الوحش الشّابّ حتى حياد المفاوضة وأعدمهم فورًا على عين المكان.**
- **إنّه لأمر فظيع!**
- **نعم. إنّ هذا الصّنيع الحقير لا يوصف. لقد تسبّب هذا الاغتيال في فضيحة هنا وفي فرنسا. وتوصّل أخ السيد جومنفيل بعد ذلك إلى إلقاء القبض على هذا القاتل وأهانه إذ أجبره على الاعتراف كتابيًّا بخطإه في التّقدير وانعدام شرف الجنديّ لديه. وبدل إعدام جورج واشنطون بتهمة القتل أخلى سبيله وتركه ينوء، حياتَه، بعبء صنيعه الشّنيع. واحتدمت الخواطر في أوروبا أيضا. فتحالفت فرنسا مع عدوّتها النّمسا وكانت النمسا تغار من بروسيا التي تحصّلت على سيليزي وكانت لها أطماع فيها. والتحقت روسيا وإسبانيا والسويد بفرنسا والنمسا لتشنّ معًا حربًا لاهوادة فيها على أنكلترا حليفة بروسيا. وأقسمت أنكلترا على أن تفشل التّوسّع المزدهر لمستعمراتنا. احتدّت اللّهجة وهذا ما نحن عليه اليوم. فلأوّل مرّة في تاريخ البشريّة نشهد حربًا عالميّة لأنّ ازدهارنا الاستعماريّ يثير حسد الحاسدين. إنّ أسرابنا من سمك القدّ تُذكي سُعَار الجشع والطّمع.**
- **حقًّا إنّ في طبع البشر شيئًا من الشرّ والجشع. كلّ هذا الدّم المراق بسبب الصّراعات والضّغائن والمطامح في الربح التجاريّ بدل الجنوح إلى السّلم...**
- **منذ أن أباد الإيروكيّون، حلفاء الأنكليز، أصدقاءنا الهوريّين لم يبق أيّ شيء على ما**

يرام. فقد روّضنا متوحّشينا في حين أنّ البريطانيّين كانوا يزوّدون متوحّشيهم بالبنادق والذّخيرة. إنّ تسليح المتوحّشين جريمة! هو مخالف للقانون!

- **لا ريب في أنّ أعداءنا لا تنقصهم الدّناءة. غير أنّه، يا أغسطين، لم يكن الهوريّون بسبب متاعبهم من الطّاهرين الأنقياء... فالبندقيّة، سواء أكانت قانونيّة أم لا، تبدو لي أكثر إنسانيّة، إذا جاز لي التّعبير على هذا النّحو.**
- **أتفهّم وجهة نظرك، عزيزتي، ولكنّ الأنكليز كانوا أيضا يزوّدون متوحّشيهم بالمشروبات الكحوليّة. أتعلمين أنّ الهنود الحمر يتحمّلون بصعوبة الكحول ويصبحون مجانين تقريبا لأنّهم لا يتناولون البهارات؟ إنّهم يستحيلون حينئذ إلى حيوانات لا سيطرة عليها في المعارك.**
- **كنت أجهل هذا. يا للفظاعة!"**

لويزبورغ

الخواطر أو التّأمّلات الباطنيّة

هي تسمح للمؤلّف بأن يجعلَ القارئ إلى نُفوسِ الشّخصيات حتى تكون له قرائن عمّا تشعر به. وهي مهمّة على قدر أهمّية الحوارات. وتقوم شاهدًا على أنّك قد فعلاً طِباع كلّ شخصيّة منها. وتساق هذه الخواطر والتامّلات كما تشاء وترغب في أعطاف الحوارات أو الأحداث أو بينهما.

مثال من الأفكار الباطنيّة

"أدركتُ أنّني لم أكن كاهنة أطلنطيّة فحسب بل كنت أيضا إلهة مصريّة وربّة إغريقيّة وامبراطورة رومانيّة وملكة من العصر الوسيط وماري أنطوانيت. وإنّ حلولي الحاليّ هو ثمرة مسيرة طويلة إيجابيّة تبعدني عن هذا العالم القاسي. وإذا ما ثابرت على السّير في هذا الدّرب بلغت الكمالَ في وجودي القادم. وقد أكّد لي هذه الوقائع ناسكٌ مرابطٌ إفريقيّ عرضت عليه أمري في سوق للأشياء القديمة كما أكّده أحد المديرين الذين اشتغلت تحت إشرافهم وكان مفتونًا بالحيوات السّابقة. لقد كان رمسيس الثّالث فهو إذن يعرف قسطًا من ذلك."

البحث الافتراضي عن الغواني

مثال من الأفكار الباطنيّة

"كان ماكس مندهشًا اندهاشًا سارًّا من موقف كيليوتاك. وكان يقول في ما بينه وبين نفسه إنّ متاهات عقل الإنسان ليستعصي النّفاذُ إليها حقًّا. فقد تُفضي هذه الهندسة الهشّة للعقلِ بالكائن البشريّ أحيانًا إلى الوقوع في بلبلة شاملة مثلما فعلت به المرأة الشابّة في بدايات الرّحلة. إنّه لم يعد يكظم غيظًا نحوها فهو يعلم أنّ إساءات كيليوتاك تخفي ضيقًا شديدًا وقلّة ثقة بالنّفس وافتقارا إلى الحبّ ووحدة عميقة ولا ريب. وعلى نور النّار الخافت، رأت إنويت بدورها أنّ ماكس هو المحسن إليها وحارس روحها. لقد أوقد، ثانية، لهَبًا صغيرًا من الأمل اعتقدت أنّه خَبَا منذ عقود. وأخذت هذه العمليّة الفيزيولوجيّة طريقها في هدوء كمجرى نهرٍ يظهر ويكبر ويتجبّر قبل أن يصبّ في المحيط."

أماروك، روح الذّئاب

مثال من الأفكار الباطنيّة

"لفتت نظري فراشة، تحوم حول أزهار برّية. فماذا لو أهديت واحدة منها إلى زوجتي؟ أو لتكن الهديّة تفّاحة؟ لا، ينبغي أن أجد ما هو أفضل عربونًا على الحبّ. لِمَ لا أتصوّر نفسي داخل أحد رجال الكهوف؟ ما الذي يهدونه إلى حبيباتهم عَدَا كِسر العظام الصغيرة؟ لا. هذا لا يوحي لي بأيّ شيء. وجدتها! لقد اكتشفت أخيرًا الحلّ تحت شجرة. ولمّا كان نظري ضعيفًا جلست القرفصاء. سأبحث عن نُفَّلٍ ذي أربع وريقات! عبقريّ أنا! شعرت أنّني منتصر كأرخميدس وقد التمعت له إشراقةٌ في الحمّام. طيّب، عليّ أن أجثو على أربع فهذا أيسر للعثور على كن-زي. ستُعجب هذه الهديّة الطّريفة زوجتي. إنّه لأمر مؤلم للظّهر. كيف تفعل الحيوانات لتعيش على هذه الهيئة غير المريحة؟ ثمّة كثير من النُّفَّلِ ذي الوريقات الثّلاث ولكن لا واحدة ذات أربع وريقات. لو كان معي أنبوب غِرَاء لانحلّت مشكلتي بسرعة."

اِستغاثة الأجيال

مثال من الأفكار الباطنيّة

"كان جايمس يعلم أنّ جيري على حقّ ولكنّه ظلّ متيقّنًا من أنّ البِيضَ سينتصرون مرّة أخرى. وعليه أن يستمرّ في العمل في شرطة الفرسان حتى يحميَ زوجته وابنه. فمنذ أن أضحى هذان الكائنان محورَ عالمه صار سعيدًا جدًّا. إلاّ أنّه منذ وقت غير بعيد أصبحت نجمة الصّغيرة تهتمّ على وجه الخصوص بمصير الخِلاّسيّين وكانت أقوالها، حين تدافع عنهم، تُدْخِلُ اضطرابًا، أيّما اضطراب، على جايمس. والحقّ أنّ قلب نجمة الصّغيرة قَسَا بمرور الأيّام التي لم تستطع أن تخفّف من جراحها الباطنيّة."

غروب الشّجعان

مثال عن الأفكار الباطنيّة

"ليس من باب الصّدفة أن يكون السّادة الإقطاعيّون يصنعون بما اتّفق أحزمةَ عفّة لزوجاتهم صعبات المراس قبل أن يذهبوا إلى الحروب الصّليبيّة. فهنّ في ذاك العصر كنّ يتمرّغن على القشّ مع القائمين على اصطبلات أزواجهنّ ما إن يغيب أزواجهنّ. أضف إلى ذلك أنّ الرّجال البُلْه كانوا، بسبب خبثهنّ، يتقاتلون في المبارزات لأجل عيونهنّ الجميلة. والأنكى أنّ الغبيّ الذي يفوز، بعد أنْ يَشُكَّ جسدَ أفضل أصدقائه برمحه، لا يحصل من المكافآت إلاّ على منديلٍ معطّرٍ. بذلك نفهم لِمَ سارع فرسان القرون الوسطى بابتكار فكرة بناء أبراجٍ في أعالي الحصونِ لمعاقبة هذه الجنّيّات. ولقد واصلن، حتى وهنَّ

محبوسات، إرسال نداءات الاستغاثة باكياتٍ نائحاتٍ عبر كَوى الحصون مناشداتٍ متوسّلاتٍ المارّة من السّذّج. وانخدَعَ هؤلاء الأغبياء متأثّرين بدموع التّماسيح وأنهوْا وجودَهم مهروسين في غرفِ التّعذيبِ."

كابوس الحبّ

مثال من الأفكار الباطنيّة

"لتذهب صفوف الزّهورِ والخزامَى المحبّذة في ما مضى إلى الجحيم. زرعتُ عبّاد الشّمس والخشخاش الضّخم ووضعتُ أشرطة زينة كهربائيّة على أسْقَنْدَنَاتِي الثّلاث حتّى أبيّن لجيراني أنّ الطّلاق يناسبني تمامًا. وأنا أعلمُ أنّهم يعلّقون على حياتي رغم تحاياهم المهذّبة. فمن النّادر أن تجد جيرانًا يكتفون بشؤونهم الخاصّة. واختبرتُ كذلك ضربًا جديدًا من التّزويق في بيتي. فقد أطّرتُ نوافذي بأضواء النّيون البرتقاليّة والبنفسجيّة كي أغسلَ الأواني وأنا أرقص مُتخيّلة نفسي في ملهى ليليّ. وجمعت ساعات سويسريّة ذات وقاوق أُعَدِّلُها لتخرج في ساعات مختلفة."

البحث الافتراضي عن الغواني

أجِدُ من الممتعِ أن أفكّرَ مثل رجل. فاستكشافُ الجنس المقابل مفتاحٌ من مفاتيح الكتابة. وإذا كنتَ على العكس رجلاً فإنّك تتعلّم أشياء كثيرة حين تتقمّص شخصيّة اِمرأة.

مثال من الأفكار الباطنيّة

"حين نام ماكس طفَت على شفتيه ابتسامةٌ. لم يعد يأسف لحلوله في كوكب الرّجال الزُّرْقِ. كان معجبا بسادة الرّمال الذين عرفوا كيف يحافظون على كرامتهم دون أن يمسّها سوء. ورأى أنّ مستقبل الطّوارق كان يكون مختلفًا لو توصّل الغزاة إلى فهمهم باعتبارهم بشرًا لا باعتبارهم برابرة ولو احترموهم."

على درب الطوارق

مثال من الأفكار الباطنيّة

"لم يُطِلْ ماكس الوقوف على هذه الإجابة الغائمة. فهدفه الوحيد هو ألاّ تتكرّر هذه الدّناءات أبدًا. ونفض يديه من مصير المذنب. تفرّس الرّجلان في بعضهما بعضا طويلاً ثمّ تبادلاَ التّحيّة في احترام. شاهد الآسيويّ الغريب ورفيقه الشّابّ يبتعدان والابتسامة مرسومة دائما على شفتيه. فقد أنقذ على طريقته يتيمتيْن وكان راضِيًا عن عمله الصّالح حتى وإن قبل ما قُدِّم إليه من رشوة. وفي الطّريق إلى الفندق قال ماكس في ما بينه وبين نفسه إنّ الحياة قد رُتّبت على أحكم وجه فلولا هذا الرّجل لَتطلّبتْ هجرةُ كسْيا ومَيِي أشهرًا بل أعوامًا تستخرج فيها الأوراق التي لا فائدة منها وتضبطَ المواعيد التي لا نهاية لها. وكانت سيسّينا مجبرة على أن تدفع لدنغ بيا بسخاء حتى يكون متعاونًا

ذلك التّعاون. إلاّ أنّ ذلك الرّجل وإن كان مدلّسًا يبيع نفسه في كلّ مناسبة فهو مع ذلك رجل وقور فخم العبارة. أمّا ميركو فقد شعر بأنّ له نفسَ فارسٍ يخدم مهمّة نبيلة."

اِقتفاء أثر ماركو بولو

الكثافة الدّرامية والحركة

يجب أنْ تتوافر في الرّواية الحركة والكثافة الدّرامية حتى تفتن القارئَ وتذكي فيه رغبة الاستمرار في المطالعة. إنّهما قلب الكتاب ومحرّكه. والكتاب دون مفاجآت متجدّدة لا تسوغ مطالعته. فكي تشدّ إليك القرّاء تحتاج إلى تعقيدات وموانع ومضايقات وحوادث ومواجهات ومناوشات واعترافات وتدخّلات.

ولكن لنتّفق اتّفاقا واضحا. لا يعني ذلك أنّه عليك أن تجعل شخصيّاتك تتسلّق الهملايا في كلّ صفحة أو أن تجعل منها، رجالاً ونساءً، كائنات خارقة للعادة! فالفاعلون في كتابك يشبهونك ويشبهونني بخصالهم الممدوحة والمذمومة وبعيوبهم الإنسانيّة أيضا. وإذا راعيتَ هذا الجانب الإنساني ابتعدتَ عن الخطإ. فلا تصنع قدّيسين وقدّيسات مهما كان الثّمن ولا أشرارًا لا يُرجى صلاحهم. دَعْهُمْ يخوضون تجاربهم الخاصّة وكُنْ، في الوقت نفسه، العارف بنفسيّاتهم. وأنت لا تتصوّرْ ما ستبلغه من معرفة بنفسك. فبين أن تعيشَ حياتك وأن تمنح الحياة لشخصيّاتك رابط مهمّ يتمثّل في ضرب من البحث عن معرفة الذّات.

أمّا في ما يخصّني فإنّ الكمال يصيبني بالضّجر فأذبل كأقحوانة ظمأى. وفي رواياتي أحبّذ أن أجعل شخصيّاتي تتطوّر. فالشخص القاسي يمكن أن يرقّ كما أنّ شخصًا جذّابًا قد يستحيل متلهّفًا على السّلطة فيخيب فيه الأمل. ففي الكتابة لا شيْء يبنى أبدا من الإسمنت المسلّح ولا شيء ثابتا. فكلّ شيء ممكن في الكتاب لأنّنا نحن خالقوه. وهذا ما يدع مجال الحركة والحرّية واسعًا للمؤلّفين الذين يحملون عصا سحريّة تجعل في المزيج الناشئ من قلوبهم وريشاتهم رنينا. ويتميّز السَّحَرةُ الماهرون الذين يحبّون إخراج الكلمات كما تخرج الحمامات من صندوق ألعاب كبير.

مثال من الكثافة الدّرامية والعودة إلى الماضي

"ظلّلتْ غشاوةٌ من الحزن نظرةَ الرّجل الأزرق وهو يروي قصّة ماليد ابنته التي تبلغ من العمر ثماني سنوات. فقبل ذلك بثلاثة أعوام، حين كانت تلهو على الرّمال، نهشت يدها أفعى فتّاكة فتعفّنت العضّة تاركة ثلمًا أزرق على ذراعها. أصابتها الغنغرينة، أي فساد الأنسجة، وكان ينبغي بتر الذّراع قبل أن يصل التّلم القاتل إلى الكتف والقلب. وبسبب انعدام وجود مستشفى يمكنُ الوصولُ إليه في الأماكن المجاورةِ، قطع تاكوبا بسيفه ذراع ماليد لإنقاذها. كان ذلك عملاً

فظيعًا صادمًا للأب كما للبنيّة التي كانت مريضة مرضًا شديدًا."
على درب الطّوارق

مثال عن الكثافة الدّرامية

"على خلاف ما هو منتظر، وصل فارسٌ إلى الثكنة. كان جميع الجنود بالمرصاد. كان للرّجل من الهنود الحمر مظهر غريب. فهو منحنٍ على مطيّته كثيرًا. وحين تخطّى باب الثكنة تفطّن أصحاب القمصان الحمراء إلى أنّه كان جريحًا جُرْحًا بالِغًا. فقد انغرس خنجر بين عظم الكتفين. ولمّا كان ينـزف كثيرًا حُمِلَ على عجلٍ إلى محلّ التّمريض حيث انتزع الشّرطيّ الطّبيب السّلاح من الجرح الذي ضمّده بعنايةٍ كبيرة. كان المحارب على وهن كبير ولم يكن صوته إلاّ نفسَ توجّعٍ. ورغم ذلك تمكّن من أنْ يسردَ وقائعَ الاجتماع قبل أنْ يُغمى عليه."
غروب الشّجعان

مثال من الكثافة الدّراميّة وحوار

"هيّا، نادِ زوجتك!
فأجاب ماكس بعزم:
- لا!
كلّفه ذلك ضربة بخشبة البندقيّة على ساقيه أوقعتْه على ركبتيه. خرجت "إينويت" من الخيمة على مهل وسدّدت في هدوءٍ بندقيّة ماكس نحو الصّيّادين الصّعاليك الأربعة. لم يكن التّصميم البادي عليها يبشّرهم بأيّ خير. كانت تنظر إلى المعتدين في أعينهم فهدّدها أحد الرّجال قائلاً:
- أنتِ، أيّتها الأنثى، أُتركي ما بيديك وإلاّ جعلنا جلد زوجك خِرْقة.
فأجابت ببرود وهدوء أعصاب:
- ربّما، ولكن قبل ذلك سيكون لي ما يكفي من الوقت لقتل أحد أربعتكم!
وفي هنيهة، صوّبت سلاحها نحو القائد فغمغم شتيمة. لقد أوقعته امرأة في فخّ. فصرخ ماكس وقد أثّرت فيه شجاعة "إينويت" أعمق الأثر:
- كيليوتاك لا تفعلي ذلك فالأمر سيكون أسوأ.
- فردّت في خشونة:
- لِمَ لاَ يا ماكس سيقتلوننا لا محالة.
حينئذ قال لها القائد في لهجة ازدراء:
- من قال إنّك ستصيبين المرمى؟ ثمّ إنّ لي صدريّة تقي من الرّصاص! فمن الأحسن أن تلقي بندقيّتك إن كنت لا تريدين تعقيد وضعيّتك.
فردّت كيليوتاك في نبرة المعارض الشّرس:
- سأفجّر رأسك أيّها الأحمق!"
أماروك، روح الذئاب
مثال من الكثافة الدراميّة

"في جلبةٍ من الصّراخِ الحادِّ، وبما يشبه السِّحر غطّى التّلال

المجاورة محاربون سيو. كانوا يحملون أقنعة الحرب وعلى جنبات جيادهم بروق رُسمت في تعرُّج. فالبروق قادرة، في عقيدة السيو، على أن تهب الجياد أجنحة. وفي سباق جنونيّ أحاط مئات الفرسان المبرقشين بألوان صارخة غير منسجمة برجال الشّرطة الذين كانوا يرفعون راية بيضاء. أوقف جيمس وجيري في رباطة جأش مطيّتيْهما وسط حلقة الهنود الحمر الغاضبين فتوقّفت فجأة رقصة الفروسيّة وكان الصّمت التّامّ. تَسمَّرَ المحاربون تسمُّر من ينتظر شخصًا أو شيئًا وبرز من أعلى تلّة فارسٌ سيو يزيّنه ريش أحسن زينة. أقبل يخبُّ يظنّه الرّائي يطفو لفرط رشاقة خطوات جواده الأشقر وأصالتها. أخذ الفارس المزهوّ وقتَه كاملاً فهو يعلم أنّه كان قِبلة الجمهور. توقّف كإله قبالة الرّسولين الأبيضين فانتابت جيري بوتس رهبة لمّا تعرّف على القائد الأعلى لقبيلة السيو، سيتنغ بول الأعظم."

غروب الشّجعان

مثال من الكثافة الدراميّة

"كان الرّجال الثّلاثة يشعرون بالحرج أمام هذا الرّجل الغامض الذي كانت تطفو من عمامته الدّاكنة نظرة سوداء لامعة تنفذ إلى أعماق أرواحهم. ولرفع الضّيق وكسر الصّمت خطرت ببال ماكس فكرةٌ مجنونة فخلع قميصه الأبيض وعَرَّى صدره لأمِنُوكال وكان رفاقه الذين لم يفهموا مبتغاه ينظرون إليه نظرة ذهول. كانت تلك المرّة الأولى التي يُري فيها العملاق الأشقر آثار جراح الحرب لسليم وكريستيان. إنّها ذكريات عنيفة مؤلمة صادمة لاإنسانيّة يعود تاريخها إلى حرب الفيتنام. كان ظهره ممزَّقًا عليه آثارُ جروح عميقة خلّفها جَلْد بالسّوط تلقّاه حين وقع أسيرًا في أيدي الفياتكونغ. كان صدره يحمل ذكرى ثلاث طعنات سكّين وحروقًا متعدّدة سبّبتها شظايا قذائف وقنابل يدويّة. أقْحَمَ ما أقدم عليه ماكس قائدَ الرّجال الزّرق. فهو كسائر الطّوارق يحترم المحاربين، المحاربين الحقيقيّين، الذين لا يخشون التّعذيب ولا الموت. ودون أنْ ينبُسَ بكلمة خلع بدوره جلبابه. لقد نكّل به هو أيضا البيضُ لا الصُّفر ثمّ إنّ سيور جلده التي كانوا قد أرادوا نـزعها منه اندملت بنفس النّسق الزّمني الذي اندمل فيه قلبه المكلوم من الغُزاة."

على درب الطّوارق

مثال من الكثافة الدراميّة

"في 17 من سبتمبر 1877 صباحًا حضرت خمس قبائل من سبعة على ضفاف نهر "بوو" في بلاك فوت كروسينغ. وعندما تجمّعت، في الأخير، القبائل السّبع كاملة يوم 21 سبتمبر تنفّس الجنود الصّعداء. دخل القادة السّبعة وعلى رأسهم "ساق الغراب"، وكان شبيها بعُقَاب

يُحتضَر، خيمة المفاوضات حيث تمّت تلاوة الوثائق الرّسميّة. أنصت القادة في صمت لمحتوى المعاهدات ثمّ أمسك الواحد منهم تلو الآخر ريشة مفوَّض الحكومة الذي خَطَّ اسم كلّ واحد منهم قرب توقيعه المتمثّل في خطّيْن متقاطعيْن. كانت الفرقة الشّرفيّة من شرطة الفرسان في الزّيّ الاستعراضي بالقرب من المتفاوضين. وما إن انتهت حصّة التّوقيع حتى تدفّقت جماعة هائجة من ذوي السّيقان السّود مقبلةً في خبب جنونيّ من تلّ قريب وتوقّفت فجأة أمام البيض. ولمّالم يُحرِّكْ أصحاب السُّتْرات الحمر ساكِنًا أثارت شجاعتهم إعجابًا عميقًا لدى رؤسائهم وشهود هذه اللّحظة التّاريخيّة."

غروب الشّجعان

مثال من الكثافة الدراميّة

"حَامَ المحارب حول ماكس في هيئة الهازئ ثمّ استلّ حسامه في خفّة وضربه على قفاه بمقبض سلاحه المرصّع. وانهار ماكس من أثر الضّربة إذ كان التّعب أخذ منه كلّ مأخذ. وبدافع سَوْرَة غضب جامحة نهض ماكس وهجم بكلّيته على القائد في لحظة لم يتوقّع فيها ذلك. وصوّب نحوه المسدّس الذي استلّه من حذائه النّصفيّ ولكنّ الطّارقي لم يردّ الفعل. كان ماكس يعلم أنّ القائد في حالة حرجة مثله تماما فهيئتهما الموهمة بالشّجاعة كانت تُخفي اضطرابًا عميقًا. عجب ماكس ممّا حصل فيما بعد. اكتفى الطّارقيّ بقول جملة واحدة فنـزل على الفور أحد أتباعه من فوق الجواد ودَنَا من الطّارقيّ الذي أساء معاملة ماكس وصفعه بشدّة. فهم ماكس أنّ القائد، على الرّغم من الوضعيّة الخطرة التي كان يوجد فيها، كان يريد أن يظهر سلطته بمعاقبة المحارب الذي سَهَا عن تفتيش الأسير للتأكّد من أنّه لا يحمل سلاحًا. تحمّل المحارب الإهانة أمام النّاس وظلّ مرفوع الرّأس ثمّ امتطى صهوة جواده وانطلق مسرعًا. فهو من الآن مُبْعَد وعليه أن يتدبّر أمره. ولا شكّ أنّه يخيّر الموتَ منتحرًا بشرفٍ على مهانة الاعتذار عن إخفاقه في تحكيم العقل."

على درب الطّوارق

مثال من الكثافة الدراميّة

"في 21 من جويلية قصف الأنكليز لويزبورغ في حماسة طيلة اليوم. وفي بداية العصر اشتعلت النّيران في "لوسيلبر" و"لنتربرونان" و"الكبريسيو" فكانت خسائر فادحة قضت على معنويات الحامية التي ظلّت ترقبها إلى المساء وهي تحترق. وفي صمت كصمت القبور حضر سكّان القلعة مشهدًا مفزعًا عاجزين ناقمين. كان أفراد طواقم السّفن الملتهبة يصرخون وكان في إمكان المرء أن يرى على ظهور السّفن البحّارة وقد تحوّلوا إلى مشاعل حيّة. حاولت زوارق الإغاثة أن

تمدّ إليهم يد المساعدة إلاّ أنّ العدوّ قصفها بالمدافع. وزيادة على إتلاف السّفن الثّلاث، واصل الأنكليز، في قساوة نادرة، إطلاق النّار على أفراد الطّاقم كي لا ينجو منهم أحد. كان صراخ هؤلاء المساكين قد بلغ حدًّا دفع الكثير من النّاس إلى سدّ آذانهم. وفي حصن الملك كانت السّيّدة دي دروكور قد خرجت عن طورها.

- ولكن لِمَ هذه الفظاعة؟ لِمَ هم عديمو الشّفقة؟ يَاَللدّناءة!
- لو كنت تعلمين يا صديقتي مبلغ غيظي أنا أيضا. لقد تخلّت عنّا فرنسا إذ رفضت إعانتنا. إنّها تضحّي بنا. اللّعنة على ملكنا الذي لا يحسّ نحو مستعمراتنا بالشّفقة. لَمْ يبقَ لنا غير سفينتيْ "البريدون" و"البيان فيزان". والأنكليز يقيمون كلّ يوم بطاريّات جديدة. كيف لي أن أكسب حربًا دون مَدَدٍ؟ كيف نستطيع الصّمودَ أمام عدوّ يفوقنا عددًا أربعة أضعاف؟

نـزع الوالي شعرَه المستعار حَنقًا وألقى به عرْضَ الحائط غاضِبًا غضبا شديدا. انفجر من جديدٍ قائلا:

- ننتصر أو نموت دون عوْنٍ من أحدٍ. أُقسِم على ذلك. سأكتب للجنرال أمهارست حتى يسمح لمركب صيّادين بالمرور وستركبينه في أسرع وقت للذّهاب إلى كيباك وانتظاري هناك."

لويزبورغ

مثال من الكثافة الدراميّة

"أعاد ربّ العمل الكرّة وقد سُرَّ بأنّ الغرباء وجدوا ما كانوا يبحثون عنه:

- كنت أجهل أنّ لهذه البُنيّات عيونًا على هذا القدر من الجمال سأضطرّ إلى رفع ثمنهنّ.
- الاتّفاق هو الاتّفاق. لن تنال فلسًا واحدًا زائدًا. أنت مختلّ عقليًّا فأنا عمّتهنّ، سيّدي.

أبدى الصّينيّ تكشيرة غضب وأمسك الصفّارة الذّهبيّة المعلّقة في عنقه فظهر للتّوّ أربعة رجال يثيرون الرّهبة في لباس أسود متسلّحين بهراوات.

فقال الرّجل السّمين في هيئة سخريّة:

- أكرّر وأقول إنّ لهذه الصّغيرات عيونًا متميّزة ويمكن أن يدرِرن عليّ الكثير إذا اشتغلن مومسات في أحد ملاهيّ اللّيليّة.

كان هذا الوحش زيادة على ذلك قوّدا! فاحتجّت سيسينا:

- هؤلاء الصّغيرات بنات إخوتي. سأستدعي الشّرطة!

فقال ماكس باللّغة الفرنسيّة:

- لا ترتكبـي هذا الخطأ فليس لك وثائق رسميّة تثبت ذلك.

لم يستسغ الصّيني تهديدات الكونتيسّا.

- لي صديق شرطيّ. غادري مصنعي. لن أمكّنك من هؤلاء الأطفال! أُخرجي!

أجبر ماكس سيسينا على الاعتذار وتملّق صاحب العمل الذي ودّ لو رجمه على عين المكان ولكنّ حكمته منعته من فقدان برودة أعصابه. فلم تكن له غير رغبة وحيدة: الهروب في أسرع وقت من هذا المكان الكابوسيّ. دفعت سيسينا على مضض الثّمن المشطّ الذي طلبه ربّ العمل."

اِقتفاء أثر ماركو بولو

حكايات الحبّ تستهوي البشر منذ فجر الإنسانيّة

الحبّ هو أقدم المواضيع ويمكنكم سبره من وجوهه جميعًا لوصفه فلا أحد تمكّن إلى حدّ الآن من تفسير هذا الشّعور.

مثال عاطفي

"صفّق ستّنغ بول وفي عينيه وميضُ مكرٍ فأطلّت شابّة سيو لتقدّم لهم مشويّات طيّبة الرّائحة. قلّما كان جيري يعبأ بالنّساء فالمرأة في اعتقاده ليست إلاّ استراحة متعة. هي ضروريّة ضرورة الغطاء ولكنّها تُسْتَهْلَك بسرعة كقدَح من الويسكي. بيد أنّ جيمس أحسّ بصدمة لمرأى الفتاة الهنديّة. فقد تعرّف على نساء كثيرات وضمّهنّ إلى صدره ولكن لم تكن أيّة واحدة تضاهي جمال الفتاة. كانت طويلة القامة أصيلة قدّت في فستان رائع من الجلد المدبوغ خِيطَتْ فيه حُبَيْبَات من الخشب زاهية الألوان. وكان شعرها الأسود البديع يحيط بوجهها في شكل بيضاويّ تامّ. اِحمرّ وجه الفتاة من نظرة جيمس المعجبة. وعلى الفور أفلتت في لينٍ وخفّةٍ كريشةٍ."

غروب الشّجعان

مثال عاطفي

"اللّيلة لطيفة والنّسيم العليل يهزّ شعر "آنجليك" الغزير الأشقر. فسّرت لها طويلا لماذا تصرّفت بفظاظة أثناء لقاء العشاء. فارتسم على وجهها خيال ابتسامة وحدّثتني بما فكّرت فيه ذاك المساء. غريب كم يختلف فهمُنا للنّاس عندما نقترب منهم. أعماني زهو وإخفاقاتي فحكمت عليها ظُلمًا. فنحن شخصان نجَوَا من إعصار مدمّر. وهي أيضا أشرفت على الهلاك. فعلينا أن نكافح حتى نحافظ بشراسة على هذه الحديقة السّرية التي طالما افتقدناها بمرارة. هذا الكابوس كان بلا شكّ محنة كمحنة عذاب تفطال الغاية منها أن تجعلنا نقدّر الحبّ العظيم، ذاك الحبّ الجميل الفريد الذي طالما بحثنا عنه."

كابوس الحبّ

مثال عاطفي

"كان جيمس عاشقا لأوّل مرّة في حياته. فالفتاة الهندية نظرت إليه في مناسبات عدّة نظرة إفصاح. وأُتيحت له أخيرًا، أثناء حفل كبير أقيم في مخيّم السّيو، فرصة الاختلاء بالنّجمة الصّغيرة. في ذلك المساء كان القمر يضيء وجه الفتاة العذب بألقٍ فضّيّ. وكانت قد ضفرت شعرها الفاحم بتفنّن وارتدت "جلباب الأرواح" العزيز جدًّا على السّيو إذ له القدرة السّحريّة على أن يقي من كانوا يجلّونه من الرّجال والنّساء وأن يجعلهم محصّنين. كان جلباب النّجمة الصّغيرة طويلاً أرجوانيًّا مطرَّزًا بسيور من الجلد. وكانت على هيئتها تلك تشبه إحدى آلهات الأساطير التي أفلتت من عجلة الزّمن. ولمّا اختلَى الشابّان بعيدًا عن الأنظار تشابكت نظراتهما بقوّة وأضحى كلّ كلام لا طائل من ورائه فتعانَقَا بشغفٍ سابحيْن في دنيا لا عهد لهما بها."

غروب الشّجعان

مثال عاطفي

"بعد مضيِّ أسبوع بدأ الإبحار وصعدت على متن البواخر البريطانيّة صفوفٌ طويلة من السّكّان والجنود. وفي 15 من أوت اهتزّ أوغسطين دي دريكور عندما أخبره ضابط أنكليزي بأنّه سيرحّل مع رجاله على متن إيسكس وأنّ زوجته ستركب سفينة أخرى. ثمّ لم يرخّص للزّوجين بأن يودّعا بعضيْهما بعضا. كظم آخر والٍ بلويزبورغ غيظه. فصراحة زوجته كلّفته غاليًا وكلّفتها هي أيضا غاليًا. وبينما كان بصدد ركوب السّفينة مقُودًا، مكلوم الكبرياء، ذليلاً، ممزّق القلب مملوءَه مرارة. صرخت نحوه آن ماري من السّور وجنديان من أصحاب السّترة الحمراء يرقبانها:

- غسطين! الحبّ الكبير لا يموت أبدًا! سنلتقي قريبًا! سأنتظرك في بيت شقيقك. أحبّك أكثر من أيّ شيء في العالم."

لويزبورغ

مثال عاطفي

"آن لماكس أن يعود إلى كندا. وكانت سهرة الوداع مؤثّرة مرحة في آنٍ. ففي ذاك المساء أهدت سيسينا ساعة روبرتو لميركو ونسختين ذهبيّتين من ميداليّة لسِيَا ومَيْ. كانت هاتان الحِليتان تمثّلان الوجه العذب لِدوناتا، جدّتهما وزوجة ماركو بولو التي أورثت روبرتو وابنتاه عينيهما المميّزتيْن. حامت روح ماركو بولو العظيم الخرافيّة حولهم الخمسة طيلة هذه السّهرة التي لا تُنسى. وقبل الإخلاء للنّوم تسكّع ماكس وسيسينا في حدائق القصر.

- كم من حدث فجئيّ في زمن قصير جدًّا. أليس كذلك سيسينا؟
- نعم. وأصارحك بأنّي مرهقة ذهنيًّا. التّوأمان يتعاونان دائمًا وأشعر على الأقلّ بالرّضى لأنّي رددت الاعتبار لذكرى أخي حين تجنّبت الإساءة لصورته. فلا أحد له الحقّ في محاكمته.

أمسك ماكس يدها.

- على الأقلّ كانت رسالة اعترافاته رسالة خلاص. أستطيع أن أجزم أنّك كنت على قدر المسؤوليّة.
- بفضل معونتك يا ماكس.
- لا، بل بفضل رغبتك في إظهار الحقيقة بشجاعة حين سافرت إلى أقاصي الأرض. فأنا لم أفعل شيئا غير الحضور إلى جانبك متأثّرًا بخطى ماركو بولو المجيدة. فأنا من يشكرك.
- ماكس ياللخسارة أن تعيش في مكان بعيد جدّا وألاّ نكون جاريْن لأنّني أحبّ صحبتك.
- لست على يقين أنّك ستتحمّلين كلّ يوم ردود فعلي المتوحّشة واستقلاليّتي.
- لست أسهل منك طباعًا أنا أيضا. فأنت تعرف أنّي عنيدة وليس من السّهل أن يكون المرء مليونيرًا. أنا أغبطك. أتعلم ذلك؟
- لماذا؟ يمكنك أن توفّري لنفسك كلّ ما تحلمين به.
- إلاّ الجوهريّ يا ماكس. فلست حرّة تماما. أنا رهينة وضعي الاجتماعيّ وعيون النّاس ترقبني دون انقطاع فعليّ أن أمثّل سلالتي ويكون لي دومًا دور اجتماعيّ. إرثي وإرث التّوأمين وميركو أن نكون جديرين بلقب كارينلّي وألاّ نريق ماء الوجه.
- سيسينا، أنت من يحبس نفسه في قوقعة الأفكار الموروثة التي علّموك إيّاها منذ ولادتك. لك الحقّ في أن تفكّري في نفسك. لي مشروع سفر إلى إفريقيا الجنوبيّة السّنة

المقبلة فلِمَ لا تصاحبينني؟ فميركو سيعرف كيف يعتني بالتّوأميْن مدّة غيابك.
- أفكّر في الأمر..."

اقتفاء أثر ماركو بولو

لِمَ لا نضيف شيئا من الهزل؟

أحبّ كثيرا الضّحك مثلما أمكن لكم أن تلاحظوا في نصوصي وأحبّ العبث كثيرًا. وأحبّ استخدام السّخرية حتى أرجع الوقائع إلى مواضعها بنظرة تَضحَك وهي جادّة. فكم من النّاس يأخذون بتلابيب بعضهم بعضا عبثًا حين يتناقشون في أمور السّياسة والدّين سواء في العائلة أو التّلفزيون أو مع زملائهم في العمل بدل أن يأخذوا الأمور بشيء من الدّعابة والسّخرية من النفس وببعض من الهزل؟ ولهذا اقتنص الفرصة وأحبّ أن تكون بعض شخصيّاتي غريبة الأطوار حتى أثير الضّحك منها.

ويؤدّي بـي ذلك أيضا إلى ألاّ أكون جادّة وأنا أضحك من نفسي. وباستطاعتكم أن تهزؤوا بجميع أصناف الوضعيّات حتى تخفّفوا من وطأتها أو تُفاقموا، بالعكس، منها. وفي هذا الصّدد يمثّل مارك لابراش ودنيال لومير نموذجيّ لأنّهما لا يُسِفّانَ أبدًا ويستعملان بمهارة لغتنا الفرنسيّة الرّائعة.

والحقّ أنّ في الهزل درجات مختلفة وما يثير ضحك شخصٍ لا يدعو بالضّرورة إلى ضحك شخص آخر فلكلّ اِمرئ ما يثيره. وغالبا ما يحسّ النّاس الذين يُصدَمون من السّخرية أنّهم مقصودون بما يقال. ولكنّ الهزل، عندي، هو أوّلا وقبل كلّ شيء رسم هازل ومحاكاة ساخرة. وإليكم مثالا يجعلكم تفهمون.

أنا امرأة ولقد ضحكت حينئذ من النّساء ومن نفسي متقمّصة شخصيّة رجل يكره النّساء. فتصوّروا ردود الفعل لو كنت رجلاً...

مثال من هزل فيه مغالاة

"للنّساء تفاهة لا يرجى منها خير. فإحداهنّ سألتني إن كنت رجلاً ورديّا. أتريد أن تُسحق أم ماذا؟ ثمّ ما معنى رجل ورديّ؟ أهو الأبله الذي يشتغل طيلة اليوم ويطبخ ويعتنى بالأولاد في المساء حين تكون سيّدتي تشاهد مسلسلاتها مسترخية على الأريكة تمرُط شعر ساقيها؟ والأنكى يكون حين نمنحهنّ السّلطة يصيبهنّ الطّمع وينتقمن من النّاس كلّهم خصوصا النّساء اللاّتي يغرن منهنّ والرّجال الذين لم يلتفتوا إليهنّ أبدًا. وثمّة وجه غامض في شخصيّتهنّ: إنّها فترة الحيض التي تجعلهنّ بذيئات اللّسان. ونحن ننتظر بفارغ الصّبر بلوغهنّ الإياس لننعم بالرّاحة. ولكن لا فائدة فهؤلاء الشّرّيرات يستأنفن في الحال الإزعاج بالتهاب المفاصل وبالبواسير."

كابوس الحبّ

وقد كتبت، في فورة اندفاعي، ما هو أدهى مزريةً بالرّجال في جذل

وحبور. والحقّ أنّ هدفي كان إعادة التّوازن بين الرّجال الذين ينقدون النّساء والعكس بالعكس، وذلك حتى أجعل قرّائي يعون ما في الوضعيّات من غباء وسخافة. فأنا أعتقد ببساطة أنّ المرأة تكمّل الرّجل وأنّهما متساويان بمقتضى هذا التّكامل.

مثال من هزل فيه مغالاة

"إنّ غباء الرّجال ليدعو إلى الشّفقة. فهم لم يعرفوا أبدًا سبيلاً إلى الفرق بين قضاءِ حاجتهم وممارسة الحبّ. يحبّون الجماع كالدّوابّ على ما تدلّ عليه لغتهم الشعريّة حين يصرّفون ما عندهم في أوعيتنا. هذا دون أن نتحدّثَ عن جملتهم المعادة البلهاء التي تميّزهم ويلقونها في هيئة الظّافر الغازي:

- ممتعا. أليس كذلك؟

وعند هذا الحدّ يؤوّل هؤلاء المغفّلون سكوتنا على أنّه تعبير عن خالص السّعادة التي نشعر بها ثمّ يلوون رؤوسهم على المخدّة ويشرعون في الغطيط فرحين بإنجازهم البطوليّ."

كابوس الحبّ

مثال هزليّ

"في تلك الصّبيحة الحارّة من شهر سبتمبر، تجلّى لي حظّي الذي أطالعه بحرص المتديّن منذ خمسين عامًا. فقد أنبأني في مجال الحبّ بأنّ الشّمس مشرقة في القبّة الزرقاء. أمر رائع، حتى الكواكب تساندني! ومنذ حين عطست قطّتي من نوع السياموا، صاحبة السّموّ ذات الهدوء النادر، التي يجعل شرف محتدها خيرة أهل مونريال تحمرّ وجوههم حسدًا. وعُطاسُها من أمارات البخت. هذا دون الحديث عن زعيقي الذي تسبّب فيه نـزول العنكبوت الضّخم من سقف غرفتي وتسمّره أمام وجهي عندما استيقظت. وحين رميت هذا المخلوق الفاتن على الشّرفة بمكنستي لمحت قزمًا أصلع في الشّارع وهذه علامة أخرى على التوفيق لا يرقى إليها الشكّ. شعرت بتنمُّلٍ في شفتيّ وهذا من الدّلائل المبشّرة بالقُبل. وعليّ أن أضع يديَ على رأس أحمق حتى أضاعف حظوظي بيد أنّني لا أجرؤ على أن أطلب هذه الخدمة من جاري وهو أرمل ضحكتُه بلهاء. فقد يؤوّل حركتي ذاهبًا في وهمه أنّها ملاطفة حبلى بالوعود."

اِستغاثة الأجيال

مثال عاطفي وهزليّ

"أحبّها حبًّا إلى حدّ أنّها، بقطع النظر عن شكلها، امرأة حياتي. المرأة التي تمنّيتها دائمًا. لقد نفذت إلى شغاف قلبـي فلا أستطيع لها ردًّا. لو كان لها رأسان وثمانية آذان وخطم خنـزير وأربعة قرون وستّة أرجل وكانت بدينة كمنطاد لَطِرْتُ معها لأخترقَ السّحب. وبعدُ، لا ينبغي أن أكون انهزاميًّا. فربّما حدثتْ لي مفاجأة سارّة أيضا. أرى

نفسي ضئيلا أمامها، هذه المرأة العظيمة التي أسَرَتْني."

البحث الافتراضي عن الغواني

مثال هزليّ

"حين تخطّيْنا بوقاحة عتبة نادي الرّاقصين العراة تفطّنّا إلى أنّنا أكبر النّساء سنًّا. غير أنّ النّظرات المتعجّبة التي يلقيها علينا الحاضرات والنّادل جعلتنا نشعر بالرّاحة فورًا. كنّا واعيات بأنّنا ظاهرة فرجة وذاك ما ملأنا كبرياء. جدّات مجدّدات، إنّه جنون تامّ كما قد يقول طوماس. والأرجح أنّهم عادة ما لا يرون شبيهات بنا في محيطهم فلنكن عظيمات ولنستسلم لنظرات الإعجاب. طلبت آنجيل شوتر بعصير البرتقال واكتفيت بماء معدني. فأنا لا أشرب الكحول أبدًا. مرّ فتيان رائعو الجمال مفتولو العضلات تِبَاعًا على الرّكح يتخلّعون في مشيتهم وهم ينـزعون ملابسهم أمام جمهرة نساء في حالة هياج. بعد كأسيْن من الشوتر صاحت آنجيل متعجّبة وقد جحظت عيناها:

- لاَ!، أرأيتِ هذا؟

وبالفعل فما نراه على الرّكح يحدث ألوانا من الدّوار والقشعريرة بعد وقت قصير. إنّ ما يُعرَض أمام أعيننا يجعل عجوز المائة عام تحلم أو يُقْضَى عليها قضاءً مُبْرَمًا."

اِستغاثة الأجيال

مثال هزليّ

"جاء يوم السّبت وعَرَضَ عَلَيَّ فرنسيس، لِيُضْفيَ بعضَ الغرابة على لقائنا، أنْ نلتقيَ قرب الحانة. والقرينة الوحيدة أن يَلْبسَ كِلاَنَا الأسود. اضطربتْ دقّاتُ قلبـي حين تخطّيْتُ عتبة الملهى اللّيليّ. لا أعلم إنْ كان طالبُ يَدِي قد وصَلَ. أيّ تشويق مثير! لم يكن هناك خلق كثير فاقتربت على مهلٍ من الحانة كصبيّة تستعدّ لخدعة. وفجأة لمحته. أووو! طويل جميل كإله! لم أكن أتخيّلْ أنّه على هذا القدر من الإغواء أيّ كتوم هو! أمعن النّظر فيَّ نظرةَ من يعرفني. كان مايزال يفصلني عنه متران أو ثلاثة إذ وقع أمرٌ غريب. اعترضني رجلٌ قصيرٌ أسمر دميم عليه سيماء الماكرين يلبس الأسود وقد ارتسمت في زوايا شفتيه ابتسامة. تفطّنت إلى أنّني أخطأت الشّخص حين ناداني بِاسْمي وفي الحال اختفى الإله الإغريقيّ منـزعجًا، من الجانب الآخر للحانة. أظنّ أنّني سأصاب بنوبة عصبيّة. والقزم الذي ذهب بالفتنة هو فرنسيس. وددت لو وضعت في كأسه السّمّ أو أرسلته إلى قبيلة من آكِلِي لحوم البشر تلتهمه حيًّا. أمّا أنا فسأَبْقرُ بطني على طريقة السّاموراي. احتسيتُ كأسيْن من السكوتش متتابعيْن لأهدأ بينما كان يحدّثني. ذهب في وهم هذا الضّفدع أنّ صمتي من باب الخجل. وحتى إنِ احتسيْتُ قارورة السكوتش برمّتها فإنّي أستبعد أن يستحيل في منتصف اللّيل إلى فارس أحلام. فما كان عليه أنْ يمتصَّ قِطَعَ الثّلجِ الصّغيرة وهو

ينتظرني لأنّه ثَمِلٌ كَوفْد روسيّ. وبضحكة مجلجلة جرّني إلى حلقة الرّقص. إنّه أمر بشع زد على ذلك أنّه يرقص ككنغر."

كابوس الحبّ

مثال هزليّ

"ما يثير دهشتي من الفرنسيّين ما بلغني من أنّهم كانوا لطيفين مع عدّة رجال أُسِروا في لويزبورغ.

- بالضّبط. فلويزبورغ موقع أنصار باخوس الذين يتعاطفون بالمناسبة مع رجالنا. ولقد روى لي أحدُ أبنائنا الذين قضوْا ستّة أشهر معهم في بعض سنوات مضت، قبل أن يطلقوا سراحه، إقامتَهُ بين ظهراني أولئك المنافقين.
- الشّابّ طوما آدامس؟
- نعم. إذن تعرف أنت أيضا ولا شكّ أنّ الفرنسيّين تركوه طليقًا بدل أن يسجنوه. لا يمكن أن نتصوّر مثل هذه المعاملة مع العدوّ! إنّه إجرام! كانوا يدعونه إلى الخمّارة، يشاركهم لعبة الورق والأغرب أنّ اِبنة مستعمرٍ تودّدت إليه لتتزوّجه ووجد الأب ذلك عادِيًّا! وكان عليّ أن أرجع هذا الشّابّ إلى أنكلترا لفرط ما أفسد الفرنسيّون تربيته. لقد تغيّر تماما كان ساهم النّظرات في هيئة غبيّ دائمًا. فإمّا أنّ الفرنسيّين يفسدوننا وإمّا أنّهم يعملون بحقد على التّحالف معنا ليجعلوا منّا مجانين! هذا استنتاجي!
- أوافقك. أن تكون مهذَّبًا مع العدوّ لا مانع في ذلك عندي ولكن أن تشاركه الشّرب وتتهتّك معه علنًا أو أن تجامع غانياته فلا!

أثنى الوالي على القائد بحرارة وقد أرضاه أنْ جَلَبَه إلى صفّه.

- أحسنت! أخيرًا تفطّنت إلى أنّ هؤلاء لا يستحقّون شفقتنا. فقد أبرزت ببراعة وجهًا آخر من الاختلاف بيننا وبين هؤلاء الفسّاق لا يمكن تجاوزه. فنحن لا نُشهر على رؤوس الملإ خليلاتِنا وبنات الهوى اللاّتي يسهرن على رفاهيتنا. وهذه تفاصيل حميميّة لا تعني سوانا. أمّا هم فلا حياء لهم. إنّهم سافلون منحطّون. يتكلّمون كثيرًا، يرقصون ويغنّون بصوت مرتفع ويجدّفون حين ينتشون. أمّا نحن فمن آداب سلوكنا أن نشرب في بيوتنا ولا نن ـزل البتّة إلى درجة الرّقص والغناء مثل سفلة القوم عندهم. إنّنا نحسن الشّرب بذوق واعتدال دون أن نُسرف محافظين على صفاء الذّهن وعزّة النّفس في جميع المقامات كالقوم المتحضّرين.

نفخ القائد صدره.

- تماما. فلنا هيبة وسمعة!
- معترف بهما في العالم كلّه! إنّنا الشّعب المختار بفضل الكمال الذي يميّزنا!
- إنّك تنتزع الكلمات من فمي أيّها الوالي.
- جفّ حلقي وأنا أتحدّث عن المشروبات الكحوليّة. أتريد كأسًا من "الرّوم"؟ إنّه لذيذ مصدره فرقاطة فرنسيّة دمّرناها. سنشرب على نخب أنكلترا العظيمة، وعلى نخب انتصارنا القريب وعلى نخب شرائح سمك القدّ التي سنفتكّها من هؤلاء القراصنة!
- حبًّا وكرامةً أيّها الوالي!
- ثمّ سأجعلك تكتشف وصفة طبخ أعتزّ بها كثيرًا: قطعة لحم خن ـزير مصليّة بالكراميلة موضوعة بطريقة فنّية على مهاد من رؤوس سمك القُدّ. وتخيّل ماذا وُضع في فم كلّ سمكة؟ أشراج فراخ التّدرج المغلاّة بعناية قليلاً حتى تحافظ على لُدُونتها.

بعد ساعة سمع كاتب الوالي شارل لورانس ضجيجًا غير معهود يشبه، شبها ملتبسًا، قهقهات. ومن باب الفضول، نظر من ثقب القفل فرأى الرّجلين في حالة سكر فاضح يرقصان ويضحكان على نحو غير طبيعي. وحين عاد في ما بعد ليعلم سيّده بأنّ العشاء جاهز وجده مع القائد روبار مانكتون نائميْن على مقعديْهما في وضعيّة غير مرضية، فشعراهما المستعاران مائلان يشخران شخيرًا عاليًا بجانب قارورة فارغة وقَدَحَينِ مقلوبين على المكتب الملوّث."

لويزبورغ

مثال هزليّ

"في الغد أخذت سيسينا البنيّتين لزيارة القصر وأخبرتهما بأنّ مفاجأة أخرى تنتظرهما في الحديقة. لم تصدّق كسيا وميْ عيونهما وهما تدخلان إلى المنتزه الجميل، إذ رأتا حماريْن رائعين مربوطين إلى شجرة. لم يخطر في بالهما أنّ بوذا سيحقّق أمانيهما بهذه السّرعة. ركضتا نحوهما مطلقتين صيحات فرح وطفقتا تلاطفانهما.

- **إنّهما لكما. ماذا تريدان لهما من الأسماء؟ سألت سيسينا.**

فكّرت التّوأمان طويلاً وأضحكت تمثيلات وجهيهما ماكس وميركو والعمّة.

- **أذكر أم أنثى؟ سألت ميْ.**
- **إنّهما ذكران.**
- **إذن أسمّي حماري مركو**
- **وأسمّي حماري بولو، قرّرت كسيا.**
- لا أدري إن كان أجدادنا سيعجبون باختياركما ولكنّه اختيار طريف، علّقت مبتسمة.

وضع ميركو بردعتين على الحمارين وتجوّل بالتّوأمين وهو يقود الدّابّتيْن في حين كان ماكس وسيسينا ينظران إليهما."

اِقتفاء أثر ماركو بولو

نزّل حكايتك في الزّمن

من المهمّ لقرّائك أن يعرفوا في أيّ تجري أحداث قصّتك وفي أيّ أوان. ولا ينبغي كذلك أن تبدو قصّتك تدور في يوم واحد. إذ لا بدّ من التّدقيق.

عبارات مفيدة يمكنك اعتمادها حتّى تدرج الزّمن في كتابك

- الصّباح
- منتصف اليوم
- المساء
- الليل
- غدا
- بعد أسبوع
- مرّ شهر
- في الوقت نفسه
- منذ سنوات خلت
- في السّنة التالية
- بعد يومين
- في الصّائفة الموالية
- البارحة
- في الفجر
- عند الغروب
- في سالف الأيّام
- يوم من الأيّام

التّناقضات وما لا يصدّق

حين تعيد قراءة الفصول التي كتبتها تخيّل أنّ ما كتبت شريط تشاهده في السّينما أو التلفزيون منتبهًا شديد الانتباه إلى التّفاصيل حتى تتلافى التّناقضات. فإذا تعرّضت إحدى الشّخصيات إلى حادث مرور خطير ووجدت نفسها في المستشفى وقد وُضِعَتْ على رجليْها جبيرتا جبس فلا تجعلها تركض في الفصل الموالي، اللّهم أن تكون قد ذكرت أنّه انقضى حين من الوقت. وإذا ذكرت أنّ لون سيارة بطلك بيضاء فلا تكتب أنّ لونها أزرق في فصل لاحق. وإذا كان اسم الشّخصيّة خولة فلا تسمّها فاطمة في موضع لاحق وهكذا دواليك. إنّها ضروب من أخطاء قلّة الانتباه التي عليك أن تتجنّبها.

أسئلة تتكرّر عادة

سؤال

لقد شرعت في تأليف كتابـي ولكن بعد بعض صفحات لم أعد أدري كيف أواصل فقد انقطع عنّي الإلهام. فما العمل؟

جواب

يدلّ هذا على أنّك لمْ تصمّم خطّة عمل أو أنّ الخطّة التي وضعتها لم تكن جيّدة. فالكتاب عدّة حكايات في حكاية واحدة ويجب أنْ يكون بينها رابط. وكلّ حكاية جزء من فصل وكلّ فصل يوافق فكرة يجب أن تبسط.

سؤال

ولكن كيف أجعل كتابـي ينمو إذا لم أعثر على أفكار؟

جواب

الأمر هيّن بسيط، قارن ذلك بحياتك. ففي كلّ يوم وكلّ أسبوع وكلّ شهر وكلّ سنة تعيش صنوفًا من التّجارب الشّخصيّة والمهنيّة (هموم وأخبار سارّة وخيبات وقطع علاقات ومعارف جدُد... إلخ). فجملة المشاعر التي تعيشها يوميًّا ثريّة بالمعلومات ثراءً يُمكّنك من أن تغذوَ قصّتك.

وترشدك التّمارين المذكورة في الفصل 3 إلى كيفيّة الانطلاق من فكرة لصياغة قصّة قصيرة في صفحات قليلة. والقصد أن نُريَكَ كيف يُكتب فصل. تصوّرْ كلّ فصل على أنّه حكايات قصيرة عديدة تكوّن جوهر كتابك وترتبط في ما بينها برابط هو شخصيّاتك.

الفصل 11: أهمّية عنوان كتابك

"المطالعة باب مُشرع على عالم من السّحر"

إنّ عنوانَ مخطوطك لأنّه صورة تعكس وهو الذي يلفت نظر قرّائك ويجعلهم يرغبون في مطالعة الملخّص الوارد على ظهر الغلاف ومضمون الكتاب كذلك.

لا تُجهِد عقلك لساعات كي تعثر على العنوان. فسيجيئك على نحو طبيعي تلقائي كاللّمعة تنبثق في ذهنِك أثناء تحرير مخطوطك، دون إنذار مسبق. ويمكنك أيضا أن تعثر عليه حين تفرغ من مخطوطك.

العنوان التّلخيص

يلخّص العنوان عدّة أحداث تخصّ مخطوطك.

: "زلاّت الشّباب"

العنوان الغامض

يثير فضول القارئ.

: "ليلة رُقَى السّحر"

العنوان السّردي

يستحضر مشهدًا مصوَّرًا.

: "منـزل من خشب في ركن قصيّ من الغابة"

العنوان الاستفهامي

يلقي على القرّاء سؤالا

: "هل تعيش حياة مزدوجة؟".

العنوان الخبري

يعلن عن حدث.

: "يوم اِنقلبت حياة عبد الله (اِسم الشّخصية) رأسًا على عقب".

العنوان السّاخر

يُرَادُ منه اِنتزاع الاِبتسامة من القارئ.

: "أخبار الحمقى والمغفَّلين".

العنوان الموقّع

يحدث بفواصله وقعًا موسيقيًّا متناغمًا في الأذن.

: "أسرار المسرّات والمسارات"

العنوان المثل

يحيل على مثل سائر.
: "من شبّ على شيء شاب عليه".

نصائح

دَعْ خيالك يشرد ويتشرّب كتابك حتى تجد العنوان الذي تراه مناسبًا. ولا تتردّد في وضع قائمة من العناوين، ثمّ في شطبها عنوانًا إثر عنوان. وإنّ آخر ما تحتفظ به منها هو أفضلها عادة. وإذا لمْ تنلْ مرادَك اِستمِرَّ في تقليبِ النّظر ودعكَ ممّا هو ساذج ومن العبارات المبتذلة في متناول اليد وتثبّت بالخصوص في الأنترنيت من أنّ عنوانك لم تُسبق إليه مثلما يفعل المؤلّفون المحترفون.

وقد كنتُ عنونتُ روايتي التّاريخية التي تتحدّث عن الأقوام الأرمنديّين بكندا، ثمّ سمّيتها لأنّ الشّجاع محارب. وكانت رواية أخرى من روايتي تسمّى في البداية حتّى تفطّنت إلى أنّ عبارة "لوحة المفاتيح" قد تلتبس بلوحة مفاتيح آلة البيانو. أمّا فقد أعادت إحدى النّاشرات، عند طبعه ثانية، تسميته بِـ ولا أخفي عليكم أنّني أحبّذ العنوان الأصلي. وفي البدء كنت سمّيت بِـ .

وقصدي من هذا كلّه أنْ أقول لكم إنّ للكتابة قدرةً على تثبيت أقدام المؤلّف والارتقاء به. وإنّ هذا التّأمّل المستمرّ هو الذي يُيَسِّرُ للمؤلّفين بأنْ يدركوا ألاّ شيء حاصل نهائيًّا وأنّ تمام الإتقان مُحال فحتى عنوان كتاب قد يكون عُرضة للتّبديل والتّحويل.

الفصل 12: القراءة الأخيرة لكتابك

"جُعل الكتاب ليُنتقى ويُتَشَوَّق إليه ويُتصفّح ويُطالع في انتظار أن يقرأ ثانية"

إذا توصّلت إلى الفراغ من مخطوطك بحسب نسقك في العمل فنِعْمَ ما فعلت. ولستُ أخفي إعجابـي بكَ وإنّي أهنّئك برفعك هذا التّحدّي. فهذا يقوم دليلاً على أنّك درست بجدّ مستوعبا في صبر وأناة كلّ فصل منه ولك أن تفخر بما أنجزت. وإذا ما تعذّر عليك أن تجسّم أفكارك رغم كلّ المسالك التي عرضتها عليك، فأعد الكَرَّة. فمردّ ذلك أنّك مررتَ مرور الكرام على هذا الكتاب دون أن تتشرّب الأساسيّ فيه.

الآن وقدِ اِكتمل كتابُك عليك أنْ ترقنه لتعيد قراءته وتصلحه وتنقّحه وتحوّر منه قبل أنْ تعرضه على النّاشرين. ولا تتردّد في تشذيب مقاطع منه تبدو لك ضعيفة الأهمّية أو خاب سعيك فيها ولك أن تعيد صياغتها. اِستخدم قلمك اللّبدي الأصفر لتلوّن الكلمات أو الجمل أو الفقرات التي تبدو لك منقوصة تحتاج إلى تحويرٍ. جوّد نصّك ونمّقه. وإذا بدت لك بعض الشّخصيّات عديمة الفائدةً اِحذفها أو أضف شخصيّات أكثر مصداقيّة.

لا تنسَ، وأنت تعيد قراءة عملك، قاعدة أساسيّة من قواعد التّحرير: أنّ القارئ يجهل إلى أين يتّجه كلّما قرأ كتابًا. وعليك لذلك أنْ تذكيَ فضوله منذ الصّفحات الأولى. اِجعل نصّك يتنفّس بفضل تقسيمه إلى فقرات ولا تثقل صفحاتك وعيّر جيّدا حجم فصولك فبذلك يستطيع النّاشرون تقدير شكل كتابك القادم.

إذا لم تكن متضلّعا من العربيّة ومن النّحو لا تشغلْ بالَك بذلك. فحين يُنشر كتابك يُصلِح مصحّحٌ يدفع أجره النّاشر أخطاءك في الرّسم. وقد تعاملت دائمًا مع مصحّحين خفيفي الظّلّ أحمل عنهم ذكرى طيّبة. ولا يغب عن ذهنك أنّ مهمّة المصحّح أن يساعدك على تلميع نصّك وليست مهمّته أنْ يحكم لك أو عليك وأنّك ترغب في أن تصبح مؤلّفًا لا أستاذَ عربيّةٍ. وهذا الفويرق مهمّ. فالاعتقاد بأنّ المؤلّفين عباقرة في اللّغة العربية إنّما هو اِعتقادٌ خاطئ تمامًا.

وبالطّبع اُبذلْ جهدك لتصلح أكثر ما يمكن من الأخطاء بنفسك أو اُطلب مساعدة شخص آخر يجيد العربية. وإذا كلّفتَ شخصًا من محيطك القريب بإصلاح نصّك فاختره بعناية. تجنّب الأشخاص الذين يريدون الإعلاء من شأنهم على حسابك معلّقين تعليقات جارحة. فدَوْرُ المُصحِّح أنْ يقدّم نقدًا بنّاءً لا أنْ يحطّ من شأنك في غير أدب ولباقة. وثمّة أمرٌ آخر مهمّ. إذا أقرأتَ عشرة أشخاص كتابَكَ تحصّلتَ على عشرة آراء مختلفة وهو ما قد يحطّم طاقة الإبداع فيك ويجعلك ترتاب من نفسك.

وأنا أعرف شخصا وقع في هذه الحلقة المفرغة.

والحاصلُ أنّ كتابه لم يُنشر أبدا إذ قضّى وقتَه في تمكين غيره من قراءته وفي استئنافه كلّما أصدر أحدٌ أحكامًا أو قدّم له نصائح مضلّلة.

وما إنْ تنجز عمل الإصلاح الأوّل اِحفظ مخطوطك وانتظر أسبوعا قبل أن تعيد قراءته للمرّة الأخيرة. لقد قمت بعمل باهر إذ ألّفت كتابك الأوّل وينبغي أن تأخذ عنه بعدا حتى تريح ذهنك. أعِدْ قراءة مخطوطك بعد هذا التّوقّف، وأنت مرتاح البال، كما لو كان قد كتبه شخص آخر. لماذا؟ لأنّ ذلك سيضعك في موضع النّاشرين والقرّاء الّذين سيقرؤون كتابَك لأوّل مرّة. إنّ اِنتظارك مدّة أسبوع أو أكثر يمنحك نظرةً جديدةً إلى عملك. اِطبع مخطوطك في صيغته النّهائيّة الّتي تريد تسليمها إلى النّاشرين.

الفصل 13: النّشر على نفقة المؤلّف

"سِرْ في سبيل المجد فليس الكسب الخسيس غاية المؤلّف اللاّمع أبدا"

يعني النّشر على نفقة المؤلّف أنّك لن تعرض مخطوطك على ناشرين محترفين. فأنت تنشره بنفسك وتموّله. وإذا ما نشرته بنفسك فعليك أن تنفق ما لا يقلّ عن 5000 دولار دون أيّ ضمان في استرجاع ما وظّفته من مال. وعليك أيضا أن تنجز عملاً جبّارًا ملزمًا: تصميم كتابك وصفحة الغلاف وخلاص صاحب المطبعة والحصول على رقم النّشر الدّولي وإنشاء رمز للتّرقيم بالأعمدة والقيام بالإيداع القانوني وعرض كتابك على جميع المكتبات ولفت انتباه وسائل الإعلام بنفسك وستكون في عزلة تامّة بالخصوص لأنّك لم تثبت كفاءتك لدى ناشر محترف. وزد على ذلك، النّشر على نفقة المؤلّف تقترن به دلالة مستهجنة لدى القرّاء ووسائل الإعلام والمكتبات: دلالة على استجابة لنـزوة ذات متضخّمة إذ يُفترض أنّ كتابك رفضه ناشرون متمرّسون أو دلالة على أنّك مزهوّ مغترّ وأنّك تحسب نفسك نجمًا والحال أنّه لا تجربة لك معترفًا بها في مجال النّشر. وحتى إذا كان الأمر باطلاً أحيانًا فإنّ هذه الشّبهة تُضرّ بك.

وتقترح طائفة جديدة من النّاشرين الذين ينبغي أن تحترس منهم حلولاً عجيبة: يأخذون على عاتقهم كلّ شيء وتدفع أنت تكلفة نشرك على نفقة المؤلّف. فمنهم من يعدك بجنّات عدن تجري من تحتها الأنهار فيغريك بصنوف المزايا جميعًا. ولكن ما يتناسون ذكره عادة أنّ ما يعنيهم إنّما هو مالُكَ وحده. فهم لا يجازفون ولا يحفلون البتّة بمضمون مخطوطك ولا يعنيهم في شيء الشّغف بالكتابة وجودة النّصّ والموهبة. فالذي يريدونه إنّما هو ربح المال مستغلّين في ذلك تشوّق المؤلّفين الجدد إلى رؤية أعمالهم منشورة. وإذا قرّرت أن تختار هذا الحلّ السّهل، هذا الذي يكلّفك 5000 دولار، وجدت نفسك أمام صناديق من الكتب على ملكيّتك دون شكّ لكن أقادر أنت على بيعها؟ لقد جرّب عديد المؤلّفين الجدد هذه الطريقة وقلّما أصبحوا مؤلّفين ذوي رواج كبير إذ أخفقوا في ولوج عالم المحترفين في الكتابة.

ولا تنس أنّ أيًّا كان يمكنه أن يدفع المال لصاحب مطبعة حتى يطبع أيّ شيء وليس ذلك دليلا على موهبة أو مصداقيّة أبدا وهو ما يشبه بعض الشّبه عددًا من مواقع الأنترنيت أين يكتب أناس ألوانًا من التّرّهات والمعلومات الخاطئة دون رقابة جادّة أبدًا. وعلى المؤلّف الحقّ أن يجعل ناشرين محترفين مشهودا لهم بالكفاءة يقيّمون عمله. وههنا، ههنا فحسب، يكمن التّحدّي الحقيقي لمؤلّف يرغب في تعلّم

أسرار المهنة. فإذا نُشِر له كتاب كانت المكافاة العظمى وكان تتويج جهوده وأحلامه ومثابرته. وإنّي أتحدّث وأنا ملمّة بالنّشر على نفقة المؤلّف فقد جرّبته على سبيل الفضول. وبالطّبع توجد حكايات أخّاذة وأنا دليل من الأدلّة عليها. وسأحدّثكم عن ذلك حديثًا مفصَّلاً في الفصل 16.

وما أسعى إلى أن أفهمكم إيّاه أنّ هذا الأسلوب الفوضويّ في السّلوك قد يدخل عليك الضيم خصوصًا على مدّخراتك. وهذا يشبه بعض الشبه المغنّين الذين ينتجون بأنفسهم فحظّهم من النّجاح ضعيف. والتّوفيق يكون حليف شخص أو شخصين من مائة. وهذا قليل مقابل كلّ هذه المخاطر التي تُتَجَشَّمُ وكلّ هذه الضّغوط. ومرّة أخرى إنّها مسألة اختيار شخصيّ.

الفصل 14: اِعرض كتابك على النّاشرين

"الثّقة هي هذا الشّعور الذي بفضله يلتزم الفكر بكبريات القضايا مؤمّلاً النّجاح، متيقّنًا منه"

إذا أتممتَ مخطوطك واستخرجتَ منه نسخةً مطبوعةً واضحةً مقروءةً لا تُجَلِّدْه ولا تُغلِّفْه. اِستخرجْ نسخًا عديدة مصوّرة وتثبّتْ بالخصوص من أنّك تمتلكِ نسخا ورقيّة ورقميّة اِحتياطيّة. رتّب الصّفحات واجعلها في ملفٍّ كبيرٍ.

اُكتبْ مراسلة قصيرة بها ما يلزم للاتّصال بك وأرفقها بإرساليّتك. تأكّدْ من اقتناء ظروف متينة. ولك اختياران: إمّا أنْ ترسل الظّرف بالبريد إلى النّاشرين دون أنْ تتّصل بهم مسبقا وإمّا أنْ تهاتفهم لتعرف ما إذا كانوا يرغبون في الحصول على مخطوطك.

مثال من مراسلة

تحيّة طيّبة وبعد،

يطيب لي أنْ أعرض عليكم مخطوطي المعنون بِـ . ولقد خصّصتُ وقتًا طويلاً وبذلت جُهدًا سخِيًّا لكتابة هذا النّصّ العزيز عليّ. وإذ أقدّمه إليكم فإنّني أعلّق عليكم آمالاً عريضة. وإنّي لشاكرة عنايتكم مسبقا. وفي اِنتظار ردّكم تقبّلوا منّي أصدق عبارات التّحيّة والاِحترام.

كيف تختار ناشرًا؟

يكون ذلك بالعودة إلى الكتب المختلفة في المكتبات حتى تعرف ما يصدره النّاشرون أو بالرّجوع إلى الفصل 20 الذي يقدّم لك جميع المعلومات التي تتعلّق بهم. ومن البديهيّ أن يرفض النّاشر مخطوطك إذا كنت كتبت رواية بوليسيّة وعرضتها على مختصّ في إصدار الرّوايات التّاريخيّة فذلك لا يتوافق مع سياسته في النّشر. وعليك حينئذ أن تستخبر جيّدًا حتى تقع على ناشر يصدر الكتب التي هي من صنف كتابك.

ومن الخطإ الاعتقاد بأنّ الناشر الكبير يمكّنك من بروز أكبر ويجعلك تربح مالاً أكثر فهذا النوع من النّاشرين يكون، أحيانًا، بمثابة مصانع للمؤلّفين لا غير. ويمكن لناشر أقلّ شهرة أنْ ينجز عملا ممتازًا. وعليك أن توازن بين المحاسن والمساوئ. غير أنّه عليك أن تجتنب التّعامل مع ناشرين ليس في رصيدهم إلاّ كتاب أو كتابان فقد يفلسون ولا يسدّدون لك مستحقّاتك (حقوق التّأليف). وإنّ عالم النّشر يشهد تطوّرا مستمرًّا. فبعض دور النّشر تغلق أبوابها وتنشأ دور أخرى وهكذا دواليك منذ عقود. وعلى هذا النّحو يسير عالم النّشر كما هي الحال في أيّ قطاع من قطاعات الأعمال.

حين تعرض مخطوطك على ناشر يقدّمه إلى لجنة قراءة تنظر فيه وهي لجنة تتركّب عمومًا من المؤلّفين الذين أصدرت لهم الدّار كُتُبًا.

وإذا كانت تعليقات لجنة القراءة إيجابيّة قرأ النّاشر بدوره مخطوطك بما أنّه صاحب القرار. وإذا لفت كتابك انتباهه تلقّيت مراسلة أو مكالمة هاتفيّة.

إنّ النّاشرين غارقون في المخطوطات التي يتلقّوْنها فاصبر فردّهم قد يستغرق ما بين شهرين وستّة أشهر. وكثير من النّاس الذين يكتبون كتابهم الأوّل يتصوّرون، بغير حقّ، أنّ النّاشرين لا ينتظرون إلاّ تجشؤهم السّحريّ الأوّل. وليس أكذب ممّا ذهب في وهمهم إذ يتلقّى النّاشرون، كلّ شهر، عشرات بل مئات من المخطوطات. وهذا يبيّن مدى شعبيّة الكتابة على أيّامنا. من هذا الكمّ ينشر أقلّ من 2%.

وبطبيعة الحال إذا اهتمّ النّاشر بعملك قد يقترح عليك أن تعيد النّظر في بعض المواضع من مخطوطك. ولا ينبغي أن تعتبر ذلك بالخصوص نَيلا من كبريائك أو أنْ ترى فيه إهانة فالمسألة تتعلّق بنقد بنّاء يقصد به إلى أن يقدّم إلى قرّائك في المستقبل منتجا لا تشوبه شائبة. وضَعْ نصب عينيك دائما أنّه لا يوجد، في باب الأدب، نقد للأشخاص. فلا أحد يريد بك شرًّا حين يقدّم إليك مقترحات. والأمر يخصّ طريقة كتابتك ولا يهمّ قيمتك أو نـزاهتك.

وللأسف، لا يفهم بعض المؤلّفين المبتدئين هذا الأسلوب في النّظر وينساقون إلى نـزوات أطفال مدلّلين شكّائين بكّائين. ولقد رأيت منهم بأمّ عيني من صفق الأبواب واستشاط غضبًا وشتم النّاشرين.

ولا أخفي عليكم أنّني لو كنت ناشرة لابتهجت بالامتناع عن النّشر لهذا الرّهط من النّاس المزهوّين بأنفسهم الذين يحسبون، في كثير من الادّعاء، أنّهم من طينة أخرى. فالتّواضع من شيم الكتّاب الأصيلين. وإنّ امتهان هذا العمل هو أن تضع يوميّا الذّات موضع تساؤلٍ عسيرٍ على النّفس أحيانا ولكن ما أحسنه إذ يرفع من شأن المرء حين يتقبّل أحكام من يعرف أكثر منّا. وما استحسنته خلال مسيرتي المهنية إنّما هو الثّقة في الاحكام التي يصدرها أشخاص أكثر كفاءة منّي. وهذا ما مكّنني من التّحسّن وإنّي لممتنّة لهؤلاء الأشخاص. فلولا نصائحهم الحصيفة لما صنّفت 14 كتابًا.

ما هي حقوق التّأليف؟

هي قانون يحمي آثار المؤلّفين بحيث يظلّ كلّ مبدع مالكًا لكتاباته. ومدّة الملكيّة سني حياة المؤلّف يضاف إليها 50 عامًا بعد وفاته تنتقل فيها إلى عقبه. وحقوق التّأليف هي الطّريقة التي ينال بها المؤلّف أجره حين ينشر كتابه. وهي تمكّن أيضا صاحبها من تسلّم صكوك بنكيّة معتبرة حين يُتَرجم عمله إلى لغات أخرى أو يُقْتَبس للتّلفزيون أو السّينما أو المسرح أو الإذاعة. وتسمّى هذه الحقوق حقوقًا تابعة، أحدّثك عنها في الفصل 15.

وحين توقّع عقدًا مع ناشر تلاحظ أنّه وقع التنصيص عموما على أنّك

تتحصّل على نسبة 10% من مبيعات كلّ نسخة من الكتاب. ويعني ذلك أنّك تقبض دولارين تقريبا بعنوان حقوق التّأليف عن كلّ نسخة تُباع بعشرين دولارًا. ويرسل النّاشرون صكوكًا بمبالغ حقوق التّأليف كلّ ستّة أشهر أو مرّة في السّنة ويقبل بعض النّاشرين أحيانا دفع تسبقة للمؤلّفين.

ولمّا كنت في تجربتك الأولى في ميدان الأدب أنصحك بألاّ تغترّ معتقدًا بسذاجة أنّك ستصبح، ما إنْ يُنشَر كتابك، من مشاهير العالم أصحاب ملايين. فأنا أقدّر أنّ النّشر في حدّ ذاته مدعاة لفخر كبير. وقد صادفت كُتَّابًا جُدُدًا كثيرين أصبحوا في علاقتهم بناشريهم متعجرفين يصعب إرضاؤهم إذ ذهب في وهمهم أنّهم عباقرة. فقد أثار كتابهم الأوّل خيلاءهم فطفقوا يزعجون دور النّشر التي احتضنتهم معتقدين أنّ كلّ شيء مباح كما لو كانوا المغنّية الأولى في الأوبرا. ولم يطل عهد هؤلاء في مهنة الكتابة بسبب ما في سلوكهم من جحود وتعصّب بقدر ما فيه من غلوّ.

وإذا كان هدفك الأوّل أن تثبت أنّك نجم ساطع دون أن تولي أيّ اعتبار للنّاشر الذي منحك فرصتك الأولى فإنّك لن تشتهر أبدا في هذا الوسط لأنّ سمعتك ستسوء سوءا عظيمًا. ولا يغب عن ذهنك أنّ النّاشرين يعرف بعضهم بعضا ويتحدّث بعضهم إلى بعض. وأنا أحبّ عالم الكتابة لأنّه يعلّم . ويثبت أيضا أنّنا نستطيع معالجة سرعة التّأثّر فينا فنلطّف منها.

عقد النّشر

ما إنْ يجد النّاشر فائدة في مخطوطك حتى يوقّع معك عقدًا. ويتكلّف عليه إنتاج كتاب لدى المطبعة حوالي 5000 دولار.

. وإنّ العقد الذي يربطك به دليل على حسن نيّته. فأنْ يلتزم بعقد دليل على أنّ مخطوطك أثار اهتمامه وأنّه قدّره حقّ قدره. ويتولّى مصحّح إصلاح مخطوطك قبل طبعه.

لا تقبل أبدًا أن يجعلك النّاشر تدفعُ تكاليفَ كتابك. فالنّاشر الحقّ شخص شغوف مستكشف للمواهب وليس مطبعيّا أو قرشًا من القروش. هو الذي ينجز إخراج كتابك ويصمّم صفحة الغلاف كذلك ويوزّعه على المكتبات. وأنت تحصل أيضا على عدّة نسخ من كتابك مجّانًا. ويدفع النّاشر تكاليف عمل مصوّر فوتوغرافي يُعدّ صورتك مؤلّفا وهي صورة تُجعَل على قفا الغلاف في كتابك ولكن قد يطلب منك أن تنجز الصّورة على حسابك.

ولتجنّب الاِرتباك اِحتَطْ للأمر واعمل على أن يلتقط لك أحد المقرّبين منك صُوَرًا نصفيّة بالألوان (لا تلتقط صُوَرًا كاملة بل صور الوجه أو النّصف الأعلى من الجسم فقط). وبذلك لن تكون مجبرًا على دفع للمصوّر الفوتوغرافي معلوم صورتك مؤلّفًا. ويوفّر عقد النّشر الجادّ الخدمة الصّحفيّة.

ودَور الملحق الصّحفيّ أن يعرض نسخًا من كتابك على وسائل الإعلام (نقّاد الأدب في الصّحف والمجلاّت ومعدّي الحصص الإذاعيّة والتّلفزيّة) وأن يعمل على إشهاره بواسطة بلاغ صحفيّ يلخّص عملك. فلكي يباع كتابك ينبغي أن يعلم القرّاء بصدوره بفضل الخدمة الصّحفيّة. وقد تجد نفسك بين ليلة وضحاها مدعوّا إلى الإذاعة أو التّلفزيون أو إلى لقاء مع مجلّة أو صحيفة كي تتحدّث عن كتابك. والنّاشر حرّ في أن يموّل أو لا يموّل التّعريف بصدور كتابك. ويكون التعريف في أمسية تنظّم بمكان عموميّ تقدّم خلالها كتابك في المصدح أمام الصّحفيّين المدعوّين وأقربائك سواء أكنت وحدك أو مع مؤلّفين آخرين.

وقد يطلب منك النّاشر كذلك المشاركة في جلسات توقيع كتابك في معارض الكتاب أو في المكتبات. وجلسة التّوقيع هي مكافأة للمؤلّف إذ تتيح له فرصة اللّقاء بقرّائه. وتتمثّل في أنْ تجلس أمام طاولة عليها كتبك، وحدك أم مع مؤلّفين آخرين أصدروا كتُبَهم في الدّار التي نَشرتْ لك.

وقد حظيتُ بكتابة كلمات إهداء، في معرض الكتاب بمونريال، على نسخ من كتابـي لأناس رائعين تنقّلوا خصّيصا من درامندفيل وماغوغ وريموسكي وكيباك. وأصدقكم القول إنّ ذلك قد مسّ منّي شغاف القلب فلم أكن أتوقّع البتّة دلائل الوفاء واللّطف والعطف هذه. وأذكر أنّني قضيت أوقاتًا لا تنسى مع أولئك النّاس اللّطيفين.

وليس أدعى إلى الانبهار من معرفة كيف يتحوّل مخطوط إلى كتاب. ولنا أنْ نشبّه تلك العمليّة بوضعِ وليدٍ لأنّ إخراج كتاب إلى النّاس مثير إثارة ولادة رضيع بكر رغب فيه والداه رغبة شديدة وكانا متلهّفين إلى ملامسة ثمرة عشقهما وملاطفتها! ويقوم النّاشرون سنويّا بعمل رائع ليجعلوا الناس يكتشفون المواهب الجديدة فهم يدفعون من جيوبهم كلّ شيء. وبطبيعة الحال هم يتحصّلون في الغالب على ضروب من الدّعم لكن علينا أن نُرجع لقيصر ما لقيصر فهم يجازفون بالمراهنة على نشر مخطوطات. والكتاب يشبه الشّريط السّينمائي أو الأغنية. فلا أحد بمقدوره أن يتكهّن بأنّه سيحقّق نجاحًا باهرًا أم لا، فالجمهور هو الحكم.

الفصل 15: هل يمكن للمؤلّف أن يعيش من كتاباته؟

"يلوي الكاتب الكبير إليه الأعناق بعدد الصّفحات التي لا ينشرها"

نعم، تعيش من كتاباتك، بطبيعة الحال، إذا وضعت كتابًا يلقى رواجًا واسعًا ويُتَرجَم إلى عدّة لغاتٍ. ولكن لا تدع أحلامك تذهب بك كلّ مذهب. واعلم أنّ لجلّ المؤلّفين مهنةً أخرى تجعلهم آمنين مطمئنّين حتى ينصرفوا إلى ما هم به شغفون. فليس من الثابت دوما أنْ يحظى كتاب من الكتب بالانتشار. فعدد الكتّاب كبير وما اِنفكّ عدد القرّاء يتناقص. وتلتزم بعض الدّروس في الكتابة بالمراسلة بأن ترجع لك مصاريفك إذا لم تتمكّن من النّشر أو إذا لم تكسب رزقك من قلمك. وكيف لأناس جادّين أن يقدّموا مثل هذه الوعود؟ ومنذ متى كانت للنّاس كرّات كريستال يرون فيها ما تخبّئه الأيّام للآخرين؟

إنّ أجزَلَ مكافأة يتلقّاها مؤلّف بعد النّشر هي أن يُقتبس عمله للسّينما أو التّلفزيون. فإذا لَفَتَ كتابُك نظرَ منتجٍ اختار أن يبرم عقدًا حصريّا ينصّ على أنّه يقوم بالمساعي اللاّزمة حتى يقتبس كتابك للتّلفزيون أو السّينما. وتقبض دفعة على الحساب، تتراوح بين ألف دولار وألفين. وقد يستغرق ذلك عدّة سنوات قبل أن يتجسّم المشروع. من ذلك أنّ إخراج كتابـي في صيغة مسلسل تلفزيّ اِستغرق سنتين.

لِمَ ذلك؟ لأنّ اِقتباس كتاب مكلّف جدّا. فينبغي أنْ يعالجه كتّاب سيناريو كي يقدّمه المنتج إلى مختصّين في دنيا الأعمال التّلفزيّة بغية الحصول على ما يلزم من أموالٍ لإخراجه، أيْ أنْ يجد من يموّله. إذ يستلزم اِقتباس كتاب للتّلفزيون أو السّينما مبالغ طائلة لخلاص المخرج والممثّلين والمشاركين والأعوان الضّروريّين لتحقيق المشروع. فالمسألة تتعلّق بآلاف من الدّولارات. ثمّ، إذا حَظِيَ المشروع بالموافقة، قبضت صكًّا عند التقاط المشهد الأوّل من الشّريط. ويتراوح المبلغ بين 30.000 و50.000 دولار. ولكن عليك أن تعلم أنّه ليس من مهامّ ناشرك أن يقوم بالمساعي لدى المنتج. إنّهما كونان مختلفان:كون الكلمات وكون الصور، وعليك أنت أن تقوم بالمساعي لدى المنتجين. كيف ذلك؟ أنْ تفعل ما فعلته أنا، أنْ تبحث عن المنتج الذي يصنع المسلسلات أو الأشرطة القريبة من الموضوع الذي تناولته في كتابك. ويكفيك أن تتنبّه إلى المسلسلات والأشرطة وأن تفحص بعناية قائمات المشاركين في المسلسلات والأشرطة حتى تعثر على اسم المنتج. وبالعودة إلى الفصل 20 تجد بيسر عناوينهم وأرقام هواتفهم فتعرض عليهم كتابك.

الحقوق التّابعة

حين يُعَدَّ الكتابُ للتّلفزيون أو السّينما يَمنح المؤلّفُ نسبةً مّا إلى النّاشر وهو أمر طبيعي بما أنّ النّاشر تحمّل المخاطرة الماليّة.

وإنّ حماية نفسك منذ البداية يجنّبك بعض المتاعب.

وإذا كنت واسع الخيال يمكنك أيضا أن تصبح محرّر مقالات. وهذا يعني أن تكتب في مواضيع السّاعة مقالات أو حوارات أو أعمدة تعرضها على المجلاّت والصّحف. ويُدفع لك ما يناهز المائتي دولار. غير أنّ المنافسة ههنا أيضا شرسة. وعليك أن تلفت الانتباه إليك بطرافة ما تكتبه. ولك أن تعير قلمك لتحرير كتيّبات إشهاريّة. ويقتضي ذلك بداهة أن تتلاءم مع حاجيات الشّخص الذي يهتمّ بعملك وأفكارك وأنْ تلتزم بها. ولمجابهة المصاريف آخر الشهر يحرّر بعض الكتّاب، كي يجدوا قوت يومهم، قائمات المآكل في المطاعم إنْ لزم الأمر. أقول لك هذا لتعلم إلى أيّ حدّ تكون مهنةُ الكاتب معرّضة إلى عدم الاستقرار وحدوث ما لا يتوقّع.

ويمكنك أن تكري قلمك لكتابة سير حياة الآخرين. وهو ما نسمّيه خدمة حسب الطّلب، ويكون ذلك بنشر إعلانات تعرض فيها خدماتك. فعلاوة على كتبـي الأربعة عشر ألّفت أكثر من عشر سِيَرٍ للآخرين. وأن يصبح المرءُ كاتبَ سيرٍ لَهوَ أعسر الفنون الأدبيّة. لماذا؟ لَأنّ الواحد منّا ينبغي أن يعيش بإحساس مفرط ما يبوح به إليه النّاس من أسرار حتى يكون كاتبَ سيرٍ ممتازًا. وينبغي أيضا أن يتحلّى برباطة الجأش فالأمر يتعلّق غالبا بحكايات تشقّ على النّفس كالاغتصاب ونكاح المحارم والأمراض الخطيرة. وبعض السِّيَرِ التي كتبتها أعادت إلى أناس حبَّ الحياة حيث أخفق الأخصّائيّون النّفسيّون بل إنّ بعض النّاس أجهشوا بالبكاء على صدري.

وإذا كنتَ موهوبًا في صياغة الحوارات يمكنكَ أن تصبحَ كاتب سيناريو للتّلفزيون أو السّينما أو أن تكتب نصوصا مسرحيّة. والإذاعة، في رأيي، مجال لا يطرقه في الغالب المؤلّفون المبتدئون. فأين ذهب القُصّاص الذين عرفناهم في ما مضى؟ هناك فرص عديدة في الإذاعة لمن كان قلمه يستجيب له في يسر كما لسانه. والإذاعة، في تقديري، وسيلة إعلام ذات قدرة لاكتساب الثّقة بالنّفس بما أنّنا نُسمع ولا نُرى. وربّما هذا ما يفسّر أيضا للأسف تجاوزات منشّطين إذاعيّين لا يدركون وقع كلماتهم من وراء المصدح.

الفصل 16: مسارات مؤلّفين

"نتقدّم دوما أكثر نحو المستقبل حين نعود إلى الماضي"

لقد بدأ كُتّابٌ مشهورون في العالم مثلي ومثلك، بكلّ بساطة، مؤمنين بمشاريعهم في الكتابة إيمان الصّادقين عازمين العزم كلّه. فبرهنوا على أنّهم كانوا، وقد انطلقوا من لا شيء، قادرين على تأليف كُتُبٍ ذات رواج تُترجم إلى عدّة لغات وتُقتبس للسّينما أو التّلفزيون. وقبل أن أحدّثكم عن خمسة من هؤلاء، هم ماري هيغنس كلارك وستيفان كينغ وجاكي كولينس ومارك ليفي وج. ك. راولينغ، اِسمحوا لي بأن أرويَ لكم مسيرتي الشّخصيّة بكلّ تواضع.

إنّ مساري الأدبيّ عاديّ أكثر من مساراتهم بكثير لكنّه منح للمرأة المجهولة من الكيباك التي كنتُها شرفَ أنْ ترى كتابًا من كتبها الأربعة عشر يُقتبس للتّلفزيون. فهذا الكتاب أضحى مسلسلاً شعبيًّا عنوانه بطلاه هما مارينا أورسيني وبيار براسار. وفي بداية تجربتي المهنيّة، لمّا أتممتُ سلسلة الكتب الخمسة عن فصائل القطط، كنت أودّ أن أكتب عدّة روايات في مواضيع شتّى فأنا طُلَعَةٌ بالطّبع أهتمّ بكلّ شيء. وكان أحد النّاشرين حذّرني من أنّني أجازف مجازفة عظيمة إذا تجرّأت على اختبار التأليف في فنون أدبيّة متعدّدة بدل الاكتفاء بالكتابة عن الحيوانات الّتي جعلتني معروفة. وكان يزعم أنّ ذلك لا يستقيم وأنّه لا ناشر يخاطر بنشر كُتُبـي.

باختصار، ثبّط عزيمتي إذ أفهمني بوضوح أنّني سأعرّض نفسي إلى الهزء فلا ناشرَ يَرى في كاتبةِ أدلّةٍ عمليّةٍ تأخذ في تأليف روايات وجهًا من المصداقيّة. والحقّ أنّي وجدت في هذا الضّرب من التّفكير بعض العُجْبِ، فرفضت أن أُصَنَّف على أنّي "كاتبة أدلّة عمليّة" وأن يُحَطَّ من قيمتي وأصررتُ على اتّباع غريزتي في الإبداع. ولمّا فرغت من كتابة وهو روايتي الأولى، عرضته على ناشرين عديدين وتحمّلت مضضَ أكثر من رفضٍ مهذّب. وكان ذلك مخيّبًا لي كثيرًا إذ كنت واثقة من مخطوطي.

واصلت، إذن، طوافي على النّاشرين وردّوا عليّ نصّي 24 مرّة!يا لها من خيبة مريرة!فقد أفرغت جهدي في هذه الرّواية التي تعالج قضيّة راهنة إذ صوّرت امرأة ورجلاً أصابهما القرف من شبكات التّعارف! وكدت أطّرح ذلك كلّه وأنا أقول في ما بيني وبين نفسي: ما دام لا يوجد أحد يريد نشر كتابـي فالكتاب فاشل رديء. ورغم ذلك كانت غريزتي تهيب بـي بألاّ أعدِلَ عنه. ولكن ما العمل؟

في يوم من أيّام الاكتئاب سنحت لي فكرة. أخذت مدّخراتي كي أنشر روايتي على نفقتي. قمت بنفسي بكلّ شيء لكنّ الأمور لم تَسْرِ على الوجه المطلوب. فألفيت نفسي مفلسة، تائهة دون سند مع صناديق من الكتب التي لا يرغب فيها أيّ كتبيّ. وكدت في أعقاب أشهر ستّة أنْ أتخلّى عن ذلك. ثمّ، ذات مساء، لمّا كنت

أشاهد التّلفزيون ساورتني فكرة طائشة. ماذا لو عرضت كتابـي على منتجين للتّلفزيون؟ لن أخسر شيئا. لكن كيف أصل إليهم؟ شاهدت في الأيّام الموالية المسلسلات التّلفزيّة المختلفة وراجعت قائمات المشاركين فيها حتى أسجّل أسماء من ينتجها. ولفت نظري على وجه الخصوص اِسم ماتش تي في (Match TV) المختصّ في الفكاهة ثمّ وجدت اِسم المنتجين وعناوينهم. وفي حماس فيّاض أرسلتُ إليهم بالبريد نسخا من كتابـي مرفقة برسالة تقديم.

وبعد أسبوع، تلقّيْتُ مكالمة هاتفيّة من فيليب دوسّو، أحد المنتجين في ماتش تي في، الذي أعلمني بأنّه ضحك كثيرًا وهو يقرأ وضرب لي موعدًا في مكتبه. ومن فضل القول أنْ أحدّثكم عن درجة الانفعال التي كنت عليها بفضل هذه الفرصة غير المتوقّعة.

وهكذا بدأتُ هذه المغامرة الرّائعة مع أناس آمنوا بمخطوطي. ولن أنسى أبدا فيليب دوسّو الّذي منحني فرصتي الأولى إذ وظّف مقادير طائلة في كتابـي. وأنا أسوق هذا كلّه لأبيّن لكم أنّ كلّ شيء ممكن طالما اعتقدتم في ذلك.

وفي ما يشبه سحرَ ساحرٍ عرض عليّ النشر ناشرون كانوا أداروا الظهر لمخطوطي. وفي نهاية المطاف أصبح الكتاب موجودًا في جميع المكتبات وصار موضوعَ مقالات عديدة صدرت في الصّحف والمجلاّت وموضوع لقاءات في التّلفزيون والإذاعة.

كتبتُ أيضا حوالي عشرين مقالاً وعمودًا في مجلاّت مختلفة وألّفت سيناريوهات وأغاني. وعلاوة على كوني روائيّة وصحفيّة أصبحت كذلك كاتبة سِيَرٍ لأنّ حياة النّاس تثير شغفي. ولم آسف البتّة على أنّني اتّبعتُ أفكاري إلى غايتها بما أنّ كتبـي جميعًا، منذ ذلك العهد، قد نشرت لدى ناشرين مختلفين. وهي رواية تاريخيّة وروايتا مغامرة ورواية عاطفيّة وروايتان هزليّتان وسيرتان وكذلك دليل عمليّ يخصّ الطبّ التّجانسيّ للحيوانات إضافة إلى كتبـي الخمسة عن القطط.

مارك ليفي هو مؤلّف ظريف ومتواضع يحظى بتقدير في العالم عمل لسنوات طوال في الصّليب الأحمر. غادر فرنسا إلى الولايات المتّحدة وبعث شركتيْن مختصّتين في الصّور التّأليفيّة لم يكن لهما النّجاح المأمول. واضطرّ إلى أن يعيد الكرّة من الصّفر فأصبح شريكًا في مكتب هندسة معماريّة. وقدِ استوحى روايته الأولى من حكاية اِختلقها ليجعل ابنه يحلُم. كتبه منشورة في اِثنين وثلاثين بلدًا ومقتبسة للسّينما. إنّ ربّ العائلة هذا يمثّل الطّيبة مجسّدة، لم يجعله نجاحه يميل رأسه من الكبر لأنّه مثاليّ شغوف.

ماري هيغنس كلارك هي إحدى ملكات التشويق جديرة بنجاحها كلّ الجدارة. هي مضيّفة طيران سابقة وكاتبة مدير أصبحت أرملة تعول خمسة أطفال. وقد عملت هذه الأمّ الاستثنائيّة الشّجاعة المقدامة المثاليّة بجدّ فكتبتْ أقاصيص وسيناريوهات للرّاديو. وفي السّابعة والأربعين من العمر، ألّفت روايتها الأولى القائمة على التشويق جالسة على طاولة مطبخها، في الصّباح الباكر، في صمت، حتى لا توقظ أبناءها قبل أن يذهبوا إلى المدرسة. وكان أن افتُتِنَ أحد النّاشرين

بروايتها التي أسَرَتْه فبدأت بذلك مسيرةٌ رائعةٌ لكاتبةٍ. وهي اليوم من أصحاب الملايين. فما السّرّ؟ يكمن في الرّعب والشرّ اللّذيْن يحومان في كلّ رواية من رواياتها حيث جسّدت أناسًا عاديّين يُمْكن لأيّ كان أنْ يرى نفسه فيهم ويجعلون القرّاء يتلقّطون أنفاسهم من بداية كلّ كتاب إلى نهايته.

ستيفان كينغ هو أحد سادة الرّعب لم تكن حياته يسيرة. ففي الثّالثة من عمره غادر أبوه، وهو بحّار يُنْتَظَر منه كلّ شيء ولا يقرّ له قرار، بيتَ العائلة تاركًا على سبيل الذّكرى مجموعته من روايات الرّعب. وقد وسم هذا الإرث الأبويّ غير المستعمل إلى حدّ مّا بميسمه ستيفان كينغ ورغّبه في أن يؤلّف روايات رعب. وقد ردّ عليه النّاشرون كتبه الأولى فامتهن بعض المهن ذات الأجر الزهيد ليجد ما يسدّ به رمقه قبل أن يتوفّق في الحصول على خطّة مدرّس بمدرسة. ولم يتوقّف، خارج ساعات العمل، عن الكتابة وأصبحت مخطوطاته تكوّن أكوامًا من الأوراق. وإنّ كتابه وفيه صوّر فتاة ذات قدرات خارقة للعادة، هو الذي أكسبه، لمّا اقتبس للسّينما، شهرة. ومذّاك أخذ نجمه في صعود ولقِيَتْ رواياته رواجًا منقطع النّظير. هكذا ثأر الطّفلُ الّذي أهمله أبوه ثأرًا يستحقّ التّقدير.

ج. ك. راولينغ كاتبة قصّة البديعة، هي مؤلّفة أخرى لامعة كانت على وشك التّخلّي عن تحقيق أحلامها. فأيّ مستقبل نطمح إليه حين نكون في الآن نفسه الأب والأمّ لطفل في سنيّه الأولى ونكسب بصعوبة قوت يومنا من التّدريس؟ لقد عرفَت كيف ترفع هذا التّحدّي بنخوة ورفعة وألمعيّة آملة في حياة أحسن بفضل الكتابة. كانت تكتب كلّ يوم، دون توقّف، حتى في المقاهي وغيرها من الأماكن العموميّة. فأقامت الدّليل على أنّ الحكايات العجيبة موجودة فهي اليوم من أصحاب الملايين تعيش في قصر. ومع ذلك حافظت دائمًا على نضارتها بأن ظلّت امرأة جذّابة هادئة.

جاكي كولينس سيّدة الرّواية الشّعبيّة وأخت الممثّلة الشّهيرة جوان كولينس لم تعرف بدايات سهلة. فلم يكن لها، وقد أطردت من المدرسة في سنّ الخامسة عشرة، أيَّ تكوين أدبيّ وتعلّمتْ حرفة الكتابة بنفسها. استطاعت أن تجد مجالا لها:أن تجعل قرّاءها يكتشفون حياة مشاهير هوليوود المضطربة الضّارّة الفاضحة. فجميع مكوّنات الرّواية الشّعبيّة متوفّرة فيها: الحبّ والتّنافس والغيرة والجنس والكحول والمخدّرات والموت المشبوه والمؤامرة والفساد وتصفية الحسابات. وتتأتّى طرافتها من أنّها تصوّر في رواياتها الشّعبيّة نساء لهنّ شخصيّة قويّة لا يسمحن للرّجال بالتّلاعب بهنّ. لقد تعلّمت جاكي كولينس الكتابة بالتردّد على أماكن مفضّلة في عصرها تتجسّس المحادثات وتسجّلها حتى تجد مواضيع لكُتُبِها التي لاقتْ رواجًا كبيرًا واقْتُبِسَتْ للسّينما والتّلفزيون.

الرّقابة الأدبيّة

وُجدتِ الرّقابة منذ زمنٍ طويلٍ ولا تزالُ توجد طالما اعتبرت بعض المصنّفات متضمّنة ثلْبا أو تمييزا جائرا أو بذاءة أو عنصريّةً. أَوَ تَعْلَمُ أنّ و لفيكتور هيغو ظلّتا ممنوعتين إلى حدّ سنة 1959؟ وحين منع بودلير بدوره بسبب مجموعته واساه فكتور هيغو بسخرية مرّة قائلا له:"لقد حصلت

الآن على أحد أثمن الأوسمة الّتي يمكن للنّظام الحالي أن يسنده إليك".

وقد كانت توجد في باريس، ناحيةٌ من المكتبة الوطنيّة تدعى الجحيم فيها تحجز الكتب المدانة. وثمّة أشكال أخرى أيضا من الرّقابة مثل الحالة المدوّية لسلمان رشدي. ففي سنة 1989 صدرت ضدّ رواية التي تتضمّن أقوالاً تمسّ من الرّسول محمّد فتوى أهدرت دم سلمان رشدي.

الفصل 17: إصلاح تمارين الكتابة

تمارين الفصل 3

إليك كيف ينبغي أن يُكتب النّصُّ مسندا إلى ضمير المتكلّم المفرد "أنا" ومطابقته:

"انفصل الذّئب عن الرّجل واتّجه بتؤدة نحو جثث هامدة لأبناء جلدته. استقرّ أمام جثّة أنثاه وشرع يعوي مصوّبًا مخطمه نحو السّماء. كانت صرخته نشيجًا لا ينقطع يمزّق القلب. كنت، بعد عشرين عامًا من حرب الفيتنام أعيش كابوسًا ثانيًا. فقد واريت في أعماق النّفس ذكرى رفيقيّ اللّذيْن اخترقهما الخازوق في فخّ نصبه الفيتغوكنغ. كنت النّاجي الوحيد ولم أستطع البتّة التّنفيس عمّا كابدته. التحقت بأومياك وجَثَوت حِذْوَهُ. وطفِقت أعوي والذّئب، جنبًا إلى جنبٍ، ساعاتٍ طوالا وقد جمع بيننا ألمٌ واحدٌ إلى الأبدِ وبلغت صرخات تمرّدنا عنان السّماء."

وإليك كيف ينبغي أن يكتب النّصّ مسندا إلى ضمير الغائب المفرد المؤنّث "هي" ومطابقته:

"وجدت في هؤلاء الشّبّان المهذّبين لطفا لا نظير له. إنّهم، بالنسبة إليها، مثال في المجتمع. فهمتْ من حركات قسماتهم الظّاهرة أنّهم يريدون مصافحتها كعربون صداقة. أن-زلتْ بلّور السّيّارة وقد تأثّرتْ بذاك القدر من الطّيبة تأثّرًا بليغًا كيْ تشكرهم بحرارة ثمّ وضعتْ بعفويّة قطع حلوى بالنّعناع في أيديهم الممدودة. ورأتْ الدّهشة في أعيُنِهم. تفطّنْتْ إلى ذلك وسألتهم وقد خاب ظنّها: أتريدون حلوى بالكراميل؟ لم يكنْ لهُمُ الوقتُ للإجابة. فقد إشتعل الضّوءُ الأخضَرُ ويجبُ الاِنطلاقُ. وفي المرآة الخلفيّة لمحتْ بتأثُّرٍ، وياللْمفاجأة، أنّهم يحيّونها تحية وداع بحركات تهزّ المشاعر رافعين بإلحاح الأصبع الوسطى لليَدِ اليمنى إلى السّماء."

وإليك كيف ينبغي أن يكتب النّصّ مسندا إلى ضمير الغائب المفرد المذكّر "هو" ومطابقته:

"يحبّ اِبنه حبًّا جمًّا ولكنّه مع أميتيست انعتق من إسار الواقع وجرّب باندهاشٍ كبيرٍ مسؤوليّة العناية بنوع من الفتيات الافتراضيّات. فهذه الفتاة المجهولة تجدّد، بمعنى من المعاني، صلته بالحياة، وليست مشاعره نحوها إلاّ مشاعر أبويّة خالصة. ولقد استطاع هذا المزيج العجيب من الملاك والشّيطان إثارة مشاعره، وهو عديم الإحساس، لأنّه فهمَ عذابها. وفي الخفاء أحاط أميتيست بعنايته رغم علمه بأنّه يثير اِن-زعاجها بنصائحه الصّادرة عن عجوزٍ غبيٍّ يهذي."

وإليك القرائن التي مدارها على البحر أو على وجهة غريبة

"اِخترتُ لِباسًا ربيعيًّا وقبّعةً كبيرةً من القشِّ حتى أفتنَ **ذئبَ البحارِ** الجميلِ. وأنا أتخيّلُ نفسي بعد، مرسلة الشّعر للرّيح، بين ذراعيْ حبيبـي يحملني في **مركبه**

الشّراعي الرّائع. يصطحبني إلى **جزيرة نائية** أين يَهِيمَ في حبّي. هناك، ينفخ **طرزاني** الجميل صدره ذا الشّعر الكثّ ويبني **من الخيزران الكوخ** الذي سيأوي حبّنا. وفي الأثناء أذهب رفقة **فهدي** الأليف لأقطفَ **الأناناس** لابسة **مئزرة عارية النّهدين**. ويصطاد روبنسون الجميل سمكًا في **البحيرة**."

حوّر الجمل التّالية مستعمِلاً كلمات أكثر أناقة

- خافت ليلى خوفًا شديدًا

أخذ الخوف من ليلى كلّ مأخذ

- اِتّجه اللّصّ مسرعا نحو العجوز

انقضّ اللّصّ على السيّدة المسنّة

- قال لها أحبّك

باح لها بمكنون حبّه

- كانت ليلى تستفزّ خالدا

كانت ليلى   خالد

- جلس الحريف إلى الطّاولة

اتّخذ الحريف له مقعدا

- دخلت الشاحنة بقوّة عنيفة في الحائط

الشّاحنةُ الجدارَ في عنفٍ

- أخذها زوجها بين يديه في حنوّ

زوجها بين يديه في حنوٍّ ورقّة

- في تلك الصّبيحة أشعّت الشّمس

في تلك الصبيحة أشرقت الشمس بأنوارها

- قطفت باقات ورود من كلّ لون

جمعت من   جميعا باقات

- أعرف لمِ ينبغي أن أنجز هذه التّمارين

من هذه التّمارين

اِستخدم خيالك واستعمل الكلمات السّتّ الموالية، مرتّبة، لتحرير نصّ قصير

طائرة وجزيرة وعطلة وراحة وشاطئ وكتاب.

"في **الطّائرة** التي تحملني إلى **الجزيرة** حيث سأقضي **عطلتي**، فكّرت في هذه **الرّاحة** التي أستحقها أيّما استحقاق على **الشاطئ** ومعي **كتاب** رائق"

أحجية الفصل 9

لِمَ أتكلّم بضمير المذكّر؟

لا أخفي عليكم أنّني، وإن كنت امرأة، فإنّ الإفراط في التأنيث يثير حنقي أيّما إثارة. فلئن كنت كاتبة فإنّني أنتمي، أولا وقبل كلّ شيء، إلى فئة الكتّاب. أضف إلى ذلك أنّه ينبغي أن نقاوم الجمع بعد مقاومة التأنيث والتذكير! والمرّات القليلة الّتي اعتمدت فيها التأنيث كانت لجعل النّصّ منسجما متطابقا. واستعمال التّذكير، عندي، هو ببساطة رغبة عن التمييز لأنّ التذكير، في ظنّي، يرمز في الأدب إلى الجنسين وإلى الكائن البشريّ عموما. خلا ذلك سنظلّ نراوح مكاننا: تصوّروا

مؤلّفا يعتذر في كلّ صفحة حتّى لا يغضب أحدا مستسلما إلى انفصام الشخصيّة.

الفصل 18: أن تصبح صحفيًّا بالمقال

يمكنك أن تصبح صحفيًّا بالمقال أيْ أنْ تجازى على المقال الّذي تكتبه. وتكون المكافأة بحسب عدد الورقات وتختلف من مجلّة إلى أخرى. وإليك معيارًا لذلك:

توافق الورقة 1500 علامة طباعيّة بما في ذلك البياض (250 كلمة)

المقابل: يتراوح بين 50 دولارًا و100 دولار.

فاحزَم ْ أمرك وتصفّح مجلاّت مختلفة حتى تكوّن لنفسك فكرة. وقبل القيام بأيّ إجراء حرّر بعض المقالات في مواضيع تروق لك حتى تكون لك نماذج ملموسة تعرضها. فالمسؤولون على تحرير المجلاّت مشغولون جدّا ولا وقت لهم يضيعونه في المطالب المبهمة.

قد يتّصل الموضوع بالسّياسة أو مجريات الأحداث أو الثّقافة أو السّخرية أو فنّ العيش أو الرّحلات أو الموضة أو الرّياضة أو التّجارب الشّخصيّة أو حيوانات بلد أو نباتاته أو غرائب الأنباء أو الظّواهر المستغلقة... إلخ. وعليك أنت أن تجد ما يناسبك. وإذا شغلك موضوع ما على نحو خاصّ فأقبل عليه واتّصل بشخص من الميدان تفسّر له مسعاك. وإنّ مهنة الصّحفيّ بالمقال مهنة تستدعي جهدا كبيرا لأنّه عليك أن تقيم الدّليل على الجدّة والطّرافة.

راع أيضا روح المجلّة حتى لا تعرض عليها مقالاً لا يوافق مضمون خطّها التّحريريّ. وتجنّب البريد الإلكتروني واتّصل بالمجلّة هاتفيًّا أو عبر البريد العادي عارضًا مشروعك بطريقة واضحة. ويمكن أن تكون الصّحف المحلّية أيضا مرقاة جيّدة للمبتدئين.

يتضمّن المقال عنوانًا ومقدّمة وعناوين فرعيّة تيسّر قراءته. أمعن النّظر في طريقة الكتابة لدى الصّحفيّين إنّها أفضل مدرسة للتّعلّم الذّاتي. وإنّ اقتراحك مقالات مجّانا يمثّل أيضا طريقة ممتازة لتخطو خطواتك الأولى. وهكذا بدأتُ ثمّ نُشِرت لي جميع المقالات اللاّحقة. ولقد اِخترت الكتابة عن حيوانات البلدان ولكنّني كتبت كذلك في مواضيع أخرى شدّت اِهتمامي.

مثال عن مقال: ميثاق الشّرف

صدى من الماضي

"في أوروبا العصر الوسيط، كان للفرسان الأجلاّء ميثاق الشّرف نفسه الّذي كان للسّاموراي الياباني أو الكشاترياس في الهند. فلقب النّبيل أو الشّريف للرّجال ولقب السّيدة النّبيلة للنّساء ما زالا يُخْلَعَانِ في أيّامنا على من يعيشون وفق قواعد الفروسيّة القديمة أو من يستلهمون منها.

مبادئ البوشيدو

مازال البوشيدو، وهو ميثاق الشّرف عند السّاموراي، قائما بما أنّه

عماد الفنون القتاليّة. وهو يعني "نبل نفس السّاموراي أو الفارس" الذي يُربّى على الانضباط الذّاتي رغم الانفعالات والأهواء ليخوض معارك الحياة وهو يعرف كيف يتحكّم في النّفس مع احترام أخيه الإنسان. والمبادئ الأساسيّة للبوشيدو هي الاستقامة والشجاعة والطّيبة والتّأدّب والظرف والصّدق والأمانة والوفاء وعلوّ الهمّة والتّرفّع عن الصّغائر والشّرف والتّواضع والاحترام والتّحكّم في الذات والصّداقة. والاستقامة هي أنْ تختار دون تردّد اتّخاذ قرار يمليه عليك العقل. إنّها العماد الذي يمكنك من الوقوف في إباء وأنفة. والشّجاعة عرّفها كونفشيوس، العلاّمة والفيلسوف الصّيني، منذ خمسمائة عام قبل الميلاد قائلا:"معرفة ما هو عادل وعدم اتّباعه دليل على غياب الشّجاعة. فالشّجاعة، إذن، هي أن تسلك سبيل العدل". أمّا الطّيبة فموصولة بالحنوّ وإنسانيّة المحارب وهي تحيي شعورًا نبيلاً. فأكثر النّاس شجاعة أكثرهم لينا والّذين يحبّون هم الذين يجرؤون. فإنّما القويّ حليم. وقد كان غاندي، رجل السّلام الهندي العظيم، يقول: "العفو زينة المحارب". ويمثّل التّأدّب والظرف بالنّسبة إلى السّاموراي، أوّلا وقبل كلّ شيء، اِحترامه للقيم أو لضعف الآخرين. وهما أيضا تعبيران عن مشاعر نبيلة وعن تقدير الآخرين والتّواضع. وقد أثار الصّدق انتباه كونفشيوس فأحاط به على أحسن وجه إذ قال: "الإخلاص هو منتهى كلّ شيء ومبتدؤه. فلا وجود لشيء دون صدق". ولقد أقرّ ميثاق بوشيدو أنّ الكذب أو التّلبيس صنوان في الخساسة. ومصداق ذلك أنّ عهد الفارس لا يُشَكُّ فيه فهو أقوى ضمان لكلّ ذي شرفٍ. أمّا الأمانة والوفاء فهما يعبّران عن الإخلاص في علاقات المصالح التي تربط بين الفرسان. فكلّ ما يلطّخ السّمعة ينال من الشّرف. ثمّ إنّ الأمر رهين حسن التّمييز فلا يطلب البوشيدو من المرء أن يضحِّيَ بثقته، كما يفعل بخروف، لمن ليس بها جديرًا. أمّا علوّ الهمّة أو التّرفّع عن الصّغائر فمدارهما على تجنّب الأعمال والسّلوكات اللّتين تمليهما المنفعة الشّخصيّة الأنانيّة. فشعار السّاموراي هو زهرة شجرة الكرز اليابانيّة التي تتفتّح لجمالها وحده وتذوي وتموت بعد أن تبلّغ رسالتها في التّواضع. إنّها رمز علوّ الهمّة الكامل.

الشّرف قبل كلّ شيء

يعبّر الشّرف عن الكيان الرّوحي للفارس وتمثّل خشية الخزي حافزا ناجعا لتصحيح سلوكه. فانعدام الشّرف عار لأنّ الشّرف يمثّل تقديرًا للذّات. وللتّواضع جذور في النّزاهة والصّدق. غير أنّ التّواضع الزّائف، وهو شكل خطير من الغرور، لا يعدو أن يكون حسابًا نفعيًّا قائمًا على التّلاعب بقصد استجلاب الشفقة على نحوٍ أقوى ولفت النّظر. فلا تكون الرّغبة في حبّ الآخرين لك وإعجابهم بك واحترامهم لك مقبولاً إلاّ إذا كانت القيمة الأولى أصيلة. وللاحترام مكانة أيضا رفيعة في

البوشيدو. فالحطّ من قيمة الآخرين وسيلة سهلة للرّفع من الشّأن وشكل من الادّعاء لاواع. ولاحترام الآخرين، على الرّجل أو المرأة من ذوي الشّرف أن يكونا قادرين على مقاومة وساوس الشّيطان في دواخلهم. وما التّحكّم في الذّات إلاّ قوّةُ النّفسِ جُمِعَ إليها احترام الآخرين والتّأدّب. ويستعين الرّجل والمرأة من ذوي الشّرف بالضّحك الذي هو كفّة الميزان المقابلة لكفّة الألم أو الغضب. أمّا الصّداقة، هذا الشّعور الخالص إذا كان صادقًا، فتُيسّر التّواصل الإنساني الرّفيع بين الأنداد.

بصيص أمل

إنّ هذه المبادئ المشرَبة مثاليّةً كلّها تصلح لتهذيب عيوب الطّبع الإنساني حتى يكون أقوم بمجاهدة النّفس. فقد كانت كلمة الشّرف، في سالف الأزمان، تعوّض توقيع المرء. وللأسف فإنّ ميثاق الشّرف ليس أمرًا كونيًّا ولا يدرّس في المدارس فقد كان ذلك، ولا ريب، يعود بالنّفع الكبير على الإنسانيّة. ولكن ما ضرّ لو حلمنا فمن يدري؟ ربّما تنبثق يومًا، كالشّرارة، طيبةُ القلب ليكونَ ذلك أولويّة في فكر النّاس جميعًا.

مثال عن مقال: مجمع الحيوان الخرافيّ

كونٌ من الجنون العذب

"ولدت الحيوانات الخرافيّة في خيال الأسلاف الجامح. وهي ترمز إلى الذّاكرة الجماعيّة للإنسانيّة بمخاوفها وأحلامها واستيهاماتها غير المعترف بها وتحدّياتها التي ينبغي رفعها. وإنّنا في الحضارات جميعًا واجدون هذه الحيوانات الخرافيّة. فلها سلطان مجاوز للطّبيعة يستعمل في الخير أو الشّرّ. وبعضها مرعب فظيع عبثيّ مؤذٍ وبعضها الآخر رُفَقاء الآلهة ورسلها أو حرّاس أماكن مقدّسة. لهذه الحيوانات الخرافيّة مظهر بشع أو هي على العكس من ذلك على قدر كبير من الحسن. ولبعضها أيضا جزء من جسد الإنسان. وهي تعمّر، شأنها في ذلك شأن العفاريت والسّاحرات والسّحرة والجنّيات، كوابيسنا وأحلام الطّفل الذي يغفو في كلّ واحد منّا.

التّنّين

من الشرق إلى الغرب كان التّنّين نافثُ النّار مهيبًا بجسمه المغطّى بالحراشف. في الغرب كان ذا جناحين. كان باعثًا على الخوف فهو غضوب عنيف. وفي الشّرق كان يشبه الثّعبان ويجسّد الطّيبة وكان يُعبد. وعلى حسب الأنواع، يمكن أن تكون للتّنّين رؤوس عديدة وضروب الألوان جميعًا وما لا يُحصى من القوائم ذات المخالب القاطعة. وكان التّنّين الغربـي مصابًا بالأرق وكان يحرس الكنوز والقصور والأماكن السّرّية. ولمّا كان التّنين نشيطا جدّا كان يحبّ أن

يمزح مزحات سيّئة العاقبة. فهو يحبّ بالخصوص أن ينتصب في طريق فارس من الفرسان ليصارعه طيلة أيّام بتمامها وكمالها. إنّه الثّمن الذي يجب أن يدفعه الفارس الهمام الرّاغب في غزو قلب حسنائه. ياللفرسان المساكين!إنّ طريقهم إلى الحبّ مضنية حقّا! أمّا من اختاروا العزوبة فلهم ظروف التّخفيف. وكان التّنّين، في الغرب، يعيش في الكهوف الرّطبة والبحيرات والمغارات. وكان يفضّل في الشّرق السّماء.

العنقاء وأبو الهول

وُلِد هذا الأسد المجنّح ذو رأسِ النسر في مصر في الوقت نفسه الذي ولد فيه أبو الهول وهو أسد بوجه إنسان. وكلاهما كان حارسًا للقبور ولكلّ الحواجز التي ينبغي اجتيازها. وقد أصبح أبو الهول ذا صيت بفضل اللّغز الشّهير: "من يسير على أربعة في الصّباح وعلى اثنين في الزّوال وعلى ثلاثة في المساء ويتقدّم بأكبر سرعة ممكنة حين يستعمل أقلّ عدد من القوائم؟" والمقصود هو الإنسان. وكانت العنقاء مطيّة لأبولون والإسكندر الأكبر وعلا نجمها في القرون الوسطى بالخصوص إذ نجدها في كلّ مكان: على الرّايات والبيارق والنّجود والجداريّات وعلى منحوتات الكنائس لأنّها تجسّد بأس الأسد وحزم النّسر مجتمعيْنِ.

الفينيق

كان الفينيق طائرًا بديعًا ذا ألوان عديدة يرمز إلى انتصار الحياة على الموت وإلى البعث والخلود. وكان يسمّى في مصر بينّو إلاّ أنّه كان معروفًا جدّا في الصّين وأثيوبيا ولبنان أيضا. ولا يوجد، كلّ خمسة قرون، إلاّ فينيق واحد. وكان حين يشعر باقتراب أجله يبتني عشًّا من الأعشاب العطرة. وهذا العشّ يكون أيضا محرقة له. وما إن يفرغ من هذه الاستعدادات حتى يأخذ في التضرّع، بالغناء، لنيران الشّمس الّتي تحرقه. وبعد أيّام ثلاثة يبعث الفينيق من رماده، وقد تطهّر بالنّار، ويطير، في هيبة وجلال، نحو مدينة سماويّة.

البازيليق

ليس للبازيليق جمال الفينيق. إنّه ديك بذنب ثعبان أو هو ثعبان برأس ديك يولد في المزارع على نحو غير مألوف. وبالفعل ينبغي أن يحضن ضفدعٌ برّي كريه بيضة ثعبان أو دجاجة أو ديك (وهذه البيضة دونها خرط القتاد!). وحين يخرج البازيليق من قشرة البيضة، بعد أن يلتهم المكتري، يذهب ليعيش في الكهوف. وكان مشهورًا بفحيحه ونظرته القاتلة.

القارن

كان القارن، وهو رمز العتق والطّهارة، جوادًا أبيض رائعًا ذا قرن مظفور في جبهته. وفي القرون الوسطى كان القارن يركض في

الغابات هربًا من الصّيّادين. وبالفعل كان عديمو الشّعور هؤلاء لا يتردّدون في قتله إذ كان الناس يعزون إلى قرنه، حين يُسحق، فوائد علاجيّة. وشاعت تجارة هذه القرون نظرًا إلى انتشار أوبئة الطّاعون وغيره من الأمراض القاتلة انتشارًا واسعًا. ولكن ما الذي كان هؤلاء الدّجّالون يبيعون؟ ببساطة كانوا يبيعون قرون الوعول وأسنان كركدن البحر. ولا يستطيع أحد أن يقترب من القارن ويلاطفه إلاّ الصّبيّة العفيفة. يستسلم القارن إلى النّوم في حضنها واثقًا فيها كلّ الثّقة وقد فتنته رقّة الفتاة العذراء.

بيقاص

كان بيقاص ابن ميدوز وزوس جوادًا أبيض ذا جناحين رائعًا سريعًا سرعة البرق في الميثولوجيا اليونانيّة. وكان له عدّة فرسان هم برسي وأثينا وبليروفون. وقد قضى بليروفون على شيمار وهي وحش مقزّز له رأس أسد وجسم عنـز وتنّين. ولمّا كان التّواضع أبعد ما يكون عن الصّفات الأساسيّة لبليروفون فقد سارع إلى امتطاء بيقاص ليتبجّح بنصره تحت نوافذ زوس. فأرداه زوس صريعًا على الفور إذ أثار جنون العظمة حنقه. فلا سبيل إلى الهزء بآداب السّلوك مع الآلهة ولا بدّ من بطاقة دعوة. لقد فعل زوس ذلك بسبب بيقاص المسكين الذي استحال كوكبة نجوم ورسول الشعراء.

سربير

"لسربير، أفواه ثلاثة بأنياب رهيبة، كان كلب حراسة الجحيم عند الإغريق. ولم يكن هذا الكلب المفترس ذو الأفواه الثلاثة في القديم معروفًا بلُطفه. وسرعان ما كانت تنتفش رقبته ألوانًا حين يكون مزاجُه عدوانيّا وتصبح عضّاته مسمومة. أضف إلى ذلك أنّ مُزاحَه الفاسد لا يُرضي جميع الزّائرين بما أنّه يسمح لهم بالدّخول ولكنّه يرفض رفضا باتّا أن يتركهم يغادرون. إنّه كلبٌ غير محُبِّب إلى النّفس... ومن حسن الحظّ أن لهذا الوحش الكبير بعض نقاط الضّعف التي أنقذَت بسيكي وأورفيوس وأوريديس. فقد كان أكولا نهمًا. وأثناء محنة أعمال هرقل الإثنيْ عشر تغلّب هيرقليس، الإنسان الكامل الجميل في ذلك العصر، على سربير دون سلاح بتضييق النّفس عليه جزئيّا. وإثر ذلك سُمح لسربير الدّميم بأن يواصل حراسة مملكة الأموات.

المينوطور

له والدان غريبان فأمّه ملكة وأبوه ثوْرٌ أبيض. ومن البديهيّ ألاّ تكون النّتيجة توفيقًا جينيًّا. فقد كان للمينوطور جسم إنسان ورأس ثور. وكما لو كان ذلك غير كاف فقد كان، علاوة على قبحه، من آكلي لحوم البشر. وبنى مينوس، وهو ملك كريت وزوج خدعته أمّ الوحش التي تزوّجها ثانية، متاهة ليحبس فيها ربيبه خفيف الظلّ. فوضع المهندس

المعماريّ ديدال تصميم هذا السّجن. ورفض المينوطور رفضا باتّا نظاما غذائيّا نباتيّا وكان يلتهم كلّ سنة سبع صبايا وسبعة صبيان. وتمكّن تيزي، أحد الأثينيّين المحكوم عليهم، من قتل المينوطور بمساعدة أريان وخيطها السّحريّ فوضع أخيرا حدّا لأهواس الوحش الحقيرة."

السناتر

"كانت هذه المخلوقات الشّاذّة المتكوّنة من أنصاف أناسيّ وأنصاف حُصُنٍ خزيَ العهود العتيقة عدا استثناءين هما فولوس وسيرين وهما مثالان (نادران) للحكمة والاعتدال. أمّا سائر السناتر فكانوا مشهورين بحبّ المشاجرات، مدمنين على القصف والمجون، لا همّ لهم سوى معاقرة الخمرة والتّعامل كالأجلاف الجافين مع النّساء. ولا عجب فقد كان جانب الحصان منهم مكتملا في حين أنّ جانب الإنسان فيهم ظلّ متخلّفًا ذهنيّا. لذلك ترى النّاس يطلقون سيقانهم للرّيح وهم يصرخون ما إن يلمحوا قطيعا من السّناتر هائجة تحدث جلبة وهي ثَمِلة بعض الشّيء. فيسارعون إلى إخفاء نسائهم وبناتهم حتى يحموهنّ من فظاظة السّناتر. وبعد ذلك أصبح السّنتور علامة برج القوس في علم التّنجيم."

أنموذج عن مقال: أسرار الأناسيّ القردة

هم يوجدون حقّا؟

"ولكن من هي هذه المخلوقات الغريبة، هؤلاء المتوحّشون، هؤلاء العمالقة كثيفو الشّعر منفوشوهُ الذين يثيرون فضولنا وهلعنا ونسمّيهم "رواسب الهومونويد"؟ هل هم بقايا الإنسان النّيندرتالي الذي اندثر على نحو فجئيّ بقدر ما هو غريب، ليفسح المجال لابنِ عمّه "الإنسان العاقل"؟ أيكونون كائنات هجينة من الأناسيّ والقِرَدة الكبيرة؟ هل هم صدى بعيدٌ لذاكرتنا الجماعية البدائيّة أمْ ثمرة خيالنا الجامح؟ ولنا في مختلف أرجاء المعمورة شهادات عديدة مُربكة ترجّح وجودهم. ولئن كنّا لا نجد أيّ نموذج عنهم حيًّا أو ميتًا فمن الثّقات من رأى بعضا منهم. وأنّى لنا أن نختَلق مثل هذه الكذبة الكبيرة التي تستمرّ منذ عهود طويلة إذا لم يكن لها أساس من الصّحّة؟

أوّل ظهور

رسميًّا بدأ الاعتقاد في الإنسان القرد أو إنسان الثّلج الفظيع سنة 1951. فقد اكتشف متسلّق الجبال البريطانيّ إريك شِبطون آثار أقدام عملاقة واضحة الوضوح كلّه، فالتقط لها صورة أثناء رحلة إلى التيّبت قَصَدَ منها العثور على مسالك جديدة إلى قمّة إيفيريست، سقف العالم. ولقد جالت تلك الصّورة أرجاء المعمورة وأصبح انسان الثّلج الفظيع أشهر رواسب الهومونويد. وينبغي أن نشير مع ذلك، إلى أنّه

منذ سنة 1800 سبق لمتسلّقي جبال ومستكشفين آخرين غربيّين عديدين أن رأوْا آثار أقدام، بل سبق لبعضهم أنْ لمح في علوّ 5000 متر مخلوقات غريبة نصفها إنسان ونصفها الآخر حيوان شعورها صهباء ولكنّهم اعتقدوا أنّ الأمر يتعلّق بغوريلا. بيد أنّ الاعتقادات المحلّية كانت تشير إلى عملاق كثّ الشّعر يعتبر وحشا دمويّا يهاجم قطعان القَطاس وثيران التّيبت ذات الجزز الطّويلة. ومع ذلك فإنّ رواسب الهومونويد تُعتبر في كلّ مكان كائنات نباتيّة لا تُؤذي.

أسئلة كبرى

فهل تمثّل رواسب الهومونويد إنسانًا بدائيًّا قد يكون عاد إلى حالة التّوحّش دُون أن يتطوَّر منذ آلاف السّنين؟ وهو ما قد يفسّر افتقاره إلى الثّقافة واللّغة الخاصّتين بالكائن البشري؟ وهو ما قد يفسّر أيضا لِمَ تختفي رواسب الهومونويد في الجبال المُقفرة والغابات العمْلاقة التي لا يكاد يرتادها أحد حتى يتفادى البشر. وقد عملت عديد الإرساليّات، طيلة ما يفوق المائة عام، على ملاحقته دون جدْوى. وعلى الرّغم من ذلك، فلا أحد استطاع أن يثبت وجود هؤلاء الأناسيّ القردة من عدمه وما يزال الشّك يحوم حولهم. ولنا أن نفسّر هذا الأمر بطريقة بسيطة جدًّا. فجميع الشّهود الذين صادفوا رواسب الهومونويد لم يكونوا يتوقّعون ذلك فتسمّروا من وقع المفاجأة. وأثناء هذه اللّقاءات يبدو أنّه كانت توجد خيول وحيوانات أخرى قُرب البشر وأنّ روائحهم قد تكون طغت على رائحة البشر الذين يخشاهم الإنسان القرد. وعلى هذا النّحو قد تكون رواسب الهومونويد قد منحوا النّاس، قبل أن يتفطّنوا إلى غفلتهم، الوقت الكافي لمعاينتهم قبل فرارهم. وقد يكون القبض على أحدهم إنجازًا حقيقيًّا بالنّظر إلى قامته العملاقة وسرعته. فلا ننسى أنّ الدّبّ الرّمادي غريزلي يبدو بجانب رواسب الهومونويد الرّشيقة، متثاقلاً جامدًا. وإنّ الصّيادين لا يصادفون الدّببة إلاّ نادرا فلِمَ لا يكون الأمر مماثلا مع الإنسان القرد؟ فنحن لا نسمع كلّ سنة إلاّ عن حالة أو حالتين من رواسب الهومونويد. ويبدو أنّ الواحد من رواسب الهومونويد هو الذي يختار، في مناسبات، الظّهور قرب البشر. ولكن ما إنْ يذهب البشر إلى البحث عنه حتىّ يتبخّر كما لو كان في الأمر سحر. وهذا يدلّ على أنّه ليس سريعًا فحسب بل ماكرا أيضا بما أنّه يجيد مخاتلة خطط من يقتفي أثره.

الألماستي

بحسب الرّسم النّموذجيّ الذي أُنجز سنة 1960 استنادا إلى عديد الشهادات التي جمعتها مختصّةٌ في الإنسان القرد بالقوقاز (روسيا وتركيا وجورجيا وأرمينيا وإيران وأذربيجان)، الدّكتورةُ ماري-جان كوفمان، يبلغ طول العملاق ذي الشّعر الكثّ المسمّى الماستي مترين ولا فرق في ذلك بين الجنسين. رائحته كريهة يُطلق صيحات كالصّرير

متقطّعة تشبه القَرقرة. وجسمُه مُغطّى بالشّعر عدا الوجه واليدين والقدمين. رأسه الأشعر جدّا غائرٌ بين كتفيه وظهره مقوّس. بشرته داكنة وشعره أصهب. ذراعاه طويلتان جدّا ورجلاه قصيرتان محدّبتان. يداه طويلتان وقدماه عريضتان. عيناه مائلتان حمراوان مشعّتان. أنفه أفطس وأذناه مبسوطتان إلى الأعلى. فمه عريض وشفتاه رقيقتان. قليل الأنس بالنّاس سريع الجرْي. ولأنثى الألماستي شعرٌ طويلٌ أحمر يُغطّي جسمها ولها عادة غريبة إذْ تلقي ثدْيَيْها الطويليْن المتدلّييْن وراء كتفيها. وزعموا أنّ الألماسي قادر على أن يعيد إيقاد نار أهملها الرّعاة، وهذا من أعمال الإنسان التي لا يقدر عليها أيّ حيوان. ومن الجدير بالإشارة أنّ الدكتورة كوفمان لم تكن تعتقد البتّة في وجود رواسب الهومونويد إلى أن طلبت منها السّلطات السّوفياتيّة وضع حدّ لهذه الأسطورة. وليست هذه الجرّاحة الفرنسيّة الروسيّة متسلّقة الجبال والعالمة بالجغرافيا والمختصّة في علم التّشريح أيّا كان حينئذ. وقالت بعد ذلك: "لقد قضيت ثلاث سنوات من حياتي أحقّق لأُحطّمَ ما كنت أراه خرافة إلى أن جاء يوم جمعتُ فيه عددا كبيرا من الشّهادات بحيث انقلب بحثي في الاتّجاه المقابل."

بقية رواسب الهومونويد

يعيش اليتي، ابن عم الألماستي، في الهملايا (بالنّيبال، التّيبت) شعره أصهب فاقع وجمجمته مستدقّة. وقد ألهم القصّة المصوّرة الشهيرة التي ألّفها أرجي "تنتان في التيبت". وفي الولايات المتّحدة يمثّل البيغ فوت المسمّى أيضا سسكواتش على الحدود الكنديّة، نجمًا حقيقيًّا. ويسمّيه الأمرنديّون أيضا أوماه أو بوكواس أو ونديغو. وعلاوة على ذلك يتحدّث السكّان الأوائل عن الإنسان-القرد في جميع خرافاتهم. ونجد آثارًا لأقدام البيغ فوت في الغابات الجبليّة الشاسعة غير المأهولة تقريبا والموجودة غربـي الولايات المتّحدة وكندا وقد لمح عدّة أشخاص الإنسان القرد وهم ليسوا ممّن يسعى إلى لفت الانتباه إليهم. ولقد قدّمت كلّ هذه الشّهادات في الصّحف المحليّة. وفي سنة 1967 صوّر رجل من قرب بيغ فوت في كاليفورنيا.

وذاك الشّريط، بالنّسبة إلى المدافعين المتحمّسين عن رواسب الهومونويد، حجّة وهو الحلقة النّاقصة من السّلسلة ولكنّ الأمر بالنّسبة إلى آخرين يمثّل ألعوبة مفضوحة. وقد شاع الحديث عن وجود الإنسان-القرد بأحجامٍ مختلفة في جميع أرجاء المعمورة. اليرين في الصّين والنغورونغ في الفيتنام والهيباغون في اليابان والأورنغ-بانداك في أندونسيا وماليزيا واليووي في أستراليا والكيكمبا في إفريقيا والسيسمت في أمريكا اللاّتينية. وما انفكّ سرّ الأناسيّ-القردة يفتننا. ولعلّنا في يوم قريب نتوصّل إلى أسر واحد منهم حتّى ننتقل به أخيرا من الخرافة إلى الواقع."

مثال عن مقال: علم الحيوان الخفيّ

علم على حدة

"تأسّس علم الحيوان الخفيّ في الخمسينات على يد البلجيكيّ برنار هوفالمان وهو دكتور في علم الحيوان. وقد بيع من أحد كتبه، الكتاب الموسوم بـ "على درب الحيوانات المغمورة"، أكثر من مليون نسخة. وعلم الحيوان الخفيّ علم مواز غيرُ معترفٍ به يقوم على اكتشاف حيوانات غير مفهرسة أو وحوش استنادا إلى الخرافات والمعارف الشّفوية والشّهادات ونوادر الأخبار في الصّحف وآثار الأقدام والأسنان والشّعر والرّيش والحراشف والأحافير والصّور الشّمسّية المطعون في صحّتها. وتتركّب كلمة (كريبتوزولوجيا) "علم الحيوان الخفيّ" باللاّتينية من كريبتوس (خفيّ) وزو (حيوان) ولوغوس (علم).

ويقوم على البحث في الحيوانات المنقرضة أو على العكس في الحيوانات الجديدة. ويتكهّن باكتشافها أو إعادة اكتشافها ويستبقهما.

ويعنى علم الحيوان الخفيّ بجميع أصناف الحيوانات من أكبرها إلى أصغرها وإن كان الحيوان ذو الحجم غير مألوف أدعى إلى فضول الجمهور.

مجادلة

بالطّبع، يزعم عدّة طاعنين في علم الحيوان الخفيّ أنّه من باب الوهم المحض وحبّ الإثارة. ويذهب علماء الحيوان إلى أنّ علم الحيوان الخفيّ لا يعدو أنْ يكون بحثًا عقيمًا يجري خارج كلّ منحًى علميّ. وهذا الجدال يعود في جزء منه إلى ما تفوّه به بعض أصحاب علم الحيوان الخفيّ المبتدئين من حماقات للفت انتباه وسائل الإعلام. ويتسلّى بعض أصحاب علم الحيوان الخفيّ الخرقى الآخرين بتهجين مضحك للحيوانات على حظٍّ ضعيف من المصداقيّة: حمار زردٍ برأس أسد أو فراشة برأس قردٍ ولها أسماء غريبة غرابة الصّور الملفّقة (حمأسد، فرقر). ويعمد كثير من المازحين السّخيفين إلى مثل هذا اللّعب للاستنقاص من علم الحيوان الخفيّ أو الاستخفاف بالسّذّج أو ببساطة لإضحاك المحيطين بهم.

ولكن ما حقيقة الأمر؟

هل نعرف حقًّا جميع الحيوانات التي تعيش في كوكبنا؟ هل اُسْتُكْشِفَ كوكبنا على نحو كامل؟ في سنة 1971 اكتشفنا قبيلة إفريقية تعيش عيش العصر الحجريّ. ولنا نظائر منها في الأمازون. فلم لا يكون الأمر مماثلاً بالنسبة إلى حيوانات ما تزال غير معروفة بعدُ تعيش في أعماق البحار والبحيرات والكهوف والمناطق المتوحّشة؟ وحين أكّد عالم الفلك الإيطاليّ غاليلي في القرن السادس عشر أنّ الأرض كرويّة لم يصدقه أحد. ويبدو أنّ لوحش خليج لوخ ناس ابن عمّ

في بحيرة مامفريماغوغ. ويعتقد أيضا أنّه من المحتمل وجود ثعابين بحريّة عملاقة في أعماق البحار.

اكتشافات نادرة

وقعت خلال القرون الأخيرة أحداث عديدة لا تصدّق تصدّرت عناوين صحف العالم كلّه. ووهذا ما يُمكّن من أن نرجّح بأنّ علم الحيوان الخفّي علمٌ أبعد ما يكون عن الخزعبلات المجعولة لتسلية النّاس. ففي سنة 1828 تم اكتشاف أكبر حوت، القرش-البالين، على إثر ضربةِ حربةِ صيدٍ قاضية. وهو حوت طوله عشرون مترًا ووزنه عشرون طنًّا. وفي سنة 1869 عُثر على أخطبوط عملاق ملقًى على شاطئ فلوريدا. وهو يسمّي، في الخرافات الاسكندينافية، كراكن وهو مذكور كذلك في نصوص ترجع إلى التاريخ العتيق. واكتُشِفَ شفنين بحريّ ضخم جدّا أيضا في أمريكا الوسطى. وفي سنة 1901 اكتشف عالم طبيعيّات بالكونغو الأكّاب وهو ظبـي يشبه زرافة صغيرة عنقه أقصر وفي مؤخّرة ظهره خطوط كما في شعر حمارٍ زردٍ. وقد كان أقوام البيقمي يتحدّثون عن هذا الحيوان منذ مدّة طويلة. وكان معروفًا كذلك في بلاد فارس (إيران) بما أنّه وجدت منحوتة تجسّم أكابٍ في قصر من قصور برسيبوليس يعود إلى 2500 عام. وفي سنة 1912 مثّل اكتشاف الورل الضّخم المدهش بجزيرة كومودو في أندونسيا، شهادة على وجود التّنانين. وأعجب اكتشاف بلا جدال كان اكتشاف السلكنتا وهو حوت قديم جدّا وجد منذ 350 مليون سنة واعتُقد أنّه انقرض منذ 70 مليون سنة. وفي سنة 1938 وقع في شباك صيّادين بإفريقيا الجنوبية في عرض البحر بمدغشقر حوت أزرق يبلغ طوله 35 مترًا ويزن 57 كيلو غراما. وبعد الفحص والتّثبّت تبيّن أنّه سلكنتا وفي متحف الطّبيعة الكنديّ أنموذج منه يزن 42 كيلوا غراما. وفي سنة 1975 عُثِر على خنـزير عملاق بالبراغواي. وفي سنة 1976 اصطِيد قرش عملاق في عرض بحر هاواي.

علم طليعيّ

يُلاحَظ الأمر نفسه في مجال الحشرات. فبعض الأنواع تنقرض وأنواع أخرى تستأثر بالاهتمام. ولا يسعنا أنْ نـزعم الإلمام بها جميعا. والمشكلة الوحيدة بالنّسبة إلى علم الحيوان الخفيّ تعود في جزء كبير منها إلى صدق الشّهادات المستقاة وتزييف الأدلّة. وهذا ما يعرفه المتخصّصون في علم الحيوان الخفيّ المتمرسّون وهم يتريّثون التّريّث الكافي لإعداد ملفّات متينة عاملين على التّفريق بين الصّادق والكاذب، وهو أمر غير بيّن دائما. ففي سنة 1990 احتفت كندا بحيواناتها العجيبة وأصدرت عددا من الطوابع البريديّة المحلاّة بصور أوغوبوغو، وحش بحيرة أكاناغان في كولومبيا البريطانية وكراكن منطقة ساسكواتش. ومُذّاك سعى أصحاب علم الحيوان الخفيّ إلى رفع الحجب عن الطّائر الغامض بجزيرة هيفا-أُوَا بأرخبيل الماكيز. فهذا

الطيرُ ذو الجناحين الضّامرين، غير القادر على الطيران، يذكى فضولهم. ويبدو كذلك أنّ أدغال الغابون تضمّ ديناصورًا يسمّى مكولي-مبامبـي. فهذا الوحش العاشب الذي يعيش في البّر والماء في آنٍ تخشاه القبائل المحليّة لقوّته الغاشمة بما أنّه قادر، بضربة من ذيله، على قلب الزّوارق. أفلا يكون من بقايا ما قبل التّاريخ؟. وقد يكون شوهدت فيلة قزمة في مناطق عديدة من إفريقيا. وإنّ أمام أصحاب علم الحيوان الخفيّ عملاً كبيرًا ينتظرهم. وهم يحتاجون إلى سنوات عدّة للتّحقّق من هذه المعلومات وتنظيم رحلات استكشاف. ومن الثّابت أنّ علم الحيوان الخفيّ مازال يخبّئ لنا مفاجآت عدّة في المستقبل القريب. ويوما مّا سَيُلْقَمُ الشّاكّون حجرًا."

الفصل 19: صياغة السّيناريو

إذا كنت ترغب في تأليف عمل لشريط سينمائي أو تلفزي فعليك أن تتعلّم صياغة السّيناريو. والسّيناريو شكل من الكتابة البصريّة، أيْ لغة تروي حكاية بواسطة الصّور، خلافًا للرّواية التي تكشف الأفكار الباطنيّة للشّخصيّات. ويستجيب هذا اللّون من الكتابة إلى قواعد مخصوصة بما أنّه يقوم على الحوار والأعمال التي يعبّر عنها بالصّور.

وعمومًا توافق صفحةٌ من السّيناريو دقيقةً واحدةً.

ينبغي أن يتضمّن السّيناريو بالنظر إلى الشّريط السّينمائي حينئذ ما بين مائة وعشرين ومائة وخمسين صفحة. أمّا السّلسلة التّلفزية فتكتب في حلقات تتراوح بن ثلاثين دقيقة وستّين دقيقة وينبغي تدبّر لحظات شديدة الإثارة قبل كلّ وقفة إشهاريّة أي كلّ عشر صفحات أو اِثنتي عشرة صفحة تقريبا وهو ما يوافق عشر دقائق أو اِثنتي عشرة دقيقة. وتعرض السّلسلة النّاجحة عادة في مواسم عديدة. لذلك عليك أن تتساءل هل تكون قريحتك قادرة على وضع سيناريو لموسم ثان أو ثالث. وسترى إلى أيّ حدّ يقدّم التّلفزيون كلّ سنة مسلسلات جديدة وهو دليل على أنّه مجال يبحث دائما عن مشاريع جديدة. وستحلّل من زاوية جديدة لطائف صياغة السّيناريو ودقائقه حين تشاهد أشرطة سينمائيّة ومسلسلات بعيون كاتب السّيناريو.

الفكرة

يبدأ كلّ سيناريو من فكرة وحكاية. فماذا في جرابك؟ يتمثّل التّمرين الجيّد في كتابة سيناريوهات قصيرة بخمس صفحات أو ستّ على وجه التّدرّب، وذلك لتنمّي حسّ الملاحظة عندك وتكتسب القواعد الأساسية مع التّمرّس بفنّ الحوار.

وعليك، أوّل الأمر، أن تلخّص حكايتك في جملة أو جملتين تكونان مرجعًا لك.

مثال

"قصّة نجمة سينمائيّة عرفت المجد ثمّ سقطت سقوطًا مدوّيًا. وانتهى هبوطها إلى الجحيم إلى تأمّل باطني وجدت فيه خلاصها"

أو المثال التّالي:

"قصّة أفراد عائلة متخاصمين ينتهي بهم الأمر إلى التّصالح مع مرور الحلقات"

مختصر الشّريط

عليك بعد ذلك أن تلخّص الحكاية بكتابة مجريات أحداثها في ما بين ثلاث أو خمس صفحات تقريبا. ونسمّي ذلك الملخّص مختصرَ الشّريط. والمختصر هو الذي يرغّب شركات الإنتاج في قراءة السّيناريو. لذلك ينبغي له أن يعكس على نحو أمين السّيناريو ولكن دون حوارات

وينبغي أن يوضّح طبائع شخصيّاتك وموضوع خطاطتك والتّقلّبات وبناء الوضعيّات والأماكن التي تجري فيها الأحداث. ومختصر الشّريط هو أوّل ما يجب أن يتحصّل عليه المنتج. فهو الذي سيقنع المنتج باستثمار أمواله في السّيناريو الذي وضعته.

المراسلة التّوضيحيّة

ينبغي أن تكون مرفقة بمختصر الشريط حين تفرغ تماما من السّيناريو. وهي نصّ تُقدّم فيه نفسك ومشروعك وتذكر مأتى إيمانك بأهمّيّته. وعليك أن تدع قلبك يتحدّث ببساطة وفي تواضع. وتجنّبْ الوقوع في شرك الإفراط والتّباهي أو الإفراط في الادّعاء أو الحديث عن النّفس بدل الحديث عن السّيناريو الذي وضعته.

لا تنس أنّك في تجربتك الأولى وأنّه يجب أن يقيّم أهلُ المهنة عملك. وقد تبدو جميع هذه المراحل في التقديم محبطة ولكنّها جزء من مقتضيات مهنة كاتب السّيناريو. والخطأ الذي ينبغي تجنّبه هو إرسال مختصر السّيناريو والرّسالة التّوضيحيّة قبل الفراغ من كتابة السّيناريو. فذاك يكون بمثابة عرض لفكرة لم تر النّور بعد. وعليك أن تكون على استعداد للعمل ساعات عديدة دون مقابل وأنت على وعي بأنّ السّيناريو الذي تصوغه قد لا يثير اهتمام أيّ منتج. فمن مجازفات المهنة أن تستثمر الوقت في عمل بلا جدوى تماما كما يحصل في كتابة مخطوط يردّه عليك النّاشرون. وإذا قُبل مشروعك طلب منك المنتج سِفْرًا يتمثّل في ملفّ من خمسين صفحة يشرح تطوّر السّيناريو شرحًا مفصّلاً.

جذاذة الشّخصيّات

عليك أنْ تكتب جذاذة تشرح فيها سيرة كلّ شخصيّة.

وتتضمّن هذه السّير أسماء الشّخصيّات ومظهرها الخارجي وما عاشته وتعيشه ومهنها ووضعيّاتها العائليّة وخصالها المذمومة والممدوحة. وباختصار عليك أن تفصّل القول في كلّ شخصيّة تفصيلاً. ولا يغب عن ذهنك بالخصوص أنّها مختلفة تعبّر كلّ واحدة منها، ذكرًا أو أنثى، في محاوراتها بمقتضى شخصيّتها. وحين تظهر شخصيّة من الشّخصيّات لأوّل مرّة ينبغي أن يكتب اِسمها بحروف التاج. وتُكتب كلمتا **رجل** أ و **اِمرأة** حين لا يعرف المشاهد اِسم الشّخصيّة. والحيلة تكمن في استعمال الأسماء والألقاب في الحوارات على التّوّ. وفي داخل الحوارات تكتب أسماء الشّخصيات بخطّ عاديّ. أمّا في ما يخصّ الشّخصيات الثّانويّة قليلة الظّهور فلك أن تكتب **شرطي** أو **جارة** أو **عون اِستقبال**... إلخ.

السّيناريو

وها قد آن أوان المغامرة الكبرى في مجال السّمعيّ البصريّ. فالسّيناريو يمثّل كلّ ما سيراه المشاهد على الشّاشة وكلّ ما سيسمعه. وهو يصنع صُوَرًا وليس نصًّا أدبيًّا. ولا يعدو أن يكون أداة

بالنّسبة إلى المخرج والممثّلين وفريق التّصوير. وقبل كتابة السّيناريو فكّر في ضغوط الميزانيّة إذا كنت ترتئي استخدام تأثيرات خاصّة أو تزويقًا مكلفا. وتُمثّل بنيةُ السّيناريو الخيط الرّابط الموجّه له فعليك أنْ تعرف إلى أين تتّجه قصّتك. لذلك تصلح الحوارات في التّدرّج بالسّيناريو. فهي تخبر المشاهدين وتفصح عن الشّخصيّات.

لا تَرْوِ ما تعرض للمشاهدة: هذه هي القاعدة الذّهبية في السّيناريو. والصّفحات العشر الأولى من السّيناريو ومنها المشهد الافتتاحيّ، هي أهمّ الصّفحات ففيها تبدأ الأحداث بإدراج الشّخصيّات الأساسيّة.

وعليّ أنْ أوضّح لك أنّه توجد عدّة مدارس فكريّة في كتابة السّيناريو، ولك أن تختار منها ما تريد. ففي أوروبا يكون الوصف عادةً أطول ممّا هو عليه في أمريكا الشّماليّة حيث يكون الأسلوب مباشرًا أكثر. وستجد، بالتفتيش في الأنترنيت، جميع أصناف المعلومات التي تخصّ ما بين السّطور من فراغات وأنواع الخطوط وأحجامها.

الحواشي

تقدّم الحواشي كلّ مشهد وتكون دائما بحروف التّاج تصف و
و قبل كلّ مشهد، . وتبدأ باختصاريْ
داخليّ وخارجيّ (دا وخا). ويتضمّن السّيناريو الذي تضعه عدّة حواش وحوارات. ولا تنس تغيير الحاشية حين يتغيّر المشهد. ولا ترقّم المشاهد فهذا موكول إلى المخرجين وفريق التّصوير.

مثال

دا – نهار - قاعة جلوس أو خا - مساء - حديقة

الوصفيّات

هي توجيهات تخصّ الأحداث موجزة مكتوبة بين قوسين تُخبر عن حركات الشّخصيّات بأسمائها وعن أمزجتها. ولكن وصف الأحداث التي تستغرق وقتًا أطول لا يوضع بين قوسين. فالوصفيّات توضّح المشهد الذي يجرى قبل الحوارات الواردة تحت الحواشي، أثناء المشهد أو بعده.

مثال عن الوصفيّات

دا – نهار- مطعم

فريد وكريمة جالسان أمام لوائح الطّعام وفريد يردّ على ثلاث مكالمات بهاتفه الجوّال ثمّ يعلّق.

كريمة (منزعجة)

هلاّ أغلقت هاتفك حتى نتمكّن من تقديم طلبياتنا؟

الصّوت الخارجي (صوت من خارج المشهد)

يفتتح الصّوتُ الخارجيُّ بعض الأشرطة السّينمائيّة حين تقدّم شخصيّة من خارج مجال الكاميرا بدايةَ القصّة.

مثال

في عهد بعيد وسم حدثٌ عائلتي بأثر لا يُمحى.

الومضة الورائيّة

هي عودة في الزّمن. يقطع فيها مشهدٌ من الماضي مشهدًا من الحاضر.

الحوارات

تُعتمد الحوارات للتّدرّج بالسّيناريو. فعلى الشّخصيات، كما هو الشّأن في الحياة الواقعيّة، أن تتجاذب أطراف الحديث. لذلك عليك أنْ تعتني بالمحاورة حتى ترخي حبل النّقاش بمنطق مخصوص للتّقدّم بقصّتك. ويمثّل الإصغاء إلى حوارات الأشرطة السينمائيّة أو المسلسلات التّلفزية تمرينًا ممتازا للتّعوّد على هذا النّوع من الكتابة.

وأنا أعرض عليك الآن مقتطفات من عملين في كتابة السّناريو. فقد أوكل إليّ مُخرجٌ صديقٌ، منذ اِثنتي عشرة سنة، أحدَ السّيناريوهات قائلا كما أقول لك اليوم:

"ناديج، تعلّمي صياغة السّيناريو وحدك وأنت تفحصين مخطوطي، إنّك قادرة على ذلك إذا أحسنت الملاحظة".

ولقد أنجزت "فروضي" وتحصّلت على درجة جيّدة! بيد أنّني أعترف لكم أنّ ذلك كلّفني جهودًا كبيرة وتركيزًا شديدًا حتى أتعلّم بنفسي ولكنّني وجدت في ذلك تسلية كبيرة فأنا أحبّ كثيرا الكتابة الهزليّة.

وحين تقرأ المقتطفات التالية من المشاهد وتدرسها بانتباه تكون لك بين يديك وسائل جيّدة لتعلّم كتابة السّيناريو وستلاحظ كيف ينبغي أن تكون النّصوص موضوعة على اليمين أو في الوسط وكذلك كيف تكون الفراغات بين الأسطر. وفي الفصل العشرين ستجد برمجيّات لصياغة السّيناريو تيسّر لك عملك.

مقتطف من سيناريو

دا-مطبخ-صباح

شابّة تحتسي قهوة وهي تنظر إلى صورة على الجدار تمثّل وجها مبتسمًا لرجل يلبس طربوش مغامرٍ. يرنّ الهاتف في نفس اللّحظة.

الشّابّة

(متفاجئة)
آلو؟... لطفي؟؟؟ أيّ توارد خواطر!
كنت أفكّر فيك! عدت
من مصر قبل الأوان؟ طيّب اِتّفقنا
على المطعم هذا المساء... أمازلت
أحبّك بعد ستّة أشهر من الغياب؟ أيّ سؤال!

خا-الشّارع الرّئيسي-صباح

رجل وسيم مُسْمَرّ يلبس لباس مغامر يسير ماسكا بعناية جرابا من قماش
يدخل مصاغة.

دا - مصاغة - نهار

خلف طاولة المتجر صائغ يعمّر فاتورة
الرّجلِ ذي الجراب المصنوع من القماش

الصّائغ

يكون جاهزًا على الساعة الخامسة. لا أخفي عنك
أنّها طلبيّة من نوع... لنقل... غير عاديّ
باسم من أكتبها؟

الرّجل

لطفي غريب

الصّائغ

يمكننا القول إنّ اِسمك يرشّحك
للعمل الذي طلبت منّي أن أنجزه.

دا-مطعم-مساء

يبدو لطفي غريب وهو جالس إلى مائدة في مطعم غير مألوف
يفكّر هائمًا في ذكرياته. تقترب كريمة منه خفْيَةً وهي تضع يديها على عينيه.
يقف ويحتضنها بحنوّ.

لطفي

ما أجمل أن أرى ثانية تحفتي اللاّزورديّة
إنّك أجمل مواقعيّ الأثريّة!
لقد طال العهد، ستّة أشهر دون أن أراك...

كريمة

ما أروع ثوري المقدّس الجامح
من حسن الحظّ أنّني اِعتدت
منذ سنتين اِختفاءك لفترات قصيرة
يجلسان وكلّ منهما ينظر في عينيْ الآخر بتركيز
يمسك بيديْ الآخر.

لطفي

ثقلت عليّ وطأة الوحدة. كنت أفكّر فيك بلا انقطاع
تعرفين، حين يكون مرافقك الوحيد جملاً

فإنّ ذلك يحطّم المعنويات.

كريمة

لا توجد سيّارات رباعيّة الدّفع في مصر؟

لطفي

نعم طبعا ولكنّ الجمل أضمن
وأكثر اِقتصادا لحمل
الأمتعة حتى وإن كنت أمقت هذه الحشرات الن-زقة...

كريمة

ألَمْ تزر المدينة؟ يبدو أنّ
المصريّات على حظٍّ وافرٍ من الجمال...

لطفي

كنت منهمكًا في العمل بحيث لا أفكّر
في التّسلية عن النّفس ثمّ إنّكِ المرأة الوحيدة التي تهمّني.
زيادة على ذلك أنا لا أحتمل
رائحة الباتشولي. فكأنّهنّ يستحممن به لفرط
قوّة هذه الرّائحة.

كريمة

(تبدو مخاوفها قد زالت)
لقد قلقت عليك يا أبا هولي!

لطفي

(بحنوّ)
وأنا كذلك! يا إلهة النّيل، هذا المساء
سنحتفل ثمّ أختطفك في
هرمي طيلة اللّيل. وبعد ذلك
أخبّئ لك مفاجأة!
يطلبان في سرور عشاءهما وهما مستسلمان
لنشوة لقائهما.

دا – بيت لطفي - ليل

يشبه بيت لطفي متحفًا ففي كلّ مكان به توجد ذكريات من الرّحلات. يشرب لطفي وكريمة
مشروبًا يعين على الهضم في قاعة الجلوس وهما يستمعان إلى موسيقى رومنسيّة.
يغادر لطفي القاعة ثمّ يعود حاملاً هديّة في علبة يضعها بين يدي كريمة.

لطفي

هذه هي المفاجأة!
كريمة
(متأثّرة ترزن العلبة)
ماذا يمكن أن يكون فيها؟
أتذكر الرّأس المصغّر لهندي من الماوري
الذي جلبته لي من زيلندا الجديدة؟
كان يروق لي أن أخيف زميلتي
فأضع الرّأس في درج مكتبها!
كريمة
(مستغربة)
ما هذا؟ إنّه
فخّ للذّئاب؟ أقرّ بعجزي
لطفي
جيّد أن تقرّي بالعجز. إنّه
فكّ كاهنة مصريّة عاشت
في حكم بطليموس الثّالث سنة 240 قبل الميلاد
كريمة
لِمَ غُطِّيَ الفكُّ بالمعدن؟
لطفي
بما أنّ أسنان الكاهنة نخرها السّوس
طلبتُ من صائغ أن يُغطّيَ
فكّها بقشرة من الفضّة حتى
تكون في مظهر أحسن.
كريمة
(وهي تضحك)
أنت مجنون عظيم حقّا يا غريبـي المفضّل!
تحيط كريمة رقبة لطفي بيديها وتقبّله.
كريمة
يا صانع الحلم، لا يوجد غيرك كي
يكون على هذا القدر من الطّرافة وأنت تهيم في السّحاب
لذلك أحبّك كلّ هذا الحبّ.
أتذكر كيف تعرّفنا على بعضنا؟
دا - مكتبة - نهار
ومضة ورائيّة
قبل سنتين كريمة جالسة في مكتبة عموميّة، منهمكة في مطالعة

كتاب تسجّل تقييدات على مفكّرتها. ثمّ تنظر إلى ساعتها اليدويّة وتغلق الكتاب والكنّش والقلم وتنهض في سرعة وتصطدم بلطفي الذي يضع كتابًا تحت إبطه. يسقط كتاب لطفي. تلتقطه كريمة وترجعه إليه.

كريمة

(مضطربة)
إنّني خرقاء! آسفة. خُذِ!
أرى أنّك تهتمّ بعلم الآثار.
لا بدّ أنّه مشوّق
يلاحظ لطفي بدوره في اندهاش عنوان الكتاب الذي كانتْ كريمة تطالعه.

لطفي

(متضايقًا)
إيه... نعم... كثيرًا. كتابك عن
الشّبقيّة هو لاشكّ أيضا... إيييه
مثير

كريمة

(أحسّت بالإهانة)
ليست الأمور كما تتصوّر! أنا طبيبة أمراض جنسيّة
وأجمع وثائق حول مواضيع عدّة.

لطفي

أصدّقك. أرى بأمّ عيني أنّك
اِمرأة شابّة جدّية... سليمة متّزنة.

كريمة

هذا محبّذ خصوصًا في المهنة التي أزاولها.
وأنت. هل أنت أستاذ؟

لطفي

لا أنا باحث في الآثار. أسافر كثيرًا
وقد عدت من سيبيريا. أتتصوّرين
ماذا اكتشفتُ هناك في حقل جليديّ؟

كريمة

(منشرحة)
لا أدري... برميل من الفودكا؟ سفينة نوح؟

لطفي

(متحمّس)

لا! جثّة ماموث مجمّدة!
واحزري ما هو أفضل من ذلك؟

كريمة

كنتَ التقيته في حياة سابقة؟

لطفي

أبدًا. حين شرّحته
بسكّيني السويسري لاحظت
أنّ جميع أعضائه كانت
في حالة حفظ جيّدة. كما لو كان ميتًا حيًّا!
إنّه لأمر عظيم أليس كذلك؟

كريمة

إنّه أمر مقزّز!

لطفي

(متحمّس)
لا تقولي هذا! لو كنت تدرين المشاعر
الجيّاشة التي ألمّت بـي وأنا أقطع
أحشاءه مقرفصًا على نعلي الثّلجيّ
وأمامي مشهد رائع لغروب الشّمس. إنّها
نعمة لا تتاح لنا إلاّ مرّة واحدة في الحياة.

كريمة

أتصوّر بسهولة جمال هذا المشهد
الذي لا يُنْسَى. اسمي كريمة.

لطفي

وأنا لطفي. أتريدين
أن نشرب شيئًا حتى أروِيَ لكِ
رحلتي إلى التِّبت؟

كريمة

لِمَ لا؟ فأنا متشوّقة لمعرفة
ما إذا اِكتشفتَ بصقة متحجّرة
لدَلاَيْ لاَماَ في الهملايا.

نهاية الومضة الورائيّة

دا - بيت لطفي - ليل

كريمة

وفي تلك اللّيلة لا أدري كيف أجبرت على الإنصات

لهذيانك إلى أن أطردنا النّادل
في الثّالثة صباحًا.

لطفي

أعرض عليك أن نقترف الجرم مرّة أخرى، ولكن في السّرير
يحمل لطفي كريمة بين يديه وينقلها
إلى غرفته التي يغلق بابها برجله في لطف.

دا- قاعة رياضة بدنيّة - مساء

لطفي يتدرّب في قاعة رياضة بدنيّة على بساط آليّ.
يقف رجل بجانبه ويوجّه إليه الكلام.

الرّجل

إنّه مفيد للّياقة البدنيّة. هه؟

لطفي

نعم شيء رائع للصّحّة.

الرّجل

أغبِطُك على سمرتك. أعُدْتَ
من عطلة؟

لطفي

لقد اشتغلتُ ستّة أشهر في مصر.

الرّجل

في مصر؟ ماهي مهنتك؟

لطفي

أنا باحثٌ في الآثار.

الرّجل

غريب، اقرصني، أنا أحلم! أيّ صدفة!
أنا أيضا مغرم بالآثار إلى حدّ الجنون!

لطفي

عجيب! وأين تقوم بالتّنقيب؟

الرجل

هه... هنا وهناك في العالم ولكن في
هذه الأيّام أعمل على مشروع بحث
عن الكنوز سرّي للغاية...

لطفي

أُكِنُّ تقديرًا كبيرًا لمن
يبحثون. أتمنّى لك

إذن حظّا سعيدًا فَعَلَيّ أن أغادر.
الرّجل
(متضايق)
لا! لا! لا تذهب! اِسمع لم أعد
أستطيع الاحتفاظ بالسّرّ لنفسي،
يجب قطعًا أن أتحدّث فيه إلى شخص آخر.
أتقبل منّي دعوة لشرب جعة معي؟
لطفي
طيّب. موافق ولكن لوقت غير طويل إذن.
أفهمت؟ صديقتي تنتظرني.
الرّجل
طبعا يا زميلي العزيز! لن
أستبقيك معي. لا نستخفّ بالحبّ، إنّه
أقدس ما في الحياة. طيّب، أنا اِسمي زكريّا.
لطفي
تشرّفنا. وأنا لطفي.
دا - مشرب قاعة الرّياضة - مساء
زكريا
كما قلت لك، أنا مشغول بأمر
كبير. إذ أملك، بالوراثة،
خريطة أصليّة لكنـز مدفون.
أتعرف جزيرة السّلحفاة؟
لطفي
(حائر)
نعم. إنّها في شمال هايتي.
زكريا
وإلى أيّ شيء تعود شهرتها؟
لطفي
كانت قاعدة للقراصنة
زكريا
هذا هو! والخريطة تصوّر
جزيرة السّلحفاة والأماكن التي
خبّأ فيها القراصنة كنوزهم
أتتصوّر؟ خزائن
برمّتها مليئة نقودا ذهبيّة وحُلِيًّا!

لطفي

بالفعل. إنّها ثروة مضمونة لك.

زكريا

للأسف عندي مشكلة..

لطفي

ماهي؟

زكريا

لقد تعرّضت إلى نوبات خطيرة من الحساسيّة بسبب النّاموس.
لهذا السّبب لا أستطيع أن أقضيَ عدّة
أشهر في جزيرة السّلحفاة.

لطفي

أنا متعاطف معك. إذن لن تذهب
للبحث عن كنوزك؟

زكريا

أنا، لا، ولكنّ شخصًا مثلك، يمكن...

لطفي

مستحيل! عدتُ توّا
من مصر. فإذا ما سافرت بهذه السّرعة فإنّها
القطيعة حتمًا مع المرأة التي أحبّ.

زكريا

خسارة لقبر اللّحية السّوداء...

لطفي

وما العلاقة بين جزيرة السّلحفاة
وقرصان اللّحية السّوداء؟

زكريا

تشير خريطتي بوضوح إلى الموضع
الذي دفن فيه مع كنوزه جميعًا... ونظرًا
إلى أنّك باحث في الآثار، عزيزي لطفي..

لطفي

(مصدوم)
أتستبهلني؟ اللّحية السّوداء
قتله، سنة 1718، ضابطٌ أنكليزي اسمه
ماينار في شرم أوكراكوك، بكرولينا الشّماليّة!
أضف إلى ذلك أنّ جسده المقطوع الرأس أُلقِيَ في البحر!

زكريا

(مرتبكا)
أيُّ أمرٍ دهاك! ما كنتُ أنتظر
درسًا في التّاريخ! لا تغضب! لست
مسؤولاً عمّا إذا كان الشّخص الذي رسم
الخريطة تحصّل على معلومات خاطئة.

لطفي

(مترفِّعًا)
التّاريخ هو التّاريخ! إنّ تحريفه
جريمة.

زكريا

كفى، كفى فهمت. والكنوز
ألا تريد أن تحاول؟

لطفي

لا تكن كالطّفل المتخلّف. إنّ واضع
هذه الخريطة دجّال أو متخلّف
ذهنيًّا. وعلى كلّ حال، حتى إن كانت هذه الخريطة
مطابقة للواقع فأنا أفضّل صديقتي على المال.
تعرف، زكريا، إنّنا لا نشتري بالمال كلّ شيء.
فليس للسّعادة والحبّ ثمن.

زكريا

(متضايقًا)
المسألة قابلة للنّقاش.
فمن المغري العثور على كنـز...

دا - قناة س - نهار

زكريا

كان عليك أن تتحصّل على معلومات أكثر عن
اللّحية السّوداء. فلطفي غريب، رغم
سيماء البراءة عليه، ليس ساذجًا.

منصور

(بحدّة)
كانت الخريطة خالية من العيوب. أنت
هو الأبله. قضيت ليلة بأكملها
في رسمها بدل أن أصطحب زوجتي إلى
لعبة البنغو. وبم تجرّأ على عملي؟

زكريا

(منقبض)

آآآآ... قال إنّ واضع الخريطة
ينبغي ان يكون متخلّفا ذهنيًّا...
يضرب منصور الحائط برجله غاضبًا ويطلق صرخة ألم.

منصور

(هائجًا)
هذا الشّخص... هذا الشّخص... أريد رأسه!
تسمعني؟

زكريا

اِعتقدت أنّك تريد رأسه بعد
رأس كريمة.

منصور

(يلهث)
لي الآن عدوّان!
يقدّم منصور لفيفة من الأوراق النّقديّة لزكريا الّذي يسارع
إلى وضعها في جيبه.

منصور

هذه ألف ورقة إضافيّة. أريد
أن تحطّمهما الاثنين، فهمت؟

مقتطف من سيناريو

دا – مكتب - نهار

نرجس

كلّ شيء في مكانه. جميع الصّحافيّين
تقريبا هنا. لا ننتظر سواك من الآن
إلى عشر دقائق.

الطّاهر

ممتاز. أسعيدة أنت بالعمل
معي منذ شهر؟

نرجس

طبعًا نعم! يا ربّي! يستخفّني السّرور
لرؤية كلّ هؤلاء الصّحافيّين القادمين من أرجاء الكيباك!

الطاهر

نرجس، لآخر مرّة أطلب منك ألاّ تتحدّثي
عن الرّبّ بحضوري

نرجس

عفوًا، أنسى ذلك دائمًا.

الطّاهر

إنّني أومِنُ بشيءٍ أقوى من الرّبّ ولكنّ
المعاصرين لي مازالوا غير مستعدّين
نفسانيًّا لسماع نظريّتي العظيمة
حول نشأة الإنسانيّة

نرجس

(متحمّسة)
منذ أن بدأتَ تحدّثني عنها تتحدّث تلميحًا
أرجوك، فَسِّرْ لي ما تشتمل عليه.
يذهب لغلق باب مكتبه ويدعوها إلى الجلوس.

دا- قاعة المحاضرات - نهار

في قاعة المحاضرات حواليْ عشرين شخصًا جالسين على الكراسي. على طاولتين مغطّاتين بسماطين بيضاوين، قهوةٌ وشاي وعصائرُ غلالٍ وتوجد كذلك حلويات على ذمّة الزّائرين والموظّفين والحاضرين. يحيّي الطّاهر، ووراءه نرجس، الحضورَ بحركة الرّأس وهو يتّجه بسرعة نحو المنصّة ويوجّه كلامه إلى أتباعه عبر المصدح.

الطّاهر

في البداية مرحبًا بكم! أنا كما تعلمون
الطّاهر السّماوي وهذه مساعدتي
نرجس النّصري. أظنّ أنّكم تتحرّقون
لمعرفة الموضوع بالتّفصيل.
تجازف صحفيّة شابّة ذات ابتسامة وقحة.

الصّحفيّة

هل ستقومون بتجارب على مختلّين عقليًّا؟

الطاهر

(متجاهلاً الملاحظة)
ها قد حانت اللّحظة المثيرة التي سأكشف فيها عن أولى
المحاولات في مغامرتي الرّائعة في مركز
المخّ الذي صنعته. سأبوح لكم
عن السّرّ العظيم آملاً أن ينيركم
وأنْ يظلّ منتقشًا إلى الأبد على صفائح الغرانيت
الحافظة للمعرفة الإنسانيّة عسى أنْ نثريَ الفكر الفقير
للأجيال القادمة.
يواصل على هذا النّسق متهدّج الصّوت.

الطّاهر

وبصفتي مختصًّا في العلاج الذّهنيّ
السّلوكيّ قرّرت أن أعمّق

أبحاثي حتى أتوصّل إلى طريقة سهلة
لمعالجة المصابين باضطرابات. وطريقتي العلاجيّة الجماعيّة
ترتكز على مساعدة ستّة أشخاص يعانون من الذّهان
عسى أن يستعيدوا فرحة الحياة بإعادة تنشيط
السّيروتونين لديهم وهو مفتاح الرّفاهة والسّعادة
إنّه أمر في غاية البساطة!

صحفيّ

وأين سيكون هذا العلاج الجماعيّ؟

الطّاهر

في القرية الأكّاديّة التّاريخيّة في منطقة كراكي
ببرنسفيك الجديدة.

صحفيّة

ولكن ما صلة ذلك بالعلاج؟؟؟

الطّاهر

سيعيشون في الماضي بأزياء ذلك العصر
وهم يؤدّون الأدوار بدل الممثّلين الصّامتين العاديّين!
أليس هذا إبداعًا وألمعيّة؟

الصّحافيّ الأوّل

(مستفظعا الأمر)
لكن هل فكّرتَ في السّيّاح؟

الطّاهر

لن يعرفوا عن ذلك شيئا، بطبيعة الحال!

تقديم السّيناريو

رقِّمِ الصّفحات اِبتداءً من الصّفحة الثانية. تشتمل الصفحة الأولى على عنوان سيناريو الشّريط السّينمائيّ أو المسلسل التّلفزيّ بحروف التّاج مشفوعًا بـ "تأليف" واسمك. وترد بعد ذلك طريقة الاتّصال بك.

ملاحظة: لا تقدّمْ أبدًا توجيهات حول كيفيّة تصوير المشاهد فهذا عمل المخرج. لا تضعْ نفسك مكانه فهو صاحب القرار وهو الذي يدير الممثّلين وليس أنتَ. فلِكلٍّ مهمّته.

الفصل 20: كتب منصوح بها وروابط وعناوين مفيدة

تجد هذه الكتب أو يمكنك طلبها من أيّة مكتبة جيّدة: **قاموس الأمثال وقاموس المترادفات**.

هناك كتاب مشوّق لتعرف نفسك على نحو أفضل **!Remuez vos méninges** (**حرّك ذهنك!**) لفيليب كاتر وكان رسل، منشورات هرتبوس http://www.hurtubisehmh.com

يمكنك أن تحصل مجّانًا على **فهرس الجوائز الأدبيّة بالكيباك** من وزارة الثّقافة والاتّصالات 380-2363 (418)، المركز 7223 أو بالأنترنيت:

http://services.banq.qc.ca/sdx/prix/accueil.xspdb=prix_litteraire

وهذا الفهرس تحفة صغيرة تعرض جميع المسابقات الأدبيّة لمقاطعتنا الرّائعة وعناوين منظّميها.

ولاقتناء **دليل الطّبع في الكيباك وكندا الفرنسيّة** يمكن الاتّصال بـ: 933-8033 (514). وسعر هذا الدّليل هو خمسون دولارًا يقدّم عناوين جميع النّاشرين. ويمكنك أن تستعيره من المكتبة العموميّة بمدينتك.

ويمكنك أيضا الحصول مجّانًا على عناوين النّاشرين في موقع الأنترنيت للجمعيّة الوطنيّة لناشري الكتب: **l’Association nationale des éditeurs de livres (ANEL)**: **http://www.anel.qc.ca** وبالضّغط على صفحة "قائمة الأعضاء" من هذا الموقع تجد عناوين النّاشرين.

ويوجد رابط آخر مفيد حول قائمة النّاشرين:

http://www.lelibraire.org/accueil_choix.asp?type=fran

ولاقتناء **دليل من يفعل ماذا؟**(**Guide qui fait quoi ?**): يمكن الاتصال بـ: 842-5333(541) أو بالبريد الإلكتروني: **qfq@qfq.com**. ويقدّم هذا الدّليل عناوين المنتجين للتّلفزيون والسّينما والمسرح. وتجد في نقاط بيع المجلاّت مجلّة في الغرض.

جمعيّة منتجي الشّريط السّينمائي والتّلفزيون بالكيباك:

:(L’Association des producteurs de film et de télévision du Québec (APFTQ)

http://www.apftq.qc.ca/fr/index.asp

جمعيّة مخرجي الكيباك ومخرجاته:

(:(L’Association des réalisateurs et réalisatrices du Québec (ARRQ

http://www.arrq.qc.ca./index.php?vSection=accueil\vOption=ARRQ

برمجيّة مجّانيّة لصياغة السّيناريو:

http://www.clubic.com/telecharger-fihe19603-celtx.html

للعثور على ناشرين فرنسيّين وأجانب:

المكتب الدّولي للنّشر بالفرنسيّة: (Bureau international de l’édition française (BIEF)

http://www.bief.org

مولّد للعناوين مسلٍّ:

/http://www.omerpesquer.info/untitre

اِتّحاد كاتبات الكيباك وكتّابه: (Union des écrivaines et écrivains du Québec)

1-888-849-8540 **ou** (514) 849-8540 **http://www.uneq.qc.ca**

لحماية كتاباتك:

.**La SARTEC** 1229, rue Panet, Montréal (Québec)H2L 2Y6 (514) 526-9196

يكلّفك تسجيل عملك حوالي خمسة عشر دولارًا.

مكتب حقوق المؤلّف:

الاستهلاك والشّؤون التّجاريّة بكندا:

:Consommation et Affaires Commerciales Canada

.rue Victoria, Place du Portage, Phase I ,50

.Zone 5, 5ème étage

.Hull (Québec) KIA 0C9 (819) 997-1725

وتبلغ التّكاليف حوالي ثلاثين دولارًا.

للتّعرّف على قواعد الرّسم الجديدة (بالفرنسيّة):

http://www.orthogaraphe-recommandee.info

http://www.granddictionnaire.com

لتصريف الأفعال بطريقة سليمة (بالفرنسيّة):

http://www.leconjugueur.com

للشّواهد:

http://www.abnihilo.com

مصادر التّعابير:

http://www.alyon.org/litterature/regles/origine_des_expressions.html

الأمثال والشّواهد:

http://www.proverbes-citations.com

مؤلّفات ناديج ديفو:

Guide le l'écrivain et du scénariste, guide pratique d'écriture (Editions du .(Cram, Montréal, 2011

.(*Sur la piste des Touareg (*Arion éditeur, Québec, 2005

.(Délivrance, voyage au bout de l'enfer (Editions Publistar, Montréal, 2005

.(L'homéopathie au service des animaux (Arion éditeur, Québec, 2005

.(*Cyberdrague* (Editions du Cram, Montréal, 2002

.(*S.O.S. générations* (Editions du Cram, Montréal, 2001

.(*Le crépuscule des braves* (Editions des plaines, St-Boniface, Manitoba 2001

.(*Amarok, l'esprit des loups* (Editions Porte-Bonheur, Montréal, 2001

.(*S.O.S. amour (*Lanctôt / Shelton éditeurs, Montréal, 2000

.(*Cauchemar d’amour* (Editions du Dragon, Longueuil, 1999

Collection nos amis les animaux (le Jour, éditeur, Montréal) *le chat de gouttière*, (1996) *le chat himalayen*, (1996*) le chat siamois*, (1995) *le persan* .(*chinchilla*, (1995) *les persans*, (1994

.(*Louisbourg* (Editions de la Grande Marée, Nouveau-Brunswick, 2008

.(*L’empreinte de Marco Polo* (Editions Porte-Bonheur, Montréal, 2006

إصدارات وحدة الترجمة، إدارة البحوث والدراسات الثقافية، الدوحة



	العنوان	المترجم/ المراجع	الزوج اللغوي	الطباعة والسنة
1	سمك القرش والنورس البحري دومينيك دو فيلبان	هاشم صالح ومحمد مخلوف. مراجعة د. حسام الخطيب	فرنسي – عربـي	بيروت 2005
2	مسلمو الغرب ومستقبل الإسلام طارق رمضان	د. إبراهيم الشهابـي مراجعة د. حسام الخطيب	إنكليزي - عربـي	بيروت 2005
3	تاريخ اللغات ومستقبلها هارالد هارمان	سامي شمعون، مراجعة محمد فرززات	ألماني- عربـي	بيروت 2006
4	فلسطين في الشعر الهسباني المعاصر محمد الجعدي	محمد الجعدي، مراجعة د. حسام الخطيب	إسباني - عربـي	بيروت 2006
5	شجرة الغاف باحثون من جامعة قطر	مجموعة باحثين، جامعة قطر	عربـي	الدوحة 2007
6	شجرة الغاف باحثون من جامعة قطر	مجموعة باحثين، جامعة قطر	إنكليزي	الدوحة 2007
7	هل كنّا مثل أيّ عاشقين؟ نفتاج سارنا	د. منذر محمد	إنكليزي - عربـي	بيروت 2006
8	القضية المشتركة	عبدالودود العمراني	فرنسي - عربـي	دمشق 2007

	د. فيليب آغران	مراجعة د. حسام الخطيب		
9	عصر النفط ليوناردو ماوجري	د. إبراهيم الشهابي	إنكليزي - عربـي	الدوحة 2008
10	حكايات من الأدب الشعبـي الفارسي من شهنامه الفردوسي	د. مصطفى باكور	فارسي - عربي	دمشق 2008
11	بنت عرب إفلين شاكر	أمل منصور، مراجعة د. فائقة صديقي	إنكليزي - عربـي	دمشق 2008
12	عناق الأسرة نوبو كوجيما	د. منذر محمد	إنكليزي - عربـي	دمشق 2009
13	عروق القدس النازفة مجموعة باحثين، تحرير د. منير العكش	د. منير العكش	إنكليزي - عربـي	الدوحة 2010
14	اللغة والثقافة كلير كرامش	د. أحمد الشيمي مراجعة عبدالودود العمراني	إنكليزي - عربـي	الدوحة 2010
15	مستقبل الدراسات الأدبية غومبرخت، والتر موزر	د. ربى محمود ود. منذر محمد	فرنسي وإنكليزي - عربـي	الدوحة 2010
16	عصارة الأيام سمرست موم	د. حسام الخطيب	إنكليزي - عربـي	الدوحة 2010
17	كُتُب تحترق، تاريخ المكتبات لوسيان بولاسترون	هاشم صالح ومحمد مخلوف. مراجعة عبدالودود العمراني	فرنسي – عربـي	تونس 2010
18	الترجمة والعولمة مايكل كرونين	محمود الهاشمي وعبدالودود العمراني مراجعة د. حسام الخطيب	إنكليزي - عربـي	بيروت 2010
19	العلم في	د. إبراهيم	إنكليزي -	الدوحة

		الترجمة سكوت مونتغومري	الشهابـي مراجعة وفاء التومي	عربـي	2010
	20	ضفدع مقاطعة كالافيراس وقصص أخرى مارك توين	خليفة الهزاع	إنكليزي - عربـي	بيروت 2011
	21	محاضرات الحائزين على نوبل للأدب 2010-2000 مجموعة مؤلفين	عبدالودود العمراني مراجعة وفاء التومي	إنكليزي وإسباني وفرنسي وألماني - عربـي	بيروت وتونس، 2011
	22	جسور إلى اللانهاية مايكل غيلن	د. عامر شيخوني مراجعة بدرالدين علاء الدين ووفاء التومي	إنكليزي - عربـي	الدوحة 2011
	23	الهند تظفر بالحرية أبو الكلام آزاد	د. نبيلة الزواوي، مراجعة أ.د. محمد لطفي اليوسفي	إنكليزي - عربـي	الدوحة 2011
	24	منظومة حيوانات قطر محمد جاسم العبدالجبار	بدور القحطاني وسامي بن صغير. مراجعة فرانسيس غيلسبي	عربـي - إنكليزي	الدوحة 2011
	25	الحرية الافتراضية داون نونسياتو	أنور الشامي. مراجعة وفاء التومي	إنكليزي - عربـي	الدوحة 2011
	26	المال العزيز مارثا ماكفي	أ.د. منذر محمد محمود. مراجعة عبدالودود العمراني	إنكليزي - عربـي	الدوحة 2012
	27	سعيًا للصّمت جورج بروشنيك	د. إبراهيم الشهابـي مراجعة وفاء التومي	إنكليزي - عربـي	الدوحة 2012
	28	المتعة في تعلّم اللغات فابيو كاون	د. رشيد بلحبيب	فرنسي - عربـي	الدوحة 2012

	29	**مهر الصياح** **The Korak Council** **أمير تاج السر**	**عبدالوهاب عبدالله وأمل عبدالله**	**عربـي - إنكليزي**	**الدوحة 2012**
	30	**محاضرات الحائزين على نوبل للأدب 1985-1999 مجموعة مؤلفين**	**عبدالودود العمراني مراجعة وفاء التومي**	**إنكليزي وإيطالي وفرنسي وألماني - عربـي**	**بيروت وتونس 012**
	31	**أسطورة الإنسان والبحيرة** **La Fable du Lac** **دلال خليفة**	**د. جلال الغربـي**	عربـي- فرنسي	**باريس 2012**

انتهى